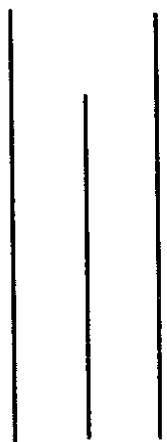


٤٥٤
٤٩١١



القراءة الشاملة
بالمَلِغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي المَدَارِسِ إِلَامِيَّةٍ

مُحَقْقُ الْطَّبِيعِ وَالصَّوْرِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة السابعة عشرة الشّرعية

طبعه دار ابن كثير الأولى

١٤٩١ هـ - ٢٠٠٣ م

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الحسّابي
ص. ب: ٣١١ - تلفون: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥

بيروت - برج أبي حيئر - خلف دبوس الأصلي
ص. ب: ٦٢١٨ / ١١٣ - تلفون: ٨١٧٨٥٧ - ٢٠٤٤٥٩



القِرْاعَةُ الْمُشْكَنَةُ

لِتَعْلِيمِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَدَارِسِ إِلَاسْلَامِيَّةِ

الْعَلَّامَهُ سِيدُ أَبُو احْسَنِ النَّدوِيِّ

رَاجِعُهُ وَشَارِحُ الْفَاظُهُ

سِيدُ عَبْدِ الْمَاجِدِ الْغُورِيِّ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ - الْجُزْءُ الثَّانِي

كِتابُ التَّكْثِيرِ

دمشق - بيروت



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على من لا نبي
بعده؟ وبعد :

فلا يخفى على من يعرف العلامة الشيخ السيد أبا الحسن
علي الحسني الندوي - رحمه الله - ما قام به من أعمالٍ جليلةٍ ،
وجهود عظيمةٍ لخدمة الأدب العربي والإسلامي ، والّتي توجّها
- حفظه الله - أخيراً بتأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالية ،
والّتي لا تزال تنموا وتزدهر في ظل رعايته ، وذلك إلى جانب
مصنفاته القيمة الّتي أثرت المكتبة الإسلامية .

وقد اعتنى العلامة الندوي بالكتابة للأطفال والناشئين ،
بوصفهم رجال الغد ، وصناع مستقبل الأمم ، فكتب مجموعةً
من الكتب منها «قصص النبيين للأطفال» و«قصص من التاريخ
الإسلامي» في لغة سهلة ، وأسلوب عذب سلس مشوق مضمّناً
إياها من المعاني والقيم ، والدروس وال عبر ، ومن المبادئ

والموْلُّ حتى قال أحد كبار علماء الهند الشيخ عبد الماجد الدرريابادي : «إنها علم توحيد جديد للأطفال» .

ولعل هذا الكتاب الذي بين يديك - عزيزى القارئ - من أهم حلقات تلك السلسلة الذهبية في أدب الأطفال ، إذ بدأ العلامة بتأليفه - كما يذكر في مقدمة هذا الكتاب - حين شعر ب أمس الحاجة إلى كتاب يؤلف للناشئة المسلمة للتدرис في المعاهد والمدارس ، يحتوي على مواد اللغة والأدب المتنوعة بأسلوب متدرج ملائم ، ولغة أدبية دينية عليها مسحة من جمال أدب الكتاب والسنة ، ويكون استعمال كلماته المستحدثة التي لها أصل عربي واشتقاق صحيح لموضوعات عصرية ، وتتكرر فيه المفردات العربية ليتمكن عليها الطالب ، وتنوع موضوعاته ومواده لينشط الطالب ويحصل منها فضلاً عنفائدة العلمية إلى حكاية تاريخية ممتعة شيقة ، ومن نثر إلى شعر أو نشيد .

فبدأ العلامة بتأليفه سنة ١٩٤٤ م ، وفرغ منه سنة ١٩٤٦ م ، مراعياً خلال التأليف - غير جميع ما ذكرناه - ألا تخلو موضوعاته - قدر المستطاع - من موعظة دينية وموضع عبرة ، وأن يستنتاج منها الطالب فائدة خلقية ودينية ، وأدباً إسلامياً بحيث لا يشعر بأنها تلقى عليه إلقاء ، بل يحفظها عفواً في ثنايا الدروس والحكايات .

وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٤٧ م ، ونالَّا منذ يومه الأول قبولاً حسناً ورواجاً عاماً ، وقرر في كثير من المدارس الشرعية والمعاهد العصرية الرسمية في الهند وخارجها في البلاد الإسلامية .

وقد شعرت خلال قراءتي ومراجعتي لهذا الكتاب بالحاجة إلى شرح بعض الألفاظ وأسماء بعض البلدان الهندية وغيرها من البلاد الأخرى التي يصعب على الطالب فهمها ، فشرحت وعلقت ما وسعني فيه الجهد ، وعلى الله قصد السبيل .

تلמיד المؤلّف

عبد الماجد الغوري

٣ / جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ

التعريف بمؤلف الكتاب

اسمه ونسبة:

* علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، ينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحضر بن الحسن (المثنى) بن الإمام الحسن السبط الأكبر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، أول من استوطن الهند من هذه الأسرة في أوائل القرن السابع الهجري هو الأمير السيد قطب الدين المدني (٦٧٧ هـ).

* أبوه العلامة الطيب السيد عبد الحي الحسني الذي استحق بجدارة لقب: «ابن خلكان الهند» «مؤلفه القيم» «نزهة الخواطر» في ثمانين مجلدات عن أعلام المسلمين في الهند وعمالقتهم ، طُبعَ أخيراً باسم «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام».

* أمه - رحمها الله - كانت من السيدات الفاضلات ، المربيات النادرات ، المؤلفات المعدودات ، والحافظات للقرآن الكريم ، تقرض الشعر ، وقد نظمت مجموعة من الأبيات في مدح رسول الله ﷺ.

ميلاده ونشأته:

* أبصر النور في ٦ محرم ١٣٣٣ هـ الموافق عام ١٩١٤ م بقرية «تكية كلان» الواقعة قرب مديرية رائي بريلي في الولاية الشمالية (أترا برديش).

* بدأ دراسته الابتدائية من القرآن الكريم في البيت، ثم دخل في الكتاب حيث تعلم مبادئ اللغتين (الأردية والفارسية).

* توفي أبوه عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) وكان عمره يتراوح آنذاك بين التاسعة والعشرة ، فتولى تربيته أمه الفاضلة ، وأخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني الذي كان يدرس آنذاك في كلية الطب بعد تخرّجه من دار العلوم ديوبند الإسلامية ودار العلوم ندوة العلماء ، وإليه يرجع الفضل في توجيهه وتربية العلامة الندوى.

* بدأ دراسته العربية على الشيخ خليل بن محمد الانصاري اليماني في أواخر عام ١٩٢٤ م ، وتحرّج عليه مستفيداً في الأدب

العربي ، ثم توسع فيه وتخصص على الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي عند مقدمه إلى ندوة العلماء عام ١٩٣٠ م.

* التحق بجامعة ل肯ثي فرع الأدب العربي عام ١٩٢٧ م ، ولم يتجاوز عمره آنذاك الأربع عاماً ، وكان أصغر طلبة الجامعة سنًا ، ونال منها شهادة فاضل أدب في اللغة العربية وأدابها ،قرأ خلال أيام دراسته في الجامعة كتاباً تعتبر في القمة في اللغة العربية والأردية ، مما أعاذه على القيام بواجب الدعوة وشرح الفكرة الإسلامية الصحيحة ، وإقناع الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية ، وتعلم الإنجليزية مما مكتبه من قراءة الكتب المؤلفة بها في التاريخ والأدب والفكر .

* التحق بدار العلوم - ندوة العلماء عام ١٩٢٩ م وقرأ الحديث الشريف (صحيح البخاري ومسلم وسن أبي داود وسن الترمذ) حرفاً حرفاً مع شيء من تفسير البيضاوي على العلامة المحدث الشيخ حيدر حسن خان الطونكي ، ودرس التفسير للكامل القرآن الكريم على العلامة المفسر المشهور أحمد علي الألهوري في لاهور عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ، وحضرَ دروس العلامة المجاهد حسين أحمد المدنى في صحيح البخاري وسن الترمذى خلال إقامته في دار العلوم ديويند ، واستفاد منه في التفسير وعلوم القرآن أيضاً .

جهوده العلمية ونشاطاته الدعوية:

* انخرطَ في سلك التدريس من عام ١٩٣٤ م ، وُعيّنَ أستاذاً في دار العلوم ندوة العلماء لمادتي التفسير والأدب ، خلال تدرисه في دار العلوم ندوة العلماء استفاد من الصحف والمجلّات العربية الصادرة في البلاد العربية ، مما عرفه على البلاد العربية وأحوالها ، وعلمائها وأدبائها ومفكريها عن كثب ، واستفاد أيضاً من كتب المعاصرين من الدعاة والمفكرين العرب وفضلاء الغرب والزعماء السياسيين .

* قام ببرحالة استطلاعية للمراكز الدينية في الهند عام ١٩٣٩ م ، تعرّف فيها على الشيخ المربي العارف بالله عبد القادر الرأي فوري والداعية المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوi ، وكان هذا التعرّف نقطة تحول في حياته ، وبقي على الصلة حتى وفاهما الأجل المحتموم ، وتلقى التربية الروحية من الشيخ عبد القادر الرأي فوري واستفاد من صحبته ومجالسته ، وتأسّى بالشيخ محمد إلياس الكاندهلوi في القيام بواجب الدّعوة وإصلاح المجتمع ، وقضى زمناً طويلاً في رحلات وجولات دعوية متتابعة للتربية والإصلاح والتوجيه الديني في الهند وخارجها .

* أسّسَ مركزاً للتعليمات الإسلامية لتنظيم حلقات درس

القرآن الكريم والسنة النبوية عام ١٩٤٣ م ، وأسسَ حركة رسالة الإنسانية بين المسلمين والهندوس عام ١٩٥١ م ، والمجمع الإسلامي العملي بدار العلوم - ندوة العلماء في لكتؤن عام ١٩٥٩ م.

* عُيِّنَ أميناً عاماً لدار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٦١ ،
(ولا يزال يترأس أمانتها إلى يوم وفاته).

* شارك في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش) عام ١٩٦٠ م ، وفي تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند عام ١٩٦٤ م ، وفي تأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ١٩٧٢ .

أهم مؤلفاته :

* نُشرَ له أول مقال بالعربية في مجلة «المنار» للعلامة السيد رشيد رضا المصري عام ١٩٣١ م حول شخصية الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد ، وكان عمره - آنذاك - أربعة عشر عاماً.

* ظهرَ له أول كتاب بالأردوية عام ١٩٣٧ م يحمل اسمه «سيرة أحمد شهيد» ونالَ قبولاً عاماً في الأوساط الدينية والعلمية في الهند وباكستان.

* بدأ سلسلة تأليف الكتب المدرسية بالعربية ، وظهرَ أول

كتاب فيها بعنوان «مختارات من أدب العرب» عام ١٩٤٠ م، و«قصص النبيين» للأطفال و«القراءة الراسخة» عام ١٩٤٤ م. وقررت جميع هذه الكتب في مقررات جامعات البلدان العربية والهندية.

* ألف كتابه المشهور «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» عام ١٩٤٤ م.

* دعي أستاذًا زائراً في كلية الشريعة جامعة دمشق عام ١٩٥٦ م، وألقى محاضرات بعنوان «التجديد والمجددون في تاريخ الفكر الإسلامي» نشرت بعد ذلك في شكل كتاب مستقل ينضوي تحت أربع مجلدات باسم «رجال الفكر والدعوة في الإسلام».

* ألف كتابه حول القاديانية بعنوان «القاديانى والقاديانية» عام ١٩٥٨ م ، وكتابه «الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية» عام ١٩٦٥ م وكتابه «الأركان الأربع» عام ١٩٦٧ ، و«السيرة النبوية» عام ١٩٧٦ م ، و«العقيدة والعبادة والسلوك» عام ١٩٨٠ و«المرتضى» في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عام ١٩٨٨ م.

* شارك في تحرير مجلة «الضياء» العربية الصادرة من دار العلوم - ندوة العلماء عام ١٩٣٢ ومجلة «الندوة» الأردية

الصادرة منها أيضاً عام ١٩٤٠ ، وأصدر مجلة باسم «تعميرحيات» في الأردية عام ١٩٤٨ م ، وكتب مقالات في الأدب والدعوة والفكر في أهمات المجالات العربية الصادرة من مصر ودمشق كـ: «الرسالة» للأستاذ أحمد حسن الزيات و«الفتح» للأستاذ محب الدين الخطيب و«حضارة الإسلام» للدكتور مصطفى السباعي .

* أشرف على إصدار جريدة «نداي ملت» الأردية عام ١٩٦٢ م ، وكذلك أشرف على مجلة «البعث الإسلامي» العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٥ م وجريدة «الرائد» العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٩ م ومجلة «تعميرحيات» الأردية الصادرة منذ عام ١٩٦٣ م ، وكلها تصدر من دار العلوم - ندوة العلماء في لكونئ ، (الهند) .

رحلاته:

* سافر إلى الشرق والغرب مرات داعيةً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عاملًا على إعلاء كلمة الإسلام بالكلمة المسموعة والمقرؤة وبالعمل الإيجابي البناء في كل مجال ، جواباً للآفاق في سبيل الله ، محاضراً ، ومحدثاً ، ومحاوراً ، واعظاً وهادياً ، ومشاركاً بالرأي والتفكير في المجالس العلمية ،

والجامع الجامعية والمؤسسات الإسلامية ، والمؤتمرات والندوات فيهما^(١).

تقدير وتكريم :

* انتخبه مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة والأردن عضواً مراسلاً لما اتصف به من العلم الجمّ ، والبحث الدقيق في ميادين الثقافة العربية والإسلامية ، ولمساعيه المكثفة المشكورة في سبيلها .

* اختير عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢ م.

* اختير عضواً في رابطة الجامعات الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٩٧١ م.

* اختير لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٠ م ، لتأليفه القيم «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».

* منح شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير عام ١٩٨١ م.

(١) انظر للاطلاع على جميع هذه الرحلات كتاب الشارح «رحلات العلامة أبي الحسن علي الندوي ، مشاهداته - محاضراته - لقاءاته - انطباعاته» صدر عن دار ابن كثير ، دمشق عام ٢٠٠٠ م.

* اختير رئيساً لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن عام ١٩٨٣ م.

* اختير عضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية وللبحث والتأليف والتحقيق في عمان (الأردن).

* اختير رئيساً عاماً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) عام ١٩٨٤ م.

* أقيمت ندوة أدبية كبيرة حول حياته وجهوده الحثيثة ومساعيه المشكورة ، ومفاخره العظيمة في مجال الدعوة والأدب عام ١٩٩٩ م في إسطنبول «تركيا».

* اختير لاستلام جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩ هـ لخدماته الجليلة ومازره العظيمة في مجال الدعوة الإسلامية ، وقدّم إليه الجائزة ولـي العهد لحكومة الإمارات العربية المتحدة سمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم .

رئاسته وعضويته للجامعات والمجامع :

* تولى العلامة الرئاسة والعضوية لعدة جامعات إسلامية ومجامع عربية ومنظماـت دعوية ومرـاكـز دينـية في العالم الإسلامي وخارجـه ، ومنها على سبيل المثال :

الأمين العام لدار العلوم - ندوة العلماء (التي أخذـت صـفة

العالمية منذ ترأس أمانتها ، وتفوقَتْ على معظم جامعات العالم التي تهتم بشؤون الدراسات الإسلامية والعربية لأنَّها تجمع بين القديم الصالح والجديد النافع).

رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض).

رئيس المجمع الإسلامي العلمي في لكهنو (الهند).

رئيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية (إنجلترا).

رئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند.

رئيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش).

عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

عضو المجلس التأسيسي الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة.

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن.

عضو رابطة الجامعات الإسلامية بالرباط.

عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة.

عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية
العالمية بإسلام آباد (باكستان).

عضو المجلس الاستشاري بدار العلوم ديويند الإسلامية
(الهند).

* وعدها ذلك تولى العلامةُ الرئاسة والعضوية لكثير من الجامعات الإسلامية ، والماركز الدينية والمنظمات الدعوية وبلغان التعليم والتربية في العالم الإسلامي وخارجها . توفي - العلامة - في ٢٢ من شهر رمضان المبارك ١٤٢٠ هـ (الموافق ٢١ من شهر ديسمبر ١٩٩٩ م) في الهند عقب نوبة قلبية مفاجأة ، فدفن في مسقط رأسه «تكية كلان» ، رحمه الله وتغمّده في وسيع جناته^(١) .

* * *

(١) انظر كتاب «أبو الحسن علي الحسني الندوبي الإمام المفكر الداعية الأديب» للشارح ، للاطلاع على حياة سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي ، وجهوده الحثيثة في خدمة الدعوة الإسلامية ، ومآثره القيمة في مجال الأدب ، و موقفه من القضايا الإسلامية والعربية ، وتعريف بأهم مؤلفاته ، صدر عن «دار ابن كثير دمشق - بيروت عام ١٩٩٩ م».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة عن الكتاب (بِقلم العلامة المؤلف - رحمه الله -)

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أma بعد ، فإن الهند منذ فتحها الإسلام لا تزال تدين بتدريس اللغة العربية ، وتعتقد أنها لغة الإسلام ، ومفتاح كنوز الكتاب والسنّة ، ونبغ فيها أدباء ومؤلفون في اللغة العربية يتجمّل تاريخ الإسلام بذكرهم ، وتزدان بمؤلفاتهم مكتبة الإسلام العاملة .

انقرضت من الهند دولة المسلمين ولم يطو بساط المدارس الإسلامية ، فلا تزال مصابيحها تضيء بين عواصف ورياح هوجاء ، وهي الآن تعد بالآلاف ، والمتعلمون فيها يربو عددهم على إحصاء بعض البلاد الإسلامية .

ولم يزل للهند منهاج خاص في العلوم العقلية والرياضية

والعلوم الآلية ، من وضع علماء الهند أو من اختيارهم ، نال قبولاً في الأقطار الإسلامية البعيدة ، فكانت مؤلفاتهم وشروحهم تدرس ، ويتمجد العلماء بتدریسها والاقتدار على شرحها ، ويتظرف الطلبة بدرسها وفهمها حتى كان منهاج الدرس النظامي من اختيار العلامة نظام الدين اللکھنوي (م ١١٦١ هـ) ومن وضع نجباء تلاميذه وتلاميذهم ، فكان له دوي في العالم الإسلامي ، ونفوذ عجيب في الأوساط العلمية.

بجانب هذه الثروة العلمية الضخمة والغنى الوافر في ناحية علوم الحكمة - كما يسميها القوم - ترى عوزاً شائناً وتفريطاً عظيماً في ناحية اللغة العربية ، فإذا أسقطنا من منهاج الدرس قسط الشعر وصرفنا النظر عن كتاب الحماسة والمعلقات السبع وديوان المتنبي - فإن كل ذلك لا يعلم اللغة ولا يمرن على الكتابة والخطابة ، بل يروض الفكر ويفتح القرىحة ويبعث الذوق - لم نجد في منهاج درسنا القديم ما يتعلم به الطالب اللغة ويتعرف بها غير مقامات الحريري ، والمقامات - كما يعرف القارئ - مثال للنشر الفني والأدب الصناعي ، وإذا شئت قلت مثال لفن البيان والبديع لا للنشر العربي الطبيعي السلسال ، ولا يمكن أن يتعلم بها الطالب مبادئ اللغة العربية ، ويتدرب على الكتابة والخطابة ويقضي حاجة في نفسه ، ومن ثم كان من

حظ الأدباء والمنشئين في العربية في هذه البلاد النثر المقيد المغلول ، والأدب السقيم المسؤول ، والقلم المثالم المغلول ، واللسان المتجلج الخذول .

درج على ذلك أجيال خلف أجيال ، وانسلخت قرون إثر قرون ، ولا ندري كيف كان ذلك إلا أنا لا نرى كتاباً في النثر العربي يدرس في المدارس غير المقامات إلى القرن الثالث عشر الهجري ، حتى جاء الشيخ أحمد الشرواني من اليمن وألف كتاباً صغيراً يشتمل على قصص وحكايات فكاهية ، ونواادر وملح وأبيات ، وسماه «نفحة اليمن» فاحتبله علماء الهند كأنما هبط من علية لما هم فيه من فاقة إلى كتاب يدرسه الطلبة قبل المقامات ، وعضووا عليه بالنواجد ، وهم منذ ذلك اليوم عكوف عليه لا يرون منه محيضاً .

وشعر بعض الأوساط بما فيه من خلل وخطل ، وسوء تمثيل للحضارة الإسلامية وسيرة المسلمين السلف ، وعبث بعقلية الأطفال الأبريء بما فيه من مجون وهزل ، فاستعاروا كتاباً مؤلفة من البلاد العربية ، ولكن سرعان ما علموا أنها على نقاء لغتها وحسن وضعها واحتواها على مادة علمية نافعة لا توافق ذوق المسلمين في الهند وباكستان وماجاورها من البلاد ، ولا تقضى حاجة رجال التعليم في هذه البلاد ، وتشتمل على

مادة في تاريخ البلاد التي ألفت فيها ، وترجم رجالها البلدين ، وجغرافية تلك البلاد ، إن أبناء هذه البلاد في غنى عن معرفتها فضلاً عن حفظها ، وإن أبناء الهند وغيرها من الأقطار الإسلامية في حاجة إلى معرفة المهم والممتع من جنسها مما يخص بلادهم ، أو مما يعم المسلمين جميعاً.

فترى مثلاً في الجزء الأول من القراءة الرشيدة التي وضعتها وزارة المعارف العمومية في مصر ، والتي تدرس في بعض المدارس العربية في الهند ، درساً عن جزيرة الروضة في القاهرة ، ونشيداً عن مصر العزيزة ، ودرساً عن عيد وفاء النيل ، وفي الجزء الثاني حواراً بين مصر والإسكندرية ، ودرساً عن الأهرام والقناطر الخيرية ، وعن محمد علي باشا ، وقس على ذلك بقية الأجزاء ، وقس عليها السلسل الأخرى .

ماذا يهم الطالب الهندي أو الباكستاني أو الحجازي أو الأفغاني ، من معرفة هذه الموضوعات المصرية ، ولماذا يحفظ نشيد الفخر المصري ويتناغم :

مصر العزيزة لي وطن وهي الحمى وهي السكن
وهي الفريدة في الزمن وجميع ما فيها حسن
ولماذا يعترف وهو في مرحلة التعليم الأولى بعظيم مصر
محمد علي باشا ، وهو أحق بمعرفة من هو أعظم من خديوي

مصر وأهم في التاريخ الإسلامي ، كذلك يعز على الطالب الصغير الذي لم ينشأ في مصر أن يفهم الدروس الخاصة بمصر ، لبعده عن الديار المصرية ، وجهله للعواائد والتقاليد المصرية كما ترى في درس عيد وفاء النيل .

أفلا يحسن بنا أن نبدل منها دروساً في السيرة النبوية ، وفي تاريخ الإسلام ، وعن رجال الإسلام وأئمته ، وإذا كان لا بد من موضوعات بلدية - وإنها لا شك منشطة لذهن الطالب الصغير - فلماذا لا نضع دروساً عن الأماكنة والآثار والأبنية الوطنية التي شادها المسلمون في البلاد ، وعن أعياد ومواسم إسلامية ، فإذا كان ذلك في الهند أو باكستان مثلاً ، نضع للطالب درساً خاصاً ببلاده أو عاماً للمسلمين ، كدروس عن آثار الملوك المسلمين في هذه البلاد أو في العالم الإسلامي .

وذلك في الرجال هو أحق بمعرفة فاتحي الهند والغزاة المتتصرين والملوك الصالحين ، ورجال العلم والدين الذين أنجبتهم أرض الهند .

زد على ذلك كله أن هذه الكتب المؤلفة في البلاد العربية عارية عن الروح الديني لمصالح تعليمية وسياسية في تلك البلاد ، أو لثقافة أبنائها الحديثة ، ولا يرضي المسلم في شبه قارة الهند أن يجرد اللغة العربية وأدبها من الروح الديني ،

ويدرس اللغة العربية كلغة بشرية عامة لها أدبها وجمالها ، لأن صلة العجم باللغة العربية إنما هي عن طريق الدين والكتاب المبين ، وسنة سيد المرسلين عليه الصلاة والتسليم ، وإنما يعنيه أمر اللغة العربية لأنها لغة لا يتوصل بغيرها إلى منابع الدين ومشاريعه الصافية ، فيجب أن يستعان بها على دراسة الكتاب والسنة بغير واسطة . ويقرب إلى تلك البيئة التي نبع منها الأدب الإسلامي بأوسع معنی الكلمة ، فإذا انقطعت الصلة بين اللغة والدين والأدب الإسلامي كان للهندی ولكل عجمي قليل رغبة في هذه اللغة الكريمة .

كل ذلك كان يطالب بأن يكون للمسلمين في بلاد العجم منهاج درس خاص بهم ، يضعونه وفقاً لشأنهم الخاصة ، وتبعاً لطبيعتهم الدينية .

إن عاراً على المسلمين الهنديين والباكستانيين - وقد ظفروا بالاستقلال السياسي - أن لا يكون لهم استقلال في مناهج التعليم ، مع أن الاستقلال العلمي والفكري مقدمان على الاستقلال السياسي ، وكل استقلال سياسي لا يسبقه أو لا يدعمه استقلال علمي فكري ، تطرق إليه الوهن سريعاً ، وتسرب فيه الرق الفكري أو العلمي ، ثم تبعه الرق السياسي .

كان من أهم الواجبات في هذه الأيام أن يعني العلماء

ورجال التعليم الديني بوضع منهاج تعليمي رشيد حكيم يفوق منهاج التعليم اللادينية في السهولة وتوفير الوقت ومراعاة نفسية الصغار ، ويتميز عنها في التربية الخلقية والدينية وتهذيب النفس ، مع إفاده الطالب بكل ما تهم معرفته من الشؤون الكونية والتاريخية والمواد العامة ، مبنياً على أحدث مبادئ التعليم واختياراته .

وكان من حق هذه المهمة العلمية الدينية الجليلة - ولها خطرها وأثرها في حياة المسلمين وفي مستقبل التعليم الديني - أن تتألف لها لجان من العلماء والمعلمين الكبار وأصحاب المعاهد الجليلة ، وأن يبذلوا في سبيلها قسطاً صالحاً من أوقاتهم وجهودهم ، وأن يقدموها على كثير من أشغالهم العلمية والسياسية ، فإن هذه المهمة الواسعة المعقدة لا يستقل بها الأفراد ، وإنها لتنوء بالعصبة أولي القوة ، ولكن العلماء - مع الأسف - في شغل شاغل عن هذا العمل الجدي الذي يتضمن صبراً طويلاً وعناء شديداً و اختياراً واسعاً وتعاضداً قوياً ، ثم إنه كثير الخطر بطيء الأثمار قليل الاستهار .

إن خطر هذه المهمة وجلالتها وإن الأخطار المحدقة بنظام التعليم الديني التي تهدد حياة المسلمين الدينية ، واحتغال الأكفاء عنه بما هو أهم لديهم منه ، حتى مؤلف هذه الكتب

على أن يكون جندياً مغامراً في سبيل هذا الجهاد ، وأن يكون عاملاً صغيراً في مهمة التعليم الديني ، وأن يؤدي من حقوق هذه اللغة الكريمة ، ومن حقوق المعلمين الذين حبوا إليه هذه اللغة وسهلوها له ما يستطيع ، وأن يقوم بإذن الله بجزء من أجزاء هذا العمل الجليل رغم ضعف صحته وتشتت باله ، وانشغاله فكره وتزاحم أشغاله وكثرة أسفاره .

قام المؤلف أولاً بوضع مجموعة المختارات في الأدب العربي ، فجاءت بإذن الله تعالى مجموعة تمثل الأدب العربي الإسلامي في جميع مظاهره ومناهيه الأدبية والتاريخية والتهذيبية من العصر الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري ، تجمع بين ألوان الأدب العربي المختلفة وبدائعه من وحي سماوي وبلاهة نبوية ، وخطب لأشهر خطباء العرب في أزهر عصور العربية وروايات وقصص ورسائل وكتب ، ومناقشات ومحاورات ورحلات وأحاديث منزلية متيسطة ، وجد وهزل وحكمة ولهو ، تلقاها بعض الدوائر العلمية والمعاهد - على بطء - بالقبول ، وأدخلتها في مناهج الدرس .

ثم رأى المؤلف كتاباً صغيراً لبعض أدباء مصر في حكايات الأسد والذئاب ، والقردة والدباب ، حتى الخنازير والكلاب ، فصيحة العبارة قليلة المغزى ، عربية الوضع أفرنجية الروح ،

إسلامية اللغة جاهلية السبك ، فيها صور الحيوانات في اللباس الغربي ، فسأله أن لا يقرأ أبناء المسلمين في العربية أيضاً إلا قصص الحيوانات والأساطير والخرافات ، فكتب لهم قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، بأسلوب سهل يحاكي أسلوب الأطفال وطبيعتهم من تكرار الكلمات والجمل ، وسهولة الألفاظ وبسط القصة ، وزين الكتاب بصور مناظر الطبيعة والأبنية المقدسة ، وقد وصفها المرحوم الأستاذ مسعود عالم الندوى بأنها تعلم مبادئ الدين أولًا والأدب ثانياً.

ثم رأى المؤلف أن كل ذلك لا يسد مسد سلسلة القراءة التي تحتوي على مواد في اللغة والأدب متنوعة بأسلوب تدريجي ملائم لذوق الناشئة المسلمة الهندية ، ونشء البلاد الإسلامية عامة ، فوضعها في أجزاء واجتهد في :

(١) أن تكون اللغة أدبية دينية عليها مسحة من جمال أدب الكتاب والسنة .

(٢) استعمال الكلمات المستحدثة التي لها أصل عربي واشتراق صحيح لموضوعات عصرية قد عول المؤلف فيها في الغالب على قرارات مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، حتى لا يلجأ الطالب في استعمال الكلمات العجمية أو الدخيلة ،

أو يكون له لسان آخرس في المناسبات العصرية .

(٣) تكرار المفردات العربية حتى يتمرن عليها الطالب .

(٤) تنوع الموضوعات والمواد لينشط الطالب ويتنقل فيها من فائدة علمية إلى حديث ممتع وحوار لذيد ، ومن درس علمي إلى حكاية تاريخية ، ومن نثر إلى شعر أو نشيد .

(٥) نقل الحكايات الواردة في الحديث إلى لغة تنشأ على أسلوب الحكايات الموضوعة للأطفال .

(٦) دروس خلقية تهذيبية تعلم الآداب الإسلامية في مختلف نواحي الحياة .

(٧) تضمين الدراس الأدبية المأثورة والأداب الدينية بحيث لا يشعر الطالب بأنها تلقى عليه إلقاء بل يحفظها عفواً في ثنايا الدراس والحكايات .

(٨) الروح الديني الساري في الكتاب بحيث لا يمكن تجريد الكتاب منه ، ويعم ذلك الدراس الدينية ودراس المعلومات الكونية والطبيعية والحيوانية والنباتية وعن الاختراعات الحديثة .

وإلى القراء ، أصحاب المدارس وأولياء الأطفال الجزء

الأول من هذه السلسلة ، وسيتلوه إن شاء الله الأجزاء الأخرى ،
والله المسؤول أن ينفع بهذا الكتاب وبيده العصمة والتوفيق ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أبو الحسن علي الحسني
لخمس بقين من رجب ١٣٦٥ هـ
دار العلوم ندوة العلماء لكونه (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

كيف أقضي يومي

أنا مُبَكِّرًا^(١) في اللَّيل وَأَقُومُ مُبَكِّرًا في الصَّبَاحِ ، أَسْتِيقظُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ ، أَسْتَعِدُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ أَذْهَبُ مَعَ وَالِدِي إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَالْمَسْجِدُ قَرِيبٌ مِنْ بَيْتِي ، فَأَتَوْضَأُ وَأَصْلِي مَعَ الْجَمَاعَةِ ، وَأَرْجِعُ إِلَى الْبَيْتِ وَأَتَلُو شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، ثُمَّ أَخْرُجُ إِلَى الْبُسْتَانِ وَأَجْرِيُ ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى الْبَيْتِ فَأَشْرَبُ الْلَّبَنَ وَأَسْتَعِدُ لِلذَّهَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَأَفْطِرُ إِذَا كَانَتْ أَيَّامُ الصَّيفِ ، وَأَتَغَدَّى إِذَا كَانَتْ أَيَّامُ الشَّتَاءِ ، وَأَصِلُّ إِلَى الْمَدْرَسَةِ فِي الْمِيعَادِ .

وَأَمْكُثُ فِي الْمَدْرَسَةِ سِتَّ سَاعَاتٍ ، وَأَسْمَعُ الدُّرُوسَ بِنشَاطٍ

(١) مُبَكِّرًا: مُسْرِعاً.

وَرَغْبَةٍ ، وَأَجْلِسُ بِأَدْبٍ وَسَكِينَةٍ^(١) ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى الْوَقْتُ
وَضُرِبَ الْجَرَسُ خَرَجْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ وَرَجَعْتُ إِلَى الْبَيْتِ .

وَلَا أَقْرَأُ بَعْدَ صَلَاتِ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ
أَمْكُثُ فِي الْبَيْتِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ وَأَشْتَرِي
حَوَائِجَ الْبَيْتِ^(٢) ، وَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَخْرُجُ مَعَ أَبِي أَوْ أَخِي إِلَى
بَعْضِ الْأَقَارِبِ ، أَوْ أَلْعَبُ مَعَ إِخْرَوَتِي وَأَصْدِقَائِي .

وَأَتَعَشَّى مَعَ وَالِدِي وَإِخْرَوَتِي وَأَحْفَظُ دُرُوسِي ، وَأُطَالِعُ^(٣)
لِلْغَدِ وَأَسْتَعِدُ لِلَّدَرْسِ ، وَأَكْتُبُ مَا يَأْمُرُ بِهِ الْمُعَلَّمُ ، وَأَصْلِيُّ
الْعِشَاءَ وَأَقْرَأُ قَلِيلًا ، ثُمَّ أَنَامُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ .

تِلْكَ عَادَتِي كُلَّ يَوْمٍ لَا أُخَالِفُهَا ، وَأَقُومُ مُبَكِّرًا يَوْمَ الْعُطْلَةِ
أَيْضًا ، وَأَصْلِيُّ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَأَتْلُو الْقُرْآنَ ، وَأَقْضِيُّ الْيَوْمَ فِي
مُطَالَعَةِ كِتَابٍ وَمُحَادَثَةٍ مَعَ أَبِي وَأُمِّي وَإِخْرَوَتِي ، وَفِي زِيَارَةِ قَرِيبٍ
أَوْ عِيَادَةِ مَرِيضٍ ، وَأَمْكُثُ أَحْيَانًا فِي الْبَيْتِ ، وَأَخْرُجُ أَحْيَانًا إِلَى
الْخَارِجِ .

* * *

(١) السكينة: الهدوء ، والطمأنينة.

(٢) حوائج البيت: مرافق البيت.

(٣) طالع يطالع مطالعة الكتاب: قرأه.

(٢)

لَمَّا بَلَغْتُ السَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِي

لَمَّا بَلَغْتُ السَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِي أَمْرَنِي أَبِي بِالصَّلَاةِ ، وَكُنْتُ تَعْلَمُ كَثِيرًا مِنَ الْأَدْعِيَةِ وَحَفِظْتُ سُورًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ أُمِّي ، وَكَانَتْ أُمِّي تَكَلَّمُ مَعِي كُلَّ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْمَنَام فَتَقْصُنُ عَلَيَّ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ هَذِهِ الْقِصَصَ بِنَشَاطٍ وَرَغْبَةٍ .

وَبَدَأْتُ أَذْهَبُ مَعَ أَبِي إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَأَقْوَمُ فِي صَفَّ الْأَطْفَالِ خَلْفَ صَفَّ الرِّجَالِ ، وَلَمَّا بَلَغْتُ الْعَاشِرَةَ مِنْ عُمُرِي قَالَ لِي مَرَّةً : قَدْ أَكْمَلْتَ الآنَ مِنْ عُمُرِكَ تِسْعَ سِنِينَ ، وَالآنَ أَنْتَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ فَإِذَا تَرَكْتَ صَلَاةً ضَرَبْتُكَ ، لَا إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ .

وَقَصَّ عَلَيَّ أَبِي قِصَصَ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ حَافَظُوا عَلَى الصَّلَاةِ فِي الصَّغَرِ ، وَكَانَ لَهُمْ شَأنٌ فِي الْكِبَرِ .

قُلْتُ : يَا أَبِي ! إِنِّي لَا تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَضْرِينِي وَسَأُحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ ، فَقَدْ كُنْتُ أُصَلِّي أَيْنَمَا كُنْتُ ، كُنْتُ إِذَا ذَهَبْتُ إِلَى السُّوقِ أَوْ كُنْتُ فِي شُغْلٍ وَأَدْرَكَتِنِي الصَّلَاةُ فِي مَكَانٍ صَلَيْتُ ، لَأَنِّي أَرَى النَّاسَ لَا يَخْجَلُونَ مِنَ الْأَكْلِ إِذَا جَاءُوا ، وَاللَّعِبِ إِذَا أَرَادُوا ، فَلَمَّاذَا أَخْجَلُ مِنَ الصَّلَاةِ ؟ وَإِنَّ الصَّلَاةَ لَفَرِيْضَةٌ ، وَإِنَّ الصَّلَاةَ لَشَرَفٌ لِلْمُسْلِمِ .

وَخَرَجْتُ مَرَّةً إِلَى مُبَارَاه^(۱) وَكَانَ الزَّحَامُ شَدِيدًا ، وَأَدْرَكَتِنِي^(۲) صَلَاةُ الْعَصْرِ وَكُنْتُ عَلَى وُضُوءٍ ، فَقَمْتُ أُصَلِّي وَجَعَلَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَيَتَعَجَّبُونَ ، وَأَكْمَلْتُ صَلَاتِي بِسَكِينَةٍ وَاعْتِدَالٍ وَرَجَعْتُ إِلَى الْمُبَارَاهِ .

وَلَمَّا انتَهَتِ الْمُبَارَاهُ جَاءَ إِلَيَّ رَجُلٌ وَسَائِلِنِي عَنِ اسْمِي وَاسْمِ وَالدِّينِ ، وَسَائِلِنِي عَنْ سِنِّي فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَثْنَى عَلَى أَبِي خَيْرًا ، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ ، وَقَالَ : مَا رَأَيْتُ وَلَدًا يُصَلِّي فِي الْمُبَارَاهِ وَيَتَرُكُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، فَحَمِدْتُ اللَّهَ وَشَكَرْتُ أَبِي .

(۱) المُبَارَاه (ج) المباريات: مكان المنافسة الرياضية بين فريقين أو فردين.

(۲) أَدْرَكَتِنِي صلاة العصر: أي لحقتنِي.

وَلَا أَتُرُكُ الصَّلَاةَ إِذَا كُنْتُ مُسَافِرًا وَأَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
يُصَلِّونَ فِي الْحَاضِرِ وَيَتَرُكُونَ الصَّلَاةَ فِي السَّفَرِ ، وَيُصَلِّونَ فِي
الصَّحَّةِ وَلَا يُصَلِّونَ فِي الْمَرَضِ ، مَعَ أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَسْقُطُ عَنْ
أَحَدٍ.

وَأَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يُصَلِّونَ بِاعْتِدَالٍ وَسَكِينَةٍ وَيُسْرِعُونَ
كَثِيرًا ، وَلَا أَذْكُرُ أَنِّي تَرَكْتُ صَلَاةً فِي هَذِهِ السَّنَوَاتِ الْأَرْبَعِ ،
وَإِذَا نِمْتُ عَنْهَا^(۱) أَوْ نَسِيْتُهَا صَلَّيْتُهَا إِذَا تَذَكَّرْتُ .
وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى التَّوْفِيقَ وَالثَّبَاتَ^(۲) .

* * *

(۱) نام عنه: غفل عنده.

(۲) الثبات: الاستقرار.

(٣)

النَّمَلَةُ

لَسْتُ أَرْضَى بِالْكَسْلِ
لَا يَبْالِي^(٤) بِالْتَّعْبِ
يُنْظِمُ سَامِ لِلسَّكَنِ
لَسْتُ يَوْمًا أَلَعْبُ
لِي طَعَامًا يُشْبِعُ
كَانَ لِي بَيْتٌ يَقْرِرُ
طَالَ سَعْيِ^(١) بِالْأَمْلِ
غَايَتِي^(٢) نَيلُ^(٣) الْطَّلبِ
أَبْتَنَيَ الْبَيْتَ الْحَسَنِ
وَلَقُوتِي^(٥) أَذْهَبِ
كُلَّ صَيْفٍ أَجْمَعُ
فَإِذَا جَاءَ الْمَطَرُ^(٦)

(١) سَعَى: جهد ، جدّ.

(٢) الغاية (ج) الغايات: الهدف.

(٣) النيل: الحصول.

(٤) لا يبالي بالتعب: لا يحتفل به ، لا يكتثر له.

(٥) القوت (ج) الأقوات: ما يأكله الإنسان ويعيش به.

(٦) المقر (ج) المقار: موضع الاستقرار.

ذَاكَ شَائِئِيْ فِي الصُّغَرِ
وَنَظَامِيْ فِي الْكِبَرِ
إِنِّي نِعْمَ الْمَثَلُ^(١)
بِاجْتِهَادِيْ فِي الْعَمَلِ
(مَبَادِئُ الْقِرَاءَةِ الرَّشِيدَةِ)



(١) نِعْمَ الْمَثَلُ : المَثَلُ : الْعِبْرَةُ التِي يُعْتَبَرُ بِهَا .

(٤)

في السوقِ



عمر: هل زُرت سُوقَ هَذَا الْبَلْدِ يَا صَدِيقِي؟

خَالِدٌ: لَا يَا أَخِي ، فَإِنِّي غَرِيبٌ جَدِيدٌ فِي هَذَا الْبَلْدِ لَا أَعْرِفُ الطَّرِيقَ .

عُمَرٌ: تَعَالَ مَعِي فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى السُّوقِ لأشْتَرِي بَعْضَ

الْحَوَائِجِ، وَتَرْجِعُ قَبْلَ الْمَغْرِبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَإِنَّ السُّوقَ غَيْرُ
بَعِينَةٍ.

خَالِدٌ: مَا شَاءَ اللَّهُ هَذِهِ سُوقٌ كَبِيرَةٌ وَالدَّكَاكِينُ نَظِيفَةٌ جَمِيلَةٌ ،
وَمَا هَذَا الدُّكَانُ الْجَمِيلُ إِلَى الْيَمِينِ يَا عُمَرُ؟

عُمَرُ: هَذَا دُكَانٌ فَاكِهَانِيٌّ ، أَلَا تَرَى إِلَى الْفَوَاكِهِ وَتَرَى النَّاسَ
يُسَاوِمُونَ^(١) الْفَاكِهَانِيَّ فِيهَا .

خَالِدٌ: أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِي شَيْئاً مِنَ الْفَوَاكِهِ ، الْمَوْزَ وَالْجَوَافَةَ
وَالْبُرْتُقَالَ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوكَ بَعْضَ الْإِخْرَانِ إِلَى الْفُطُورِ
بُكْرَةً^(٢) .

عُمَرُ: الْجَوَافَةُ غَالِيَةٌ جِدًا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَالْبُرْتُقَالُ حَامِضٌ
وَلَا بَأْسَ^(٣) بِالْمَوْزِ .

خَالِدٌ: تَفَضَّلْ يَا أخِي نُسَاوِمُ الْفَاكِهَانِيَّ .

عُمَرُ: أَحْسَنُ أَنْ نَشْتَرِي الْفَوَاكِهَ مِنْ سُوقِ الْخُضْرِ بُكْرَةً ، فَإِنَّ
الْفَوَاكِهِ وَالثَّمَارِ فِيهَا كَثِيرَةٌ وَرَخِينَصَةٌ .

خَالِدٌ: هَذَا هُوَ الرَّأْيُ ، وَمَا هَذِهِ الدَّكَاكِينُ يَا عُمَرُ؟

(١) يُسَاوِمُونَ (ساوم يساوم مساومة): يفاوضون في البيع والشراء .

(٢) بُكْرَةً: أول النهار إلى طلوع الشمس .

(٣) لَا بَأْسَ بِهِ: لا مانع أو عيب فيه .

عُمَرٌ: هَذِهِ دَكَائِنُ الْقُمَاشِ ، أَلَا تَرَى كَيْفَ بَسَطُوا أَنْوَاعًا مِنَ الْقُمَاش وَكَيْفَ يَلْمَسُهَا النَّاسُ وَيُسَاوِيُونَ فِيهَا التُّجَارَ ، تَعَالَ ! فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِي حِذَاءً .

خَالِدٌ: تَفَضَّلْ فَإِنِّي صَاحِبُكَ .

عُمَرٌ: مِنْ فَضْلِكَ أَخْرُجْ لِي حِذَاءً مُطَابِقًا^(۱) .

صَاحِبُ الدُّكَانِ: هَذَا حِذَاءً جَمِيلٌ وَمَتِينٌ .

عُمَرٌ: نَعَمْ ! وَلِكِتَّهُ وَاسِعٌ قَلِيلًا .

صَاحِبُ الدُّكَانِ: وَهُذَا الْآخَرُ مُطَابِقٌ تَمَامًا .

عُمَرٌ: بِكُمْ هُوَ ؟

صَاحِبُ الدُّكَانِ: بِسِتٍّ رُبَيْبَاتٍ^(۲) .

عُمَرٌ: أَلَا تَنْزِلُ فِي الشَّمَنِ ؟

صَاحِبُ الدُّكَانِ: لَنْ تَجِدَ يَا سَيِّدِي أَرْخَصَ مِنْ هَذَا فِي السُّوقِ .

(۱) مُطَابِقًا لِشَيْءٍ: موافقاً له ، ليس مختلفاً عنه .

(۲) رببة: جمع رببات: اسم العملة ، تستعمل في الهند ، وباكستان ، وأندونيسيا وماليزيا .

عُمَرُ: أُصَدِّقُكَ لَا تَكَلَّ مُسْلِمٌ وَالْمُسْلِمُ لَا يَكْذِبُ وَلَا يَغْشُ^(١).

خَالِدُ: وَمَا هَذَا الْمَكَانُ الَّذِي يَأْكُلُ فِيهِ النَّاسُ؟

عُمَرُ: هَذَا مَطْعَمٌ يَأْكُلُ فِيهِ النَّاسُ ، وَالْمَطَاعِمُ فِي الْبَلْدِ كَثِيرَةٌ.

خَالِدُ: مَا لِي لَمْ أَرَ مَطْعَمًا فِي الْقَرَيَةِ؟

عُمَرُ: لَا إِنَّ الْبَلْدَ فِيهِ غُرَبَاءٌ وَمُسَافِرُونَ لَيْسَ لَهُمْ بِيُوْتٍ يُقِيمُونَ فِيهَا وَيَأْكُلُونَ فِيهَا ، فَيَأْكُلُونَ فِي الْمَطَاعِمِ ، أَمَّا الْقَرَيَةُ فَالْغَرِيبُ فِيهَا قَلِيلٌ فَلَا حَاجَةٌ فِي الْقَرَيَةِ إِلَى الْمَطْعَمِ.

خَالِدُ: وَأَيْنَ نَجِدُ الْوَرَقَ وَالْحِبْرَ وَالْقَلَمَ وَالْمِرْسَمَ وَالنَّشَافَةَ^(٢) وَأَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ.

عُمَرُ: هَذَا دُكَانٌ وَرَاقٌ تَجِدُ فِيهِ جَمِيعَ حَوَائِجِ الْمَدْرَسَةِ.

خَالِدُ: أَشْكُرُكَ يَا صَدِيقِي الْكَرِيمَ فَقَدْ أَفْدَيْتِنِي كَثِيرًا ، وَأَرَى أَنْ تَرْجِعَ الآن إِلَى الْبَيْتِ وَنُصَلِّي الْمَغْرِبَ هُنَا.

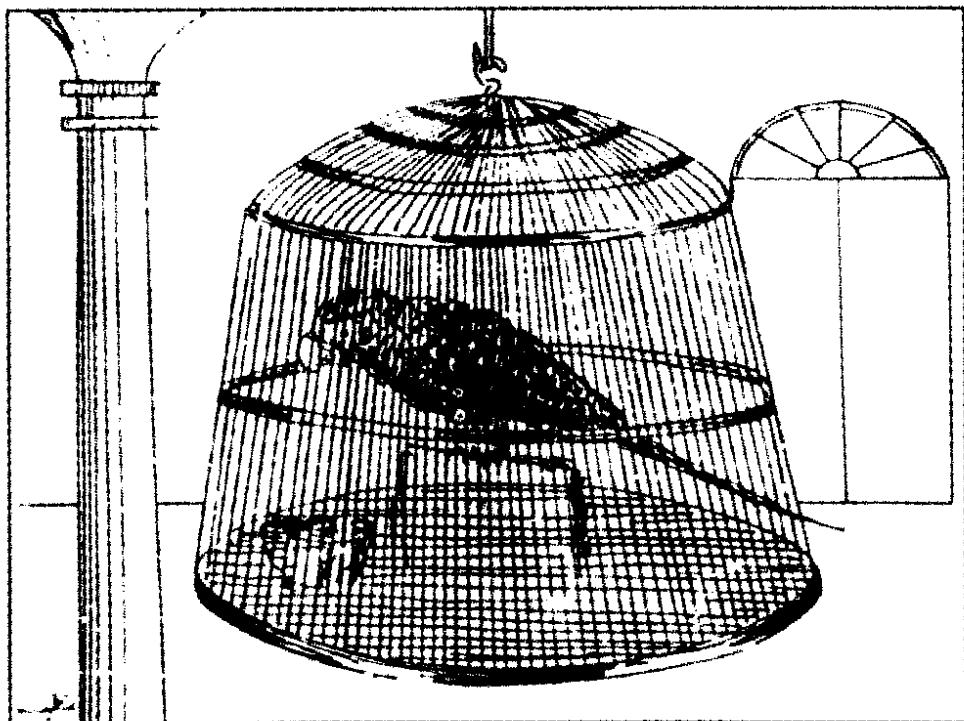
عُمَرُ: نَعَمْ! وَمَا بَقِيَ لِي شُغْلٌ.

(١) يَغْشُ (غَشَّ يَغْشُ غَشًّا): يَخْدَعُ.

(٢) النَّشَافَةَ (ج) النَّشَافَات: خرقـة ونحوـها تستعمل لتنـشيف الماء وغـيره.

(٥)

الطَّائِرُ



الْجَبْسُ لَيْسَ مَذْهَبِي^(١) وَلَيْسَ فِيهِ طَرَبِي^(٢)

(١) مَذْهَب (ج) مذاهب: طريقة.

(٢) طَرَب: خفة وهزة تثير النفس لفرح أو حزن أو ارتياح وأغلب ما يستعمل اليوم في الارتياح.

وَإِنْ يَكُنْ مِنْ ذَهَبٍ
وَالْعَيْشُ فِيهَا مَطْلَبٌ^(١)
وَرَاقٌ^(٢) فِيهَا مَشْرَبٌ
مِنْ مَاءِ نَبْعٍ أَغْذَبٌ
فَالْحَبْسُ لَيْسَ مَذْهَبٌ
«مَدَارِجُ الْقِرَاءَةِ»

فَلَسْتُ أَرْضَى قَصَّاً
غَابَاتُ رَبِّي غَایَتِي
قَدْ طَابَ فِيهَا مَطْعَمٌ
أَذْهَبُ فِيهَا أَسْتَقِي
أَصْدَحُ^(٣) فِيهَا مُطْلَقاً^(٤)

* * *

(١) مَطْلَبٌ (ج) مَطَالِبٌ: هدف.

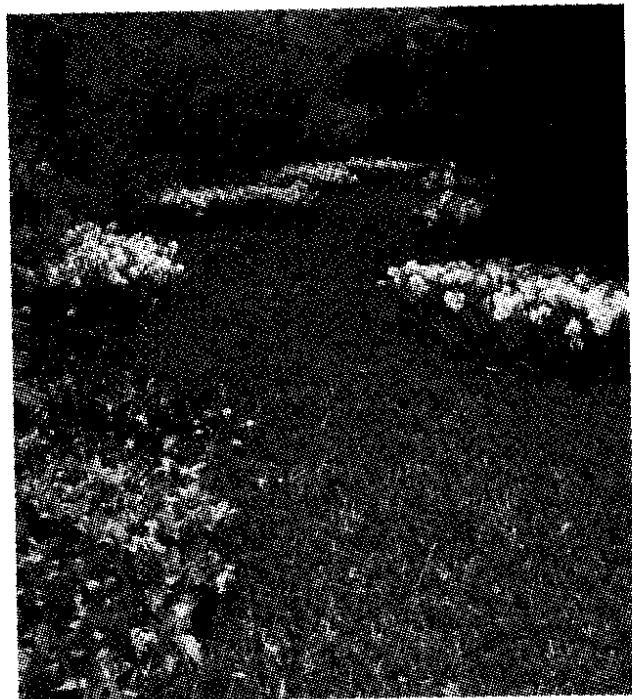
(٢) رَاقٌ يَرُوقُ رُوقًا: الشيء أَعْجَبَه.

(٣) أَصْدَحُ (صَدَحَ يَصْدَحُ صَدْحًا): أَغْرِدَ.

(٤) مُطْلَقاً: حُرّاً.

(٦)

نَرْهَةُ وَطَبْخٌ



كَانَ يَوْمُ الْثَّلَاثَاءِ الْمَاضِيَّ يَوْمَ عُطْلَةٍ فِي الْمَدْرَسَةِ. جَاءَ إِلَيَّ
دَاؤُدُّ صَبَاحًا وَقَالَ: الْيَوْمُ يَوْمُ الْعُطْلَةِ، أَلَا نَخْرُجُ إِلَى بُسْتَانِ ، أَوْ
مَكَانٍ فِي ضَوَاحِي^(١) الْمَدِينَةِ نَرْتَعُ^(٢) وَنَلْعَبُ، وَنَطْبُخُ مِنَ الطَّعَامِ

(١) الضواحي جمع الضاحية: التواحي جمع الناحية.

(٢) رَتَعَ يَرْتَعُ رَتْعًا: في المكان: أقاموا وتنعموا وأكلوا فيه وشربوا
ما شاؤوا في خصبة وسعة.

مَا نَشَهِيْنَ وَنَأْكُلُ ، وَتَرْجَعُ فِي الْمَسَاءِ ، قُلْتُ : هُوَ كَذَلِكَ ! وَأَنَا كُنْتُ أَفْكُرُ أَيْضًا كَيْفَ أَقْضِي هَذَا الْيَوْمَ ، وَلَكِنْ كَلْمَ أَخَالَ سُلَيْمَانَ وَالْأَخَ هَاشِمًا وَالسَّيِّدَ عُمَرَ لَعَلَّهُمْ يَخْرُجُونَ مَعَنَا .

وَاقَ دَاؤُدُ عَلَى ذَلِكَ وَكَلْمَهُمْ ، وَفَرِحُوا جِدًّا وَجَاءُوا إِلَيَّ بَيْتِيْ مِنْ سَاعَتِهِمْ وَصَدِيقُنَا خَالِدٌ فَقَرِحْنَا بِهِ وَقُلْنَا : مَرْحَبًا .

اجْتَمَعْنَا وَقُلْنَا : هَلْ نَقْصِدُ بُسْتَانَ مِنْ بَسَاتِينِ الْمَدِينَةِ أَوْ نَتَوَجَّهُ إِلَى ضَاحِيَةِ مِنْ ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ .

قَالَ دَاؤُدُ وَعُمَرُ : بَلْ نَقْصِدُ الْبُسْتَانَ الْكَبِيرَ فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ ، فَإِنَّ الْبُسْتَانَ قَرِيبٌ فَلَا يَضِيعُ وَقُلْنَا فِي الذهابِ إِلَى ضَاحِيَةِ مِنْ ضَوَاحِي الْبَلَدِ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ وَهَاشِمٌ وَأَنَا مَعَهُمَا : بَلْ نَتَوَجَّهُ إِلَى بَعْضِ الضَّوَاحِيْنِ لَأَنَّا نُرِيدُ أَنْ نَطْبَخَ الطَّعَامَ وَنَقْضِي النَّهَارَ فِي التَّرْهَةِ وَالْطَّبِخِ .

فَاسْتَقَرَ رَأْيَنَا عَلَى الذهابِ إِلَى الضَّاحِيَةِ ، فَاكْتَرَيْنَا^(۱) مَرْكَبَةً وَوَصَلْنَا مِنْ سَاعَتِنَا إِلَى الضَّاحِيَةِ .

وَكُنَّا أَخْذَنَا مَعَنَا الرُّزْرُ وَاللَّحْمَ وَالتَّوَابِلَ وَالسَّمْنَ وَالْخُضْرَ وَأَخْذَنَا قِدْرَيْنِ وَأَوَانِيَ ، وَكُنَّا عَلِمْنَا أَنَّ فِي الْمَحَلِّ خَبَازًا فَقُلْنَا

(۱) اكْتَرَى يَكْتَرِي اكْتَرَاءً : فَلَانُ الدَّارَ وَنَحْوُهَا : اسْتَأْجِرَهَا .

نَسْتَرِي الرَّغِيفَ فَإِنَّ الرَّغِيفَ فِيهِ تَعْبٌ .

اخْتَرْنَا مَكَانًا ظَلِيلًا^(۱) وَكَانَ السَّيِّدُ عُمَرُ وَالسَّيِّدُ هَاشِمٌ يُحْسِنَانِ الطَّبَخَ فَتَوَلَّتَا أَمْرَ الطَّبَخِ وَسَاعَدَهُمَا دَاؤُدُ وَسُلَيْمَانُ .

وَتَوَلَّتُ أَمْرَ الْحَطَبِ فَذَهَبْتُ إِلَى الْغَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَجِئْتُ بِالْحَطَبِ مِنْ سَاعَتِي ، وَدَقَّ خَالِدُ التَّوَابِلَ وَذَهَبْتُ أَنَا إِلَى الْخَبَازِ فَأَشْتَرَيْتُ الْأَرْغَفَةَ .

وَأَدْرَكَ الطَّعَامُ فِي السَّاعَةِ الْحَادِيَةِ عَشَرَةً ، وَقَدْ غَلَبَنَا الْجُوعُ وَاشْتَهَيْنَا الطَّعَامَ فَأَكَلْنَا بِرَغْبَةٍ ، وَكَانَ الطَّعَامُ شَهِيًّا لَذِيدًا .

وَجَلَسْنَا نَتَحَدَّثُ حَتَّى كَانَ وَقْتُ الظَّهَرِ فَأَذْنَتُ وَصَلَيْنَا جَمَاعَةً .

وَخَرَجْنَا بَعْدَ الصَّلَاةِ نَزُورُ بَعْضَ الْآثَارِ ، وَفِي الْعَصْرِ رَجَعْنَا إِلَى الْبَلْدِ مَسْرُورِينَ .

* * *

(۱) الظَّلِيلُ: ذُو الظَّلِيلِ .

(٧)

مِنْ يَمْنَعُكَ مِنْيِ؟

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْأَنْصَارِ ! هَلْ تَعْرِفُونَ مَا هِيَ الْغَزْوَةُ ؟
لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَخْرُجُونَ لِلْجَهَادِ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَكَانُوا يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكُفَّارَ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَعَلَّكُمْ
تَعْلَمُونَ فَضْيَلَةَ الْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ
أَحْيَانًا مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَحْيَانًا يَمْكُثُ فِي الْمَدِينَةِ لِشُغْلٍ أَوْ مَصْلَحةٍ
وَيَبْعَثُ جُنْدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

فَالْغَزْوَةُ مَا خَرَجَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جُنْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
لِلْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

نَعَمْ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ وَرَجَعَ عَنْهَا فِي
الظَّهِيرَةِ^(١) وَكَانَتْ أَيَامُ الصَّيْفِ فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْتَرِيحَ .

(١) الظَّهِيرَةُ : وقت الظَّهَرِ .

وَلَيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ^(١) مَكَانٌ يَسْتَرِيحُ فِيهِ الْإِنْسَانُ إِلَّا
الشَّجَرُ .

وَلَيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ شَجَرٌ كَثِيرٌ وَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا
السَّمُومُ .

فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمُورَةَ^(٢) وَعَلَقَ بِهَا سَيْفَهُ ، وَتَفَرَّقَ
النَّاسُ وَنَامُوا ، وَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ السَّمُورَةِ .

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُعْلَقٌ
بِالسَّمُورَةِ وَهُوَ فِي غِمْدِهِ .

فَأَخَذَ الْمُشْرِكُ السَّيْفَ وَسَلَّهُ مِنْ غِمْدِهِ وَاسْتَيْقَظَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

فَقَالَ الْمُشْرِكُ . . . وَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ فِي يَدِهِ . . .
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : تَخَافُنِي ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا !

قَالَ الْمُشْرِكُ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُ !

(١) البرية: الأرض.

(٢) السمورة: ضرب من شجر الطلح.

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِ الْمُشْرِكِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمُشْرِكِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟
فَقَالَ الْمُشْرِكُ: كُنْ خَيْرًا أَخِذْ!
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَشَهَّدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي
رَسُولُ اللَّهِ؟
قَالَ الْمُشْرِكُ: لَا! وَلِكِنِّي أُعَاهِدُكَ عَلَى أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ
وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ!
فَخَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبِيلَهُ^(١).
فَأَتَى الْمُشْرِكُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ^(٢).

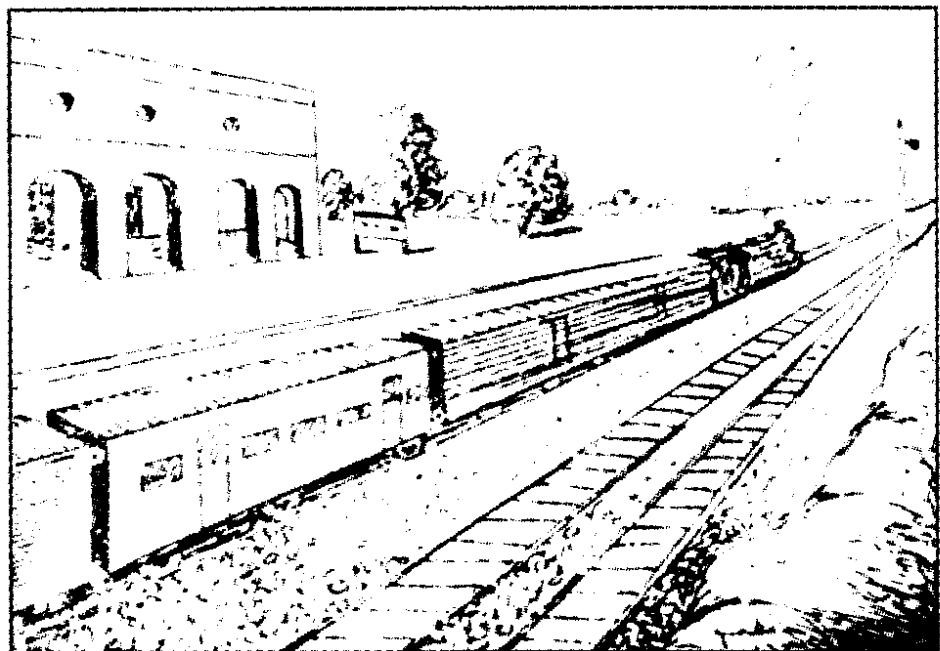
* * *

(١) خَلَّ سَبِيلَهُ: تَرَكَهُ.

(٢) مُلْتَقَطٌ مِنَ الصَّحِيحَيْنِ وَصَحِيحِ أَبِي بَكْرِ الإِسْمَاعِيلِيِّ.

(٨)

سَفَرُ الْقِطَارِ



لَا أَنْسَى سَفَرِيُّ الْأَوَّلَ ، عَلِمْتُ أَنِّي مُسَافِرٌ بُكْرَةً مَعَ أُمِّيْ
وَإِخْوَتِيْ ، فَاسْتَيْقَظْتُ قَبْلَ السَّحَرِ وَبَقِيْتُ أَنْتَظِرُ سَاعَةَ السَّفَرِ ،
وَاسْتَيْقَظَ أَهْلُ الْبَيْتِ مُبَكِّرِينَ ، وَصَلَّيْنَا الصُّبْحَ ، وَجَاءَ عَمَّيْ
وَبَدَأَتْ فِي الْبَيْتِ حَرَكَةً وَأَصْوَاتُ ، هَذَا يَجْرِيْ وَذَلِكَ يَلْفُ
الْفِرَاشَ^(١) وَهُذَا يُنَادِيْ وَذَلِكَ يُجِيْبُ ، وَالْعَمُّ يَغْضَبُ

(١) لَفَّ يَلْفُ لَفَّاً: الفراش ونحوه: طواه.

وَيَسْتَعْجِلُ ، وَالْوَالِدُ قَائِمٌ يَأْمُرُ وَيَنْهَا ، وَيَغْضَبُ وَيُرْشِدُ ،
وَالْخَادِمُ يُهَمِّي^(١) الزَّادَ ، حَتَّى كَانَ وَقْتُ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ
وَقَرْبَ مِيعَادِ الْقِطَارِ .

جَاءَتْ مَرْكَبَاتِنِ فَرَكِبَنَا هُمَا ، وَسَلَّمْتُ عَلَى أَبِيهِ فَوَدَّعَنِي وَدَعَا
لِي ، وَوَصَلْنَا إِلَى الْمَحَاطَةِ فَأَخَذَ الْحَمَالُونَ الْحَوَائِجَ وَالْمَتَاعَ ،
وَكَانَتْ أَيَّامُ شِتَّاءٍ فَكَانَتِ الْفُرُشُ كَبِيرَةً ، وَذَهَبَ عَمَّيْ فَاشْتَرَى
تَذَاكِرَ الْقِطَارِ .

وَسَأَلْتُ عَمَّيْ عَنِ النَّوْلِ^(٢) فَقَالَ: إِنَّ النَّوْلَ ثَلَاثُ رُبَيَّاتٍ ،
وَرُبَيَّةٌ وَنَصْفٌ لَكَ .

وَقُلْتُ لِعَمَّيْ: أَعْطِنِي تَذَكِرَتِي . فَقَالَ عَمَّيْ: إِنَّكَ تُضَيِّعُ
تَذَكِرَتَكَ ، فَقُلْتُ: لَا! سَأُحَافِظُ عَلَى تَذَكِرَتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
فَأَعْطَانِي تَذَكِرَتِي وَوَضَعْتُهَا عِنْدِي . دَخَلْنَا الْمَحَاطَةِ فَرَأَيْنَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأَطْفَالًا وَرَأَيْنَا زِحَاماً شَدِيدًا وَسَمِعْنَا أَصْوَاتَ النَّاسِ
وَالْأَطْفَالِ وَصَيْحَةَ الْحَمَالِينَ وَصَفِيرَ الْقَاطِرَةِ .

وَكَانَ قِطَارُنَا مُتأَخِّرًا فَذَهَبْنَا إِلَى الْمَنْظَرَةِ وَجَلَسْنَا قَلِيلًا ، ثُمَّ

(١) هَيَّأْ يُهَمِّي: أَعَدَ يُعِدُّ .

(٢) النَّوْل: أَجْرِ السَّفِينةِ ، وَيُمْكِنُ إِطْلَاقُهُ عَلَى قِيمَةِ تَذَكِرَةِ السَّفَرِ .
وَالنَّوْل: خَشْبَةُ الْحَائِكِ أَوْ أَلْتَهُ يَنْسِجُ عَلَيْهَا جَأْنَوَالِ .

جئتُ إِلَى الرَّصِيفِ^(١) لَأَرَى هَلْ جَاءَ الْقِطَارُ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى
الْمَنْظَرَةِ.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَ الْقِطَارُ فَخَرَجْنَا مِنَ الْمَنْظَرَةِ، وَقَامَ النَّاسُ
كُلُّهُمْ عَلَى الرَّصِيفِ وَوَقَفَ الْقِطَارُ، وَنَزَلَ أُنَاسٌ وَرَكِبَ أُنَاسٌ
وَرَكِبَنَا.

وَكُنْتُ أُطِلُّ مِنَ الْقِطَارِ وَأَرَى الْمَنَاظِرَ، وَكَانَ الزَّحَامُ شَدِيدًا
فِي الْقِطَارِ، وَجَاءَ الْبَاعَةُ وَجَعَلَ النَّاسَ يَشْتَرُونَ وَيَأْكُلُونَ،
وَاشْتَرَى بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْبَاعَةِ هَدَائِيَا لِأَصْدِقَائِهِمْ وَأَقْارِبِهِمْ.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ صَفَرَ أَمِينُ الْقِطَارِ وَهَزَ الْعَلَمُ الْأَخْضَرُ فَأَسْرَعَ
النَّاسُ وَدَخَلُوا فِي الْقِطَارِ، وَتَحَرَّكَتِ الْقَاطِرَةُ وَسَارَ الْقِطَارُ.
وَدَخَلَ نَقَابً^(٢) فِي عَرَبَتِنَا فَنَقَبَ تَذَاكِرَنَا وَرَدَهَا إِلَيْنَا.

وَفِي الطَّرِيقِ تَغَدَّيْنَا بِالزَّادِ وَأَكَلْنَا وَشَرَبْنَا وَحَمِدْنَا اللَّهَ.
وَلَمْ يَزَلْ يَقِفُ الْقِطَارُ عَلَى الْمَحَطَّاتِ وَيَسِيرُ حَتَّى وَصَلَ وَقْتُ
الظُّهُرِ فَتَوَضَّأْنَا بِسُرْعَةٍ عَلَى مَحَطَّةٍ وَصَلَيْنَا صَلَةَ السَّفَرِ، صَلَيْنَا
الظُّهُرَ رَكْعَتَيْنِ وَسَلَّمْنَا، وَصَفَرَ أَمِينُ الْقِطَارِ فَرَكِبَنَا سَرِيعًا.

(١) الرَّصِيف (ج) الأَرْصِيفَةُ: مَكَانٌ مُرْتَفَعٌ تَقْفَ أَمَامَهُ السُّفُنُ وَالْقِطَارَاتُ
وَنَحْوُهَا.

(٢) النَّقَابُ: قَاطِعُ التَّذَاكُرِ، كُمْسَارِي.

وَقَالَ عَمِّيْ: لَوْ كَانَ الْقَطَارُ لِلْمُسْلِمِينَ لَكَانَ فِيهِ مَكَانٌ
لِلْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ ، نُؤَذِّنُ فِيهِ وَنَصَلِّي جَمَائِعَهُ .

وَفِي الْعَصْرِ وَصَلَ الْقَطَارُ إِلَى مَحَاطَتِنَا ، وَكُنْتُ أَطْلُّ مِنَ
النَّافِذَةِ فَرَأَيْتُ هَاشِمًا وَسَعِيدًا عَلَى الرَّصِيفِ وَعَرَفْتُهُمَا وَسَلَّمْتُ
عَلَيْهِمَا وَسَلَّمًا عَلَيَّ .

وَوَصَلْتُ إِلَى قَرْيَتِي وَقَابَلْتُ أَصْدِقَائِي وَإِخْرَانِي وَجَعَلْتُ
أُحَدِّثُهُمْ حَدِيثَ الْبَلَدِ وَأَخْبَرْهُمْ بِعَجَائِبِهِ وَأَحْكَمْتُ لَهُمْ مَا رَأَيْتُ فِي
السَّفَرِ .



(٩)

ماذَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟

سَأَلَ الْمُعَلِّمُ التَّلَامِيْذَ مَرَّةً فِي الصَّفَّ وَاحِدًا وَاحِدًا: مَاذَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟

وَقَالَ: كُلُّ وَاحِدٍ حُرٌّ فِي جَوَابِهِ فَلَا يَخْفُ وَلَا يَسْتَحِيْ.

وَقَالَ أَحْمَدُ وَكَانَ أَصْغَرُ التَّلَامِيْذِ: أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ سَائِقًا فِي الْقِطَارِ، فَأَرْكَبَ دَائِمًا وَأُسَافِرُ مَجَانًا وَأَتَنَزَّهُ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: إِنَّ سَائِقَ الْقِطَارِ فِي تَعْبٍ عَظِيمٍ وَحَرًّا وَجَحِيْمٍ^(١)، وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ رُبَّانًا^(٢) فِي بَارِخَةٍ، فَأُسَافِرُ فِي الْبَحْرِ وَأَرْوُرُ الْبِلَادَ الْبَعِيْدَةَ مَجَانًا وَأَشَاهِدَ عَجَائِبَ الدُّنْيَا.

وَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ: الرِّبَّانُ وَبَاخِرَتُهُ فِي خَطَرٍ مِّنَ الغَرَقِ، وَلَكِنِّي

(١) الجَحِيْمُ: النار الشديدة التأجج.

(٢) الرَّبَّان (ج) الرَّبَّابِين والرَّبَّابَة: رئيس الملاحين في السفينة.

أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ طَبِيبًا فَأُدَاوِي^(١) النَّاسَ وَأَدَاوِيَ الْفُقَرَاءَ مَجَانًا ، وَأَخْدِمَ الْخَلْقَ وَأَحَافِظَ عَلَى صِحَّتِي وَأَعِيشَ بِأَمْنٍ وَسَلَامٍ .

وَأَجَابَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَالَ : هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، لَيْسَتِ الْبَاخِرَةُ فِي خَطْرٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، وَالْبَوَاخِرُ تُسَافِرُ دَائِمًا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بِأَمْنٍ وَسَلَامٍ ، وَبِالْعَكْسِ أَرَى الْأَطْبَاءَ يَمْرَضُونَ وَيَمُوتُونَ . وَقَاطَعَهُ إِبْرَاهِيمٌ وَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ بَارِخَةً غَرِقَتْ قَبْلَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمٌ أَنْ يُجِيبَهُ وَلِكِنْ قَالَ الْمُعَلَّمُ : وَهَذَا لَيْسَ وَقْتَ مُنَاظَرَةٍ وَقَدْ بَقِيَ كَثِيرٌ مِنَ الْطَّلَبَةِ ، وَمَاذَا تَقُولُ يَا قَاسِمُ؟

قَالَ قَاسِمٌ : أَنَا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ سَائِقًا أَوْ رُبَّانًا أَوْ طَبِيبًا ، بَلْ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ فَلَاحًا ، أَزْرَعُ وَأَحْرُثُ ، وَلَا أَحْدُ يَخْدِمُ النَّاسَ وَيَنْفَعُهُمْ كَالْفَلَاحِ ، وَهُوَ الَّذِي يَزْرَعُ الْحُبُوبَ وَالْخُضْرَ فَيَأْكُلُ النَّاسُ وَالدَّوَابُ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ : أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ تَاجِرًا ، لِي دُكَانٌ كَبِيرٌ فِي سُوقٍ كَبِيرٍ يَأْتِي النَّاسُ إِلَيَّ وَيَشْتَرُونَ .

وَقَالَ حَامِدٌ : أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ صَنَاعًا مَاهِرًا وَمُخْتَرِعًا أَصْنَعُ وَأَخْتَرُعُ الْأَشْيَاءَ الْعَجِيبةَ .

(١) دَاؤِي يُدَاوِي مُدَاوَاةً : الطَّبِيبُ الْمَرِيضُ : عَالَجُهُ وَوَصَّفَ لَهُ الدَّوَاءَ .

وَقَالَ خَالِدٌ: أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ جُنْدِيًّا قَوِيًّا أُقَاتِلُ الْكُفَّارَ
وَالْمُشْرِكِينَ وَأَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ: أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ غَنِيًّا كَبِيرًا أَلْبَسْ
مَا أُحِبُّ وَأَكُلُّ مَا أَشْتَهِي وَأَسَافِرُ إِلَى أَيْنَ أُرِيدُ ، وَدَائِمًا عِنْدِي
مَالٌ كَثِيرٌ وَأَسْكُنُ فِي قَصْرٍ كَبِيرٍ .

وَضَحِكَ الْأَوْلَادُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْكَرِيمِ وَخَجلَ عَبْدُ الْكَرِيمِ .

وَقَالَ مُحَمَّدٌ: أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَالِمًا أَخَافُ اللَّهَ وَأَعْبُدُهُ ،
وَأَعِظُ النَّاسَ وَأَمْرُهُمْ بِالْمُعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَحَذِّرُهُمْ^(۱) عَذَابَ اللَّهِ .

قَالَ الْمُعَلَّمُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَوْلَادِي وَأَنَا أَدْعُو لَكُمْ بِالْتَّوْفِيقِ
وَالنَّجَاحِ ، وَلَكِنْ كُوْنُوا مُسْلِمِينَ وَابْتَغُوا اللَّهَ بِعَمَلِكُمْ وَانْفَعُوا
الدِّينَ بِشُغْلِكُمْ وَأَخْدِمُوا الْأُمَّةَ بِعِلْمِكُمْ .

قَالَ التَّلَامِيْذُ: وَمَاذَا تَقُولُ أَيُّهَا الْأَسْتَاذُ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ
وَقَصْرِهِ؟

قَالَ الْمُعَلَّمُ: الْمَالُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْهَا الشُّكْرُ ، وَسَعِينُ
جِدًا مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَيَتَسْغِي بِهِ

(۱) حَذَّرَ يُحَذَّرَ تَحْذِيرًا: نَبَهَ.

مَرْضَاةُ اللَّهِ وَيَخْدِمُ بِهِ الإِسْلَامَ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ :
«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْتَنَيْنِ ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَسَلَطَهُ عَلَى هَلْكَتِهِ
فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا» .
وَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ غَنِيًّا وَسَيِّدُنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ
غَنِيًّا .

وَرَفَعَ عَبْدُ الْكَرِيمِ رَأْسَهُ وَقَالَ : سَأَجْهَتُ أَنْ أَخْدِمَ الإِسْلَامَ
بِمَالِي وَأَبْتَغِي^(۱) بِهِ مَرْضَاةَ اللَّهِ .



(۱) أَبْتَغَى يَبْتَغِي أَبْتِغَاءً: أَرَادَ وَطَلبَ .

(١٠)

مسابقة

كَانَتْ أَمْسِ مُسَابَقَةٌ فِي الْجَرْبِيِّ فِي مَدْرَسَتِيْ ، أَوَّلًا اخْتَارَ مُعَلِّمُ الرِّيَاضَةِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ طَالِبًا مِنْ جَمِيعِ الصُّفُوفِ هُمْ أَقْرَانٌ^(١) وَأَكْفَاءٌ^(٢) ، وَأَوْقَفُهُمْ فِي صُفُوفٍ صَفَّاً خَلْفَ صَفًّ ، وَفِي كُلِّ صَفٍّ ثَلَاثَةً .

وَوَقَفَ الْأُسْتَادُ بِجَانِبِ مِنْ هَذِهِ الصُّفُوفِ ، وَقَدَّمَ صَفَّاً فِيهِ مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمٌ وَسَعِيدٌ وَهُمْ أَقْرَانٌ وَأَكْفَاءٌ وَقَالَ : قُوْمُوا فِي صَفٍّ وَاحِدٍ وَعَلَى خَطٍّ وَاحِدٍ ، وَلَا يَتَقَدَّمُ مِنْكُمْ أَحَدٌ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مُتَقَدِّمًا قَلِيلًا فَآخَرَهُ وَجَعَلَهُ فِي الصَّفَّ وَقَالَ : أَنَا أَعُدُّ لَكُمْ فَإِذَا

(١) الأقران جمع القرأن: للإنسان: مثله في الشجاعة والشدة والعلم والقتال وغير ذلك.

(٢) الأكفاء جمع الكفاء: المماثل والقوى القادر على تصريف العمل.

قُلْتُ : وَاحِدٌ فَسَوْا الصَّفَّ ، وَإِذَا قُلْتُ : اثْنَانٌ ، فَاسْتَعِدُوا
وَاجْمَعُوا ثِيَابَكُمْ ، وَإِذَا قُلْتُ : ثَلَاثَةٌ ، فَطِيرُوا . وَذَهَبَ أَحَدٌ
الْمُعَلَّمِينَ إِلَى آخِرِ الْمَيْدَانِ وَوَضَعَ هُنَالِكَ قَصْبَةً^(١) وَقَالَ : هَذِهِ
هِيَ الْغَايَةُ .

وَقَالَ الْأُسْتَاذُ : وَاحِدٌ ، وَوَقَفَ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ : اثْنَانٌ ، فَتَقَدَّمَ
سَعِيدٌ ، فَقَالَ الْأُسْتَاذُ : تَأْخِرْ يَا سَعِيدُ وَأَنَا أَعْدُ مَرَّةً ثَانِيَةً فَقَالَ :
وَاحِدٌ ، اثْنَانٌ ، ثَلَاثَةٌ ، فَطَارَ الْأَوْلَادُ لَا يَذْرِي أَحَدٌ مِنِ السَّابِقِ ،
حَتَّىٰ بَرَزَ مُحَمَّدٌ وَهَتَّفَ^(٢) الْأَوْلَادُ بِاسْمِهِ وَقَالُوا : مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ
وَصَاحُوا : مَرْحَىٰ مَرْحَىٰ^(٣) ، وَكَانَ هُوَ الْمُجَلَّى ، وَلَحِقَهُ إِبْرَاهِيمُ
فَكَانَ هُوَ الْمُصَلِّى ، وَجَاءَ دُورِيٌّ وَقُمْتُ فِي أَقْرَانِيٍّ وَأَكْفَائِيٍّ وَعَدَ
الْأُسْتَاذُ : وَاحِدٌ ، اثْنَانٌ ، ثَلَاثَةٌ ، وَأَبْطَأْتُ قَلِيلًا عِنْدَ الْجَرْيِ فَمَا
قَدَرْتُ أَنْ أَسْبِقَ وَأَكُونَ الْمُجَلَّى ، وَوَصَلَنَا إِلَى الْغَايَةِ وَكُنْتُ
الْمُصَلِّى .

وَكَانَ خَالِدُ الْمُجَلَّى ، فَهَتَّفَ الْأَوْلَادُ بِاسْمِهِ وَقَالُوا : مَرْحَىٰ
مَرْحَىٰ ، وَكَانَ إِخْرَاجِيٌّ يَظْنُونَ أَنِّي أَنَا الْمُجَلَّى ، لَآتَيْتُ خَفِيفًُ

(١) القصبة (ج) القصبات: كل أنبوبة في ساق السجّر تنتهي بعقدتين.

(٢) هَتَّفَ يَهْتِفُ هَتْفًا به: صاح به.

(٣) مَرْحَىٰ: كلمة تعجب: تقال للرامي أو الخطيب أو نحوهما إذا أصاب وإذا أخطأ قيل له: مَرْحَىٰ.

وَسَرِيعٌ وَأَجْرِي كُلَّ يَوْمٍ ، وَتَأْسَفُ أَيْضًا وَلِكُنَّيْ قُلْتُ فِي نَفْسِي :
سَأَسْبِقُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ عِنْدَ اِنْتِهَاءِ السَّنَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَخَطَبَ الْأُسْتَادُ فِي الْأَخِيرِ وَقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُسَابِقُ
وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَسَابِقُونَ ، وَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ نَشِيطًا
خَفِيفًا قَوِيًّا حَتَّى لَا يَعْجِزُ فِي الْجِهَادِ .



(١١)

السَّاعَةُ

حَارِثُ: كَمِ السَّاعَةُ يَا أَخِي؟

سَعِيدُ: السَّاعَةُ عَشْرٌ وَرُبْعٌ أَلَيْسَ عِنْدَكَ سَاعَةً؟

حَارِثُ: بَلَى! وَلَكِنَّ سَاعَتِي وَاقِفَةٌ.

سَعِيدُ: لَعَلَّكَ مَا مَلَأْتَهَا.

حَارِثُ: نَعَمْ! نَسِيْتُ أَنْ أَمْلأَهَا الْبَارِحَةَ، أَنَا أَمْلأُهَا فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ فِي اللَّيْلِ وَلَكِنِّي غَلَبَتِي عَيْنِي الْبَارِحَةَ فَقَدْ كُنْتُ تَعِباً جِدًا فَمَا مَلَأْتُهَا.

سَعِيدُ: هَلْ تُرِيدُ ضَبْطَهَا^(١) بِسَاعَتِي؟

حَارِثُ: نَعَمْ! أَضْبِطُهَا بِسَاعَتِكَ إِذَا كَانَتْ سَاعَتُكَ مُسْتَقِيمَةً.

(١) ضَبَطَ يَضْبِطُ ضَبْطًا: فَلَمْ السَّاعَةَ: صَحَحَهَا.

سَعِيدٌ: سَاعَتِي تَقْدَمُ دَقِيقَتَيْنِ فِي أَرْبَعِ وَعِشْرِينَ سَاعَةً وَقَدْ ضَبَطْتُهَا الْبَارِخَةَ فَأَخْرُّهَا دَقِيقَتَيْنِ.

حَارِثٌ: كَمِ السَّاعَةُ الآن؟

سَعِيدٌ: الآن عَشْرٌ وَثُلُثٌ.

حَارِثٌ: أَشْكُرُكَ ، أَرِنِي سَاعَتَكَ.

سَعِيدٌ: تَفَضَّلْ.

حَارِثٌ: إِنَّ سَاعَتَكَ ثَمِينَةً وَجَمِيلَةً مِنَاؤُهَا جَمِيلٌ وَعَقَارِبُهَا دَقِيقَةً وَغِطَاؤُهَا نَظِيفٌ ، بِكُمْ اسْتَرْتَيْتَهَا يَا سَعِيدُ؟

سَعِيدٌ: أَهْدَاهَا إِلَيَّ أَخِي الْكَبِيرُ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ اسْتَرَاهَا بِثَلَاثِينَ رُبَيْيَةً ، وَسَاعَتَكَ بِكُمْ؟

حَارِثٌ: سَاعَتِي أَرْبَعُونَ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا بِعِشْرِينَ رُبَيْيَةً ، قَدْ أَهْدَاهَا إِلَيَّ عَمِيْ لَمَّا رَجَعَ مِنَ السَّفَرِ.

سَعِيدٌ: إِنَّ السَّاعَةَ لَازِمَة^(۱) فِي هَذَا الزَّمَانِ ، فَبِالسَّاعَةِ يَعْرُفُ التَّلَمِيْدُ مِيْعَاد^(۲) الْمَدْرَسَةِ ، وَبِالسَّاعَةِ يَعْرُفُ الْمُسْلِمُ أَوْقَاتَ الْجَمَاعَةِ وَالصَّلَوَاتِ.

(۱) لَازِمَة: ضَرُورِيَّة.

(۲) الميعاد: الوقت.

حَارِثٌ: نَعَمْ! أَنَا كُنْتُ أَتَأْخَرُ عَنْ مِيَعَادِ الْمَدْرَسَةِ فِي بَعْضِ
الْأَيَّامِ وَتَفْوَتْنِي الْجَمَاعَةُ أَحْيَانًا، وَلَكِنْ مُنْذُ اشْتَرَيْتُهَا لَمْ
أَتَأْخَرَ عَنِ الْمَدْرَسَةِ وَمَا فَاتَنِي جَمَاعَةً.

سَعِيدٌ: أَسْتَأْذِنُكَ لِأَنِّي مُسَافِرُ الْيَوْمَ وَمِيَعَادُ الْقِطَارِ السَّاعَةُ اثْنَتَا
عَشَرَةَ إِلَّا عَشْرًا.

حَارِثٌ: الْوَقْتُ وَاسِعٌ فَلَيْسَ الآن إِلَّا عَشْرُ وَنَصْفٌ وَالْمَحَطَّةُ
قَرِيبَةٌ مِنْ بَيْتِكَ.

سَعِيدٌ: نَعَمْ! الْوَقْتُ وَاسِعٌ، وَلَكِنْ لِي شُغْلٌ فِي السُّوقِ وَلَمْ
أَرْبِطِ الْحَوَائِجَ إِلَى الآن.

حَارِثٌ: عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

سَعِيدٌ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

* * *

(١٢)

الفُطُورُ

طلَبْتُ مِنْ أَبِي وَأُمِّي أَنْ أَصُومَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ ، فَقَالَ أَبِي : إِنَّكَ صَغِيرٌ ضَعِيفٌ لَا تَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطْشِ ، وَقَالَتْ أُمِّي : هَذِهِ أَيَّامُ صَيْفٍ وَالصَّوْمُ فِيهَا شَدِيدٌ اصْبِرْ حَتَّى تَكُونَ أَيَّامُ شِتَاءٍ .

وَلِكِنِّي بَكَيْتُ وَقُلْتُ : قَدْ صَامَ مَحْمُودٌ وَهُوَ فِي سِنِّي ، وَقَدْ صَامَ إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ أَصْغَرُ مِنِّي ، وَلِمَاذَا أَنْتَظِرُ أَنَا ؟

وَقَدْ رَأَيْتُ مَحْمُودًا لَمَّا صَامَ لِبِسَ لِبَاسًا جَدِيدًا وَصُنِعْتُ لَهُ أَطْعِمةً لَذِيذَةً وَقَدَمَ لَهُ أَقْارِبُهُ هَذَا يَا وَجَوَائِزَ وَاجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ مَحْمُودُ لَهُ شَرْفٌ^(١) ، كُلُّ يَتَحَادَثُ مَعَهُ وَيَقْرِبُهُ إِلَيْهِ .

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الْوَلَدَ الصَّغِيرَ إِذَا صَامَ كَانَ لِوَالِدَيْهِ الأَجْرُ وَالثَّوَابُ ، وَأَحِبُّ أَنْ يَنَالَ أَبِي وَأُمِّي الأَجْرَ وَالثَّوَابَ .

(١) الشَّرْفُ (ج) الأُشْرَافُ : الْعُلُوُّ وَالْمَجْدُ .

وَقِبْلَ أَبِي وَرَضِيَتْ أُمِّي ، وَدَعَتْ أُمِّي أَصْدِقَائِي وَأَثْرَابِي ^(١) لِلسُّحُورِ مَعِنِي فَبَاتُوا فِي بَيْتِي ، وَفِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فِي اللَّيلِ اسْتَيْقَظْنَا وَقَدَّمَتْ أُمِّي طَعَامًا لَذِيْدَا ، فَأَكَلْنَا وَشَبَعْنَا وَنَمْنَا قَلِيلًا وَاسْتَيْقَظْنَا لِصَلَاةِ الصُّبْحِ .

وَفِي النَّهَارِ أَرَادَتْ أُمِّي أَنْ تَشْغُلَنِي فَلَا أَذْكُرُ الْجُوعَ وَالْعَطَشَ ، فَأَمْرَتْنِي بِا شُغَالٍ لَيْسَ فِيهَا تَعْبٌ ، وَكُنْتُ فِي شُغْلٍ وَحَدِيدٍ مَعَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَثْرَابِ ، حَتَّى انتَصَفَ النَّهَارُ وَمَا شَعَرْتُ بِجُوعٍ وَلَا عَطَشٍ .

وَفِي الظَّهِيرَةِ شَعَرْتُ بِظَمَاءٍ وَحَرًّ فَاغْتَسَلْتُ فَذَهَبَ عَنِي الظَّمَاءُ وَاسْتَرَخْتُ .

وَفِي الْعَصِيرِ شَعَرْتُ بِالْجُوعِ وَرَأَيْتُ أَطْعَمَةً وَثِمَارًا وَفَوَاكِهَ ، وَقَالَ لِي أَحَدُ الْأَصْدِقَاءِ: لَا بَأْسَ أَنْ تَأْكُلَ شَيْئًا وَلَا يَرَاكَ الْآنَ أَحَدٌ ، وَقَدْ أَكَلْتُ أَيْضًا لَمَّا كُنْتُ صَائِمًا ، قُلْتُ: نَعَمْ! لَا يَرَانِي هُنَا أَحَدٌ وَلِكِنَّ اللَّهَ يَرَانِي .

وَسَكَتَ صَدِيقِي وَصَبَرْتُ عَلَى الْجُوعِ .

وَقَبْلَ الْغُرُوبِ حَضَرَ أَصْدِقَاءُ أَبِي وَأَقَارِبِنَا وَنُقِلَ الْفُطُورُ إِلَى

(١) الأثراب جمع الترب: المماثل في السن (للمذكر والمؤنث).

الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ الْوَقْتُ شَدِيداً عَلَيَّ فَكُنْتُ أَرْمُقُ^(١) الْمُؤَذْنَ وَأَعْذَّ
الدَّقَائِقَ ، فَلَمَّا أَذَنَ أَفْطَرْتُ بِتَمْرَةٍ ثُمَّ أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَقُلْتُ كَمَا
عَلِمَنِي أَبِي :

«ذَهَبَ الظَّمَاءُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» .

وَمَا أَكَلْتُ طَعَاماً أَلَذَّ مِنْ طَعَامِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَمَا كَانَ يَوْمٌ
أَجْمَلَ فِي حَيَاتِي مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

* * *

(١) رَمَقَ يَرْمُقُ : نَظَرَ إِلَيْهِ وَأَتَبَعَهُ بَصَرَهُ .

(١٣)

الأَمَانَةُ

اسْتَأْجَرَ رَجُلٌ قَوْمًا ، فَاسْتَغْلَوْا وَعَمِلُوا ، وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ شُغْلِهِمْ جَاؤُوا إِلَيْهِ فَأَعْطَاهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ اسْتَغْلَلَ مَعَهُمْ ، وَلِكِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ أَجْرَهُ وَتَرَكَهُ وَذَهَبَ .

وَكَانَ الرَّجُلُ كَرِيمًا أَمِينًا ، فَلَمْ يَأْكُلْ أُجْرَتَهُ ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا ، وَخَافَ اللَّهَ وَوَضَعَهَا فِي التِّجَارَةِ ، وَثَمَرَهَا^(١) وَأَشْمَرَتِ الْأَجْرَةُ كَثِيرًا ، وَكَثُرَتْ مِنْهَا الْأَمْوَالُ .

وَبَعْدَ حِينٍ جَاءَهُ الْأَجِيرُ وَهُوَ خَائِفٌ أَنْ لَا يَعْرِفَهُ الرَّجُلُ ، فَقَدْ طَالَتِ الْمُدَّةُ ، وَمَضَى زَمْنٌ كَثِيرٌ ، وَمَاذَا يَفْعَلُ الْمِسْكِينُ إِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ الرَّجُلُ أَوْ نَسِيَ قِصَّتَهُ .

(١) ثَمَرَ يُشَمَّرُ شَمِيرًا فَلَانُ مَالُهُ: نَمَاءٌ.

جَاءَ الْأَجِيرُ وَهُوَ لَا يَطْمَعُ إِلَّا فِي أُجْرَتِهِ الْقَلِيلَةِ دَرَاهِمٌ
مَعْدُودَةٍ ، وَإِذَا جَحَدَهَا الرَّجُلُ وَلَمْ يَدْفَعْهَا رَجَعَ خَائِبًا^(١) .

وَلِكِنَّهُ جَاءَهُ لَأَنَّهُ يَخْتَاجُ إِلَى هُذِهِ الدَّرَاهِمِ ، فَقَالَ:
يَا عَبْدَ اللَّهِ! أَدَدَ إِلَيَّ أَجْرِيَنِي ، فَمَا جَحَدَ الرَّجُلُ وَمَا أَنْكَرَ ، بَلْ
قَالَ: كُلُّ مَا تَرَى مِنَ الْإِبْلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ مِنْ أَجْرِكَ .

دُهْشَ الرَّجُلُ وَتَحِيرَ وَظَنَّ أَنَّهُ يَسْتَهِزِيُّ بِهِ ، فَقَالَ:
يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهِزِيُّ بِيْ .

قَالَ الرَّجُلُ: لَا أَسْتَهِزِيُّ بِكَ ، فَكُلُّ مَا تَرَى مِنَ الْإِبْلِ وَالْبَقَرِ
وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ لَكَ ، فَإِنِّي قَدْ وَضَعْتُ أُجْرَتَكَ فِي التِّجَارَةِ ،
وَثَمَرْتُهَا وَأَثْمَرَتْ هَذِهِ الْإِبْلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقَ^(٢) .

فَأَخَذَ الْأَجِيرُ الْإِبْلَ وَالْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالرَّقِيقَ وَلَمْ يَتُرُكْ مِنْهَا
شَيْئًا .

وَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى هَذِهِ الْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ .

وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَمِينُ مَرَّةً فِي غَارٍ ، وَأَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِ^(٣)

(١) جَحَدَ يَجْحَدُ جَحْدًا وَجْحُودًا فَلَانْ الْأَمْرَ: أَنْكَرَهُ مَعْلَمَهُ بِهِ .

(٢) الرَّقِيقُ (ج) الْأَرْقَاءُ: مَمْلُوكٌ ، عَبْدٌ .

(٣) اَنْطَبَقَ عَلَيْهِ الشَّيْءَ: غَطَاهُ وَسَتَرَهُ .

صَخْرَةً ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ دَعَا اللَّهَ بِهَذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ ،
وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَاكْشِفْ عَنَّا
هُذِهِ الصَّخْرَةَ ، فَأَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ وَأَعَانَهُ .



(١٤)

الصَّيْدُ

خَرَجْتُ يَوْمَ عُطْلَةَ مَعَ صَيَادِينَ عِنْدَهُمْ بَنَادِقُ وَسَكَاكِينُ ،
خَرَجْنَا مُبَكِّرِينَ فِي الصَّبَاحِ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ ، وَكَانَ مَعِيْ كَثِيرٌ
مِنْ أَتْرَابِيْ وَأَصْدِقَائِيْ ، وَأَخَذْنَا غَدَاءَنَا مَعَنَا لِتَغَدَّى إِذَا غَلَبَنَا
الْجُوعُ ، وَكُنَا نُرِيدُ أَنْ نَرْجِعَ فِي الْمَسَاءِ .

وَلَمْ نَزَلْ نَمْشِي فِي الْحَرِّ وَالشَّمْسِ حَتَّى تَعْبَنَا ، وَغَلَبَنَا
الْجُوعُ وَالظَّمَاءُ ، وَكَانَ الْغَدَاءُ مَعَ خَلِيلٍ ، وَقَدْ ضَلَّ^(١) الطَّرِيقَ ،
وَمَا وَجَدْنَا طَعَامًا وَلَا مَاءً .

وَأَنْتَصَفَ النَّهَارُ وَجَلَسْنَا فِي ظِلِّ شَجَرَةِ نَنْتَظِرُ خَلِيلًا ، وَبَرَزَ
خَلِيلٌ مِنْ بَعْدِ فَنَادِيَنَا بِاسْمِهِ وَحَمِدَنَا اللَّهَ ، وَتَغَدَّى وَاسْتَرْحَنَا
قَلِيلًا ، ثُمَّ خَرَجْنَا .

وَدَخَلْنَا فِي الْغَابَةِ وَوَجَدْنَا آثارَ بَقَرِ الْوَحْشِ فَتَفَرَّقْنَا وَجَلَسْنَا

(١) ضَلَّ يَضِلُّ ضَلاًّ: فَلَمْ الطَّرِيقَ: غَابَ وَضَاعَ وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ.

بِالْمِرْصَادِ^(١) وَخَرَجَتْ بَقَرَةٌ مِنَ بَيْنِ الْأَشْجَارِ ، وَكَانَ السَّيِّدُ إِسْمَاعِيلُ مُسْتَعِدًا فَصَوَّبَ^(٢) إِلَيْهَا بُندُقِيَّتَهُ ، وَأَطْلَقَ الرَّصَاصَةَ وَأَصَابَ الْبَقَرَةَ فِي صَدْرِهَا ، فَسَقَطَتْ جَرِيحاً تَضْرِبُ بِرِجْلِهَا .

وَسَمِعَ الْإِخْوَانُ صَوْتَ الْبُندُقِيَّةِ فَجَاءُوا ، وَذَبَحَهَا يَا قُوْثُ بِسْكِينٍ كَبِيرٍ حَادًّا وَسَمَّى اللَّهَ وَكَبَرَ ، وَكُنَّا نَتَكَلَّمُ وَكُنَّا مُطْمَئِنِينَ إِذْ خَرَجَتْ بَقَرَةٌ أُخْرَى ، فَأَطْلَقَ عَلَيْهَا هَاشِمٌ بُندُقِيَّتَهُ بِسُرْعَةٍ ، وَمَا قَدَرَ أَنْ يُصَوِّبَ الْبُندُقِيَّةَ ، فَأَخْطَأَتِ الرَّصَاصَةُ وَمَا صَادَتِ الْبَقَرَةَ وَتَأْسَفَ هَاشِمٌ وَتَأْسَفَتِ الْجَمَاعَةُ .

وَصِدْنَا حَمَامَتَيْنِ بِرَصَاصَةٍ وَبَطَّتَيْنِ بِرَصَاصَاتَيْنِ ، وَكَانَ عِنْدِي سِكِينٌ صَغِيرٌ حَادٌ فَذَبَحْتُ الْبَطَّتَيْنِ ، وَسَمِيتُ اللَّهَ وَكَبَرْتُ .

وَقُلْتُ لِلْسَّيِّدِ إِسْمَاعِيلَ : أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَصِيدَ أَيْضًا ، فَأَعْطَانِي بُندُقِيَّةً وَوَضَعَ فِيهَا رَصَاصَةً ، وَكُنْتُ أَعْرُفُ كَيْفَ أَصَوِّبَ الْبُندُقِيَّةَ وَكَيْفَ أَطْلُقُهَا ، لَأَنِّي أَطْلَقْتُ الْبُندُقِيَّةَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ أَوْ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَذَهَبْتُ وَجَلَسْتُ بِالْمِرْصَادِ ، وَجَاءَ حَمَامٌ وَوَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ ، وَصَوَّبْتُ بُندُقِيَّتِي نَحْوَ الْحَمَامِ ، وَأَطْلَقْتُ

(١) الْمِرْصَادُ (ج) المَرَاصِيدُ: طَرِيقُ الرَّصِيدِ وَالْمُراقبَةِ.

(٢) صَوَّبْ يُصَوِّبُ تَصْوِيْنًا: الْبَنْدُقِيَّةُ وَالسَّهْمُ وَنحوُهُمَا وَجْهُهُمَا إِلَى الْهَدْفِ.

الْبُنْدُقِيَّةَ ، فَأَصَبْتُ حَمَامَتَيْنِ وَفَرِحْتُ جِدًا لَمَّا أَصَبْتُ الْحَمَامَتَيْنِ
وَكَبَرْتُ مِنَ الْفَرَحِ .

وَجَاءَ الإِخْرَانُ وَقَالُوا: مَرْحَى مَرْحَى ، وَقَالُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ
إِنَّ خَالِدًا صَيَّادٌ .

وَمَا رَضِيْتُ أَنْ يَذْبَحَهُمَا أَحَدٌ ، فَذَهَبْتُ وَسَمَّيْتُ اللَّهَ وَذَبَحْتُ
الْحَمَامَتَيْنِ بِسِكِّينِي الصَّغِيرِ الْحَادِّ ، وَرَجَعْنَا إِلَى الْقَرْيَةِ فِي الْمَسَاءِ
بِصَيْدٍ كَثِيرٍ ، وَقُطِّعَتِ الْبَقَرَةُ قِطْعًا قِطْعًا ، وَأَهْدَيْنَا لَهُمَا إِلَى
جَمِيعِ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَقْارِبِ وَأَهْلِ الْقَرْيَةِ ، فَأَكَلُوا وَشَبَّعُوا
وَشَكَرُوا الصَّيَّادِيْنَ .



(١٥)

مَادِبَةُ

رَجَعَ أَخِي مِنَ الْحَجَّ ، فَفَرَحَ أَهْلُ الْبَيْتِ كَثِيرًا وَفَرَحَتْ أُمِّي جَدًّا ، وَصَنَعَتْ أُمِّي طَعَامًا وَدَعَتْ إِلَيْهِ الْأَقْارِبَ وَالْأَصْدِقَاءَ وَكَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ .

وَفَرِحْنَا جَدًّا ، وَفَرَشْنَا فِرَاشًا نَظِيفًا أَمَامَ الْبَيْتِ وَكَانَتْ أَيَّامُ صَيْفِ ، وَوَضَعْنَا أَبَارِيقَ^(١) فِيهَا مَاءً لِغَسْلِ الْأَيْدِي ، وَوَضَعْنَا صَابُونًا وَمِنْشَفَةً وَبَسْطَنَا سُفْرَةً^(٢) وَاسِعَةً ، حَضَرَ النَّاسُ فِي الْمَسَاءِ ، فَاسْتَقْبَلُهُمْ أَخِي وَقُلْنَا: مَرْحَبًا وَجَلَسُوا قَلِيلًا وَحَضَرَ الطَّعَامُ ، فَجَلَسَ الضُّيُوفُ حَوْلَ السُّفْرَةِ ، وَقَدَّمْنَا الرَّغِيفَ الْحَارَ

(١) أَبَارِيق جمع إِبْرِيق: وعاء من الخزف أو المعدن له عروة ومصب خرطومي الشكل يصب منه الماء ونحوه.

(٢) سُفْرَة (ج) سُفَرَة: المائدة وما عليها من الطعام.

وَاللَّحْمَ وَالرُّزَّ فِي صُحُونٍ وَالرَّائِبَ^(۱) فِي أَقْدَاحٍ ، فَسَمَّوْا اللَّهَ وَأَكَلُوا .

وَكُنَّا قَائِمِينَ نُلَاحِظُ الضُّيُوفَ ، وَنَقْدِمُ لَهُمُ الْخُبْزَ وَالطَّعَامَ وَنَسْقِيهِمُ الْمَاءَ الْمَثْلُوجَ ، وَأَصَابَ النَّاسَ مِنْ كُلِّ مِنَ الطَّعَامِ وَأَكَلُوا بِرَغْبَةٍ وَحَمِدُوا اللَّهَ .

وَقَامُوا وَغَسلُوا أَيْدِيهِمْ وَمَسَحُوهَا بِالْمِنْشَفَةِ ، وَجَلَسُوا إِلَى أَخِيٍّ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ وَيَسْمَعُونَ مِنْهُ أَخْبَارَ الْحِجَازِ وَحَدِيثَ مَكَّةَ الْمُشْرَفَةِ وَالْمَدِينَةِ الْمُنَورَةِ وَمِنْيَ وَعَرَفَاتٍ بِكُلِّ رَغْبَةٍ وَسُرُورٍ ، وَاشْتَاقُوا إِلَى الْحِجَّ ، وَدَعَوْا اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَهُمْ لِذَلِكَ .

ثُمَّ اسْتَأْذَنُوا لِلْخُرُوجِ وَقَامُوا يَقُولُونَ :

«أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ» .



(۱) الرَّائِبُ : الْلَّبَنُ الَّذِي يُخْضَنُ فِي خَرْجِ زَبْدَةِ .

(١٦)

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

كَانَ رَجُلٌ لَهُ أَبُوَانِ كَبِيرَانِ وَأُولَادُ صِغَارٌ ، وَكَانَ بَرًّا بِالْوَالِدَيْنِ سَفِيقًا عَلَى الْأُولَادِ .

وَكَانَ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّبَاحِ إِلَى الْمَرْعَى وَيَرْعَى الْمَاشِيَةَ وَيَرْجِعُ بِهَا فِي الْعِشَاءِ ، فَيَخْلِبُهَا^(١) وَيَسْقِي وَالِدَيْهِ وَأُولَادَهُ الصِّغَارَ .

وَكَانَ أَبُواهُ وَأُولَادُهُ الصِّغَارُ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَهُ ، وَلَا يَنَامُونَ حَتَّى يَخْضُرَ الرَّجُلُ وَيَسْقِيَهُمُ الْلَّبَنَ .

مَرَّةً ذَهَبَ الرَّجُلُ بِالْمَاشِيَةِ إِلَى الْمَرْعَى^(٢) ، فَبَعْدَ فِي طَلَبٍ

(١) حَلْبٌ يَخْلِبُ حَلْبًا . الشَّاةُ وَنحوها: اسْتَخْرَجَ مَا في ضَرْعِها من الْلَّبَنِ .

(٢) مَرْعَى (ج) مَرَاعٍ: ما ترعاه الماشية ، وموضع الرعي .

الشَّجَرِ وَالْعَلْفِ^(١) فَتَأْخَرَ ذُلِكَ الْيَوْمَ ، فَرَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ وَقَدْ
ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ اللَّيْلِ .

وَانْتَظَرَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ طَوِيلًا ، وَكَانَ أَبُوهُ جَائِعًا وَكَانَتْ أُمُّهُ
جَائِعَةً ، وَرَقَدَ^(٢) أَبُوهُ وَرَقَدَتْ أُمُّهُ بَعْدَ الْإِنْتِظَارِ الطَّوِيلِ .

وَرَجَعَ الرَّجُلُ وَدَخَلَ الْبَيْتِ ، فَوَجَدَ أَنْ أَبَاهُ الشَّيْخُ قَدْ رَقَدَ ،
وَأَنَّ أُمَّهُ الْعَجُوزَ قَدْ رَقَدَتْ .

فَتَأْسَفَ الرَّجُلُ وَحَزَنَ كَثِيرًا وَنَدِمَ عَلَى تَأْخِيرِهِ ، وَقَالَ : أَسْفًا
إِنِّي تَأْخَرْتُ الْيَوْمَ فِي الْمَرْعَى وَبَعْدُتُ فِي طَلَبِ الشَّجَرِ وَالْعَلْفِ
لَا زَعَى الْمَاشِيَةَ حَتَّى رَقَدَ الشَّيْخُ وَرَقَدَتِ الْعَجُوزُ .

وَفَكَرَ الرَّجُلُ هَلْ يُوقِظُ الشَّيْخَ وَالْعَجُوزَ؟

وَكَرِهَ الرَّجُلُ أَنْ يُوقِظَ الشَّيْخَ وَالْعَجُوزَ .

وَكَانَ أَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ يَنْتَظِرُونَهُ وَكَانُوا جِيَاعًا فَطَلَبُوا مِنْهُ الْلَّبَنَ .

وَلِكِنَّ الرَّجُلَ كَرِهَ^(٣) أَنْ يَسْقِيَ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ قَبْلَ وَالْدَّيْنِ ،

وَخَافَ اللَّهَ وَقَالَ : كَيْفَ أَسْقِيْكُمْ وَلَمْ أَسْقِهِمْ ، إِنِّي إِذَا لَمْ
الظَّالِمِينَ .

(١) عَلْف (ج) أَعْلَاف وَعِلَاف: طَعَامُ الْحَيْوَانِ.

(٢) رَقَدَ يَرْقُدُ رُقَادًا وَرُقُودًا: نَامَ.

(٣) كَرِه يَكْرُه كَرَاهَة: فَلَانُ الرَّجُلُ: مَقْتَهُ (عَكْسَهُ أَحَبَّهُ).

وَحَلَبَ الرَّجُلُ الْمَاشِيَةَ وَوَقَفَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَبُواهُ ، وَبَقِيَ وَاقِفًا وَالْقَدْحُ عَلَى يَدِهِ ، وَالْأَطْفَالُ يَنْكُونُ وَيَصِيْحُونَ عِنْدَ قَدْمِهِ ، وَلِكِنَّهُ لَمْ يَسْقِهِمْ شَيْئًا مِنَ الْقَدْحِ وَلَمْ يَشْرَبْ ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالْقَدْحُ عَلَى يَدِهِ .

وَطَلَعَ الْفَجْرُ وَاسْتَيْقَظَ وَالِدَاهُ ، فَقَدَّمَ الرَّجُلُ لَهُمَا قَدْحَ اللَّبَنِ فَشَرِبَا ثُمَّ سَقَى أَوْلَادَهُ ، وَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ بَرَّاً بِالْوَالِدَيْنِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَقَبْلَهُ .

وَمَرَّةً كَانَ هَذَا الرَّجُلُ الْبَرُّ مَاشِيًّا فِي اللَّيْلِ ، فَرَأَى غَارًا ، فَقَالَ: أَبِيتُ اللَّيْلَ فِي هَذَا الْغَارِ وَأَخْرَجُ فِي الصَّبَاحِ .

وَدَخَلَ الْغَارَ لِيَبِيَتْ ، فَانْحَدَرَتْ^(١) صَخْرَةً مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ^(٢) عَلَيْهِ الْغَارَ . فَدَعَا اللَّهَ بِهَذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ اِبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَاكْشِفْ هَذِهِ الصَّخْرَةَ ، فَأَجَابَ اللَّهُ دَعْوَةَ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَأَعَانَهُ .

* * *

(١) انْحَدَرَ يَنْحَدِرُ انْحِدَارًا: نَزَلَ وَأَقْبَلَ .

(٢) سَدَّ يَسُدُّ سَدًا عَلَى الشَّيْءِ: أَغْلَقَهُ .

(١٧)

فِضِيلَةُ الشُّغْلِ

إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: أَمَا فِي
بَيْتِكَ شَيْءٌ؟

قَالَ: بَلَى حِلْسُ^(١) نَلْبَسُ بَعْضَهُ، وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبُ^(٢)
نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ.

قَالَ: ائْتِنِي بِهِمَا.

فَأَخْذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذِينِ؟

قال رجلٌ : أنا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ .

قال : مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟ مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟

(١) حِلْسُ جمع: أحلاس: ما يُنْسَطُ في الْبَيْتِ من حصير ونحوه تحت
كريمة المتعة.

(٢) قَعْب جمع: قِعَاب ، وَأَقْعَبْ: قَدَحٌ ضَخْمٌ غَلِيفٌ.

قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ .

فَأَعْطَاهُمَا إِيَاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدْوُمًا فَأَئْتِنِي بِهِ .

فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ^(۱) وَبْعَدْ وَلَا أَرَيْنَكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبْيَغِي ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ^(۲) عَشَرَةَ دَرَاهِمَ ، فَاשْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسَأَةَ نُكْتَةً^(۳) فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

* * *

(۱) احْتَطِبْ يَحْتَطِبُ احْتِطَابًا : حَطَبْ (أي : جَمْعَ الْحَطَبَ) .

(۲) أَصَابَ يُصِيبَ إِصَابَةً : الشَّيْءُ : أَدْرَكَهُ .

(۳) نُكْتَةَ (ج) نُكَّتَ وَنِكَاتُ : نقطة سوداء في بياض أو بيضاء في سواد ، وجملة لطيفة تؤثر في النفس انساطاً ، ومسألة علمية دقيقة .

(18)

ترْنِيَمَةٌ^(١) الْوَلَدُ فِي الصَّبَاحِ

وَلَىٰ (٢) الظَّلَامُ هَارِبًا
شُكْرًا عَظِيمًا وَاجِبًا
فِيهَا الْأُمُورُ بِاسْمِهِ
عَلَىٰ الْغُصُونِ قَائِمَةٌ
فِيهِ أَجَدُ عَامِلاً
أَلَا أَكُونَ خَامِلاً (٥)
مَنْ كُلَّ شَرٌ فِي الظَّلَامِ
شُكْرًا لَهُ عَلَىٰ الدَّوَامِ
(مَدَارِجُ الْقِرَاءَةِ)

أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَقَدْ
فَالشَّكْرُ لِلَّهِ الْأَحَدُ
مَا أَحْسَنَ النُّورَ أَرَى
وَالْطَّيْرُ تَشْدُو^(٣) سَحَراً
مَا أَحْسَنَ النُّورَ الْبَهِي^(٤)
إِنَّمَا يَأْوِي دَائِمًا
اللَّهُ قَدْ أَجَازَنِي
شُكْرًا لَهُ قَدْ صَانَنِي

(١) ترنيمة (ج) ترانيم: أغنية صغيرة خفيفة اللحن.

(٢) وَلَمْ يَرَ الظَّلَامُ هارِبًا: أَدْبَرَ عَنْهُ وَنَأَيَ (بَعْدَ).

(٣) شَدَا يَشْدُو شَدْوًا: تَرَّى مَ وَتَغْنَى.

(٤) تَهْيَاءً (ج) أَئْبَاءً: رَائِعُ الْحَسْنَ.

(٥) خَامِلٌ: (ج) خَمْلَةُ، مجهول الاسم لا تباهة له.

(١٩)

أَصْدِقَائِي

لِي أَرْبَعَةُ أَصْدِقَاءُ: حَسَنٌ ، وَقَاسِمٌ ، وَعُمَرٌ ، وَمُحَمَّدٌ .
أَمَّا حَسَنٌ فَوَلَدُ مُهَذَّبٍ حَلِيمٌ^(١) ، لَا يَكْذِبُ وَلَا يَغْضَبُ ،
أُحِبُّهُ لِأَدْبِهِ وَحِلْمِهِ ، وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْمَدْرَسَةِ ، وَجَارِيٌ فِي
الْحَيِّ ، وَصَدِيقِي مُنْذُ أَرْبَعِ سِنِينَ .
وَهُوَ يَسْكُنُ فِي حَيّنَا مِنْ سِنِينَ ، وَبَيْتُهُ قَرِيبٌ مِنْ بَيْتِي ،
وَلَيْسَ بَيْنَ بُيُوتِنَا إِلَّا بَيْتٌ وَاحِدٌ .
وَلَمْ نَتَخَاصِمْ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ مَعَ أَنَّا نَسْكُنُ فِي حَيٍّ وَاحِدٍ ،
وَنَقْرَأُ فِي صَفٍّ وَاحِدٍ ، وَنَذْهَبُ جَمِيعًا إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَنَرْجِعُ
جَمِيعًا ، وَقَدْ تَخَاصَمْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ ، وَأَرَى كُلَّ يَوْمٍ بَعْضَ
الْأُولَادِ يَتَخَاصِمُونَ .

وَيُحِبُّ أَبِي وَأُمِّي حَسَنًا وَيَفْرَحَانِ بِرِفَاقِهِ ، لَأَنَّهُ وَلَدُ لَيْسَ فِيهِ
شَرٌّ ، وَيُحِبُّنِي أَبُو حَسَنٍ وَيَرَانِي كَوَلَدِهِ .

(١) حَلِيمٌ (ج) حُلَمَاءُ: رَشِيدٌ.

أَمَّا قَاسِمٌ فَوَلْدُ ذَكِيٌّ نَشِيطٌ تَرَاهُ دَائِمًا مَسْرُورًا ، لَا أَذْكُرُ
أَنِّي رَأَيْتُهُ قَطُّ مَحْزُونًا ، وَهُوَ دُوْ أَخْبَارٍ وَحِكَايَاتٍ يَسُرُّ أَصْدِقَاءَهُ
بِأَحَادِيثِهِ ، وَحِكَايَاتِهِ ، وَيُحِبُّهُ أَصْدِقَاؤُهُ ، وَهُوَ مُجْتَهِدٌ فِي
الدُّرُوسِ لَمْ يَرْسُبْ فِي امْتِحَانٍ .

أَمَّا عُمَرُ فَوَلْدُ يَتِيمٌ يَسْكُنُ فِي حَيَّنَا أَيْضًا ، أُمُّهُ عَجُوزٌ
تَكْتَسِبُ بِالْخِيَاطَةِ وَتُنْفِقُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَلِكِنَّ عُمَرَ وَلْدٌ كَبِيرٌ
النَّفْسِ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَيْئًا ، ثِيَابُهُ رَخِينَصَةٌ وَلِكِنَّهَا دَائِمًا
نَظِيفَةٌ ، يُحِبُّهُ جَمِيعُ الْمُعَلِّمِينَ لِصَالَاحِهِ وَأَدَبِهِ وَاجْتِهَادِهِ
وَمُوَاضِبَتِهِ .

وَلَمْ يَرْسُبْ عُمَرُ فِي الامْتِحَانِ إِلَّا مَرَّةً وَحَزَنَ كَثِيرًا ، وَحَزَنَتْ
أُمُّهُ لَمَّا رَسَبَ عُمَرُ فِي الامْتِحَانِ ، وَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَتَرُكَ
الْمَدْرَسَةَ ، وَلِكِنْ شَجَعَتْهُ^(۱) أُمُّهُ وَقَالَتْ : أَنَا أَكْتَسِبُ بِالْخِيَاطَةِ
وَأَنْفِقُ عَلَيْكَ ، وَرَاجَعَ عُمَرُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَاجْتَهَدَ كَثِيرًا ، وَنَجَحَ
فِي الامْتِحَانِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَبَرَزَ^(۲) فِي الامْتِحَانِ .

أَمَّا مُحَمَّدٌ فَتِلْمِيذُ نَجِيبٌ مُجْتَهِدٌ جَدًّا يُبَرِّزُ فِي الامْتِحَانِ كُلَّ
سَنَةٍ ، وَوَلْدٌ كَاتِبٌ جَيِّدُ الْخَطِّ يَعْرِفُ كِتَابَةَ الرَّسَائِلِ ، وَهُوَ

(۱) شَجَعَ يُشَجِّعُ شَجَيْعًا الْأَسْتَاذُ تَلْمِيذَهُ : قَوَى قَلْبَهُ وَأَيَّدَهُ .

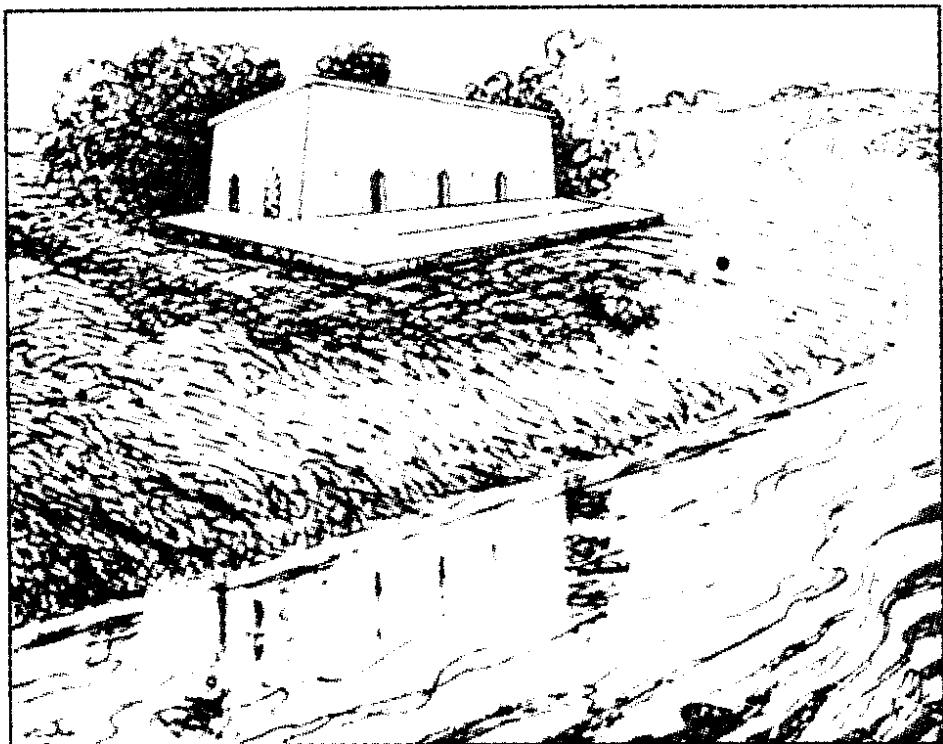
(۲) بَرَزَ يُبَرِّزُ تَبَرِيزًا : فَاقَ أَقْرَانَهُ .

مُتَقَدِّمٌ فِي الصَّفَّ وَمُوَاذِبٌ عَلَى الدَّرْسِ ، وَجَمِيعُ أَصْدِقَائِي
مُحَافِظُونَ عَلَى الصلواتِ ، مُواطِبُونَ عَلَى الدُّرُوسِ ، وَلَمْ
نَتَخَاصِمْ قَطُّ وَلَمْ نَغْضَبْ ، وَأَرْجُو أَلَا أَكُونَ شَرَّ الْأَصْدِقَاءِ .



(٢٠)

قرِيَّتِيْ



قرِيَّتِيْ جَمِيلَةٌ فِي وَسْطِ حُقُولٍ وَبَسَاتِينَ كَائِنَهَا جَزِيرَةٌ فِي بَحْرٍ
أَخْضَرَ ، لَا تَرَى فِيهَا إِلَّا خُضْرَةً وَمَاءً ، فَالْأَرْضُ خَضْرَاءُ
وَالْحُقُولُ خَضْرَاءُ ، وَالدُّنْيَا كُلُّهَا خَضْرَاءُ فِي قَرِيَّتِيْ ، وَيَجْرِيْ
مِنْ تَحْتِ الْفَرِيَّةِ نَهْرٌ مَاؤُهُ نَقِيٌّ شَفَافٌ ، لَأَنَّهُ يَجْرِيْ عَلَى الرَّمْلِ ،

نَغْتَسِلُ فِي هَذَا النَّهْرِ وَنَسْبَحُ وَنَلْعَبُ وَنَشْرَبُ مِنْ مَائِهِ التَّقِيِّ ،
وَنَرَى السَّمَكَ يَجْرِي مِنْ هُنَا وَهُنَا ، وَنَرَى الصَّدَفَ ^(١) فِي قَعْرِ ^(٢)
النَّهْرِ لِأَنَّ الْمَاءَ نَقِيٌّ شَفَافٌ ، وَقَدْ تَعْلَمْنَا السِّبَاحَةَ وَنَحْنُ صِغَارٌ ،
فَإِذَا كَانَتْ أَيَّامُ الْمَطَرِ فَاضَ ^(٣) النَّهْرُ ، وَكَانَ عَرْضُ كَبِيرٍ عَبَرَنَا
هَذَا النَّهْرَ وَتَسَابَقْنَا فِي السِّبَاحَةِ .

وَأَرَى كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْبَلْدِ لَا يَعْرِفُونَ السِّبَاحَةَ وَهُمْ كِبَارٌ
وَيَخَافُونَ الْمَاءَ جِدًّا ، وَلَا يَدْخُلُونَ النَّهْرَ .

جَاءَ مَرَّةً صَدِيقٌ لِي مِنَ الْبَلْدِ وَدَخَلْنَا النَّهْرَ وَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ
يَا أخِي وَاغْتَسِلْ وَاسْبَحْ ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الْمَاءَ وَلَا أَعْرُفُ
السِّبَاحَةَ ، فَشَجَّعْنَاهُ وَقُلْنَا: لَا تَخَفْ وَنَحْنُ مَعَكَ ، فَتَشَجَّعَ
وَدَخَلَ الْمَاءَ وَأَرَادَ أَنْ يَسْبَحَ ، وَلِكِنْ ذَهَبَ إِلَى الْقَعْرِ ، فَأَخَذْنَا
بِيَدِهِ وَرَفَعْنَاهُ فَخَرَجَ وَقَدْ شَرِبَ الْمَاءَ .

وَكَانَ يَغْتَسِلُ مَعَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَتَعَلَّمُ السِّبَاحَةَ حَتَّى تَعْلَمَهَا
وَعَبَرَ النَّهْرَ فَتَشَجَّعَ وَعَبَرَ مَرَّتَيْنِ .

وَإِذَا نَزَلتْ أَمْطَارٌ كَثِيرَةٌ وَفَاضَ النَّهْرُ أَصْبَحَتْ قَرْيَتِيْ شِبَّةً

(١) صَدَفَ (ج) أَصْدَاف: غِطاءُ الدَّرَّ.

(٢) قَعْرُ (ج) قُعُور: مُتَهَى الْعُمَقِ ، يَقَالُ: فِي قَعْرِ الْبَيْرِ .

(٣) فَاضَ يَفِيَضُ فَيَضًا وَفَيَضَانًا: النَّهْرُ وَنَحْوُهُ: امْتَلَأَ حَتَّى طَفَحَ وَسَالَ .

جزِيرَةٌ يُحيطُ بها الماءُ مِنْ ثَلَاثٍ جِهَاتٍ^(١) ، وَتَبَقَّى جِهَةٌ وَاحِدَةٌ
نَذَهَبُ مِنْهَا إِلَى الْبَلْدِ وَشَتَرِي الْحَوَائِجَ مِنَ السُّوقِ .

وَفِي سَنَةٍ كَانَ فَيَضَانُ^(٢) عَظِيمٌ ، فَاضَّ المَاءُ وَدَخَلَ الْبُيُوتَ
وَخَافَ النَّاسُ الْغَرَقَ وَتَرَكُنا قَرِيتَنَا وَذَهَبْنَا إِلَى الْبَلْدِ وَلَمْ نَرْجِعْ إِلَّا
بَعْدَ شَهْرٍ .

وَيُزُورُ قَرِيتَنِي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَالْعُلَمَاءِ لِأَنَّهَا قَرِيَّةٌ مَسْهُورَةٌ وُلْدَ
فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

وَعَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ مَسْجِدٌ قَدِيمٌ بَنَاهُ جَدُّنَا الْكَبِيرُ مَضَى عَلَيْهِ
ثَلَاثُمِائَةٌ سَنَةٌ ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْمَاءُ فِي كُلِّ فَيَضَانٍ وَيَمْكُثُ فِيهِ الْمَاءُ
أَيَّامًا طَوِيلَةً ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَضُعُفْ .



(١) جِهَاتٌ جِهَةٌ: نَاحِيَةٌ وَجَانِبٌ .

(٢) فَيَضَانٌ (ج) فَيَضَانَاتٌ: سَيْلٌ (ج) سُيُولٌ .

(٢١)

ترنيمة الليل

إِنَّ الْفِرَاشَ النَّاعِمَا
نَمْ يَا حِبْيَنِي
رَاحَ التَّهَارُ وَاحْتَجَبْ
وَاللَّيْلُ بِالْأَمْنِ اقْرَبْ
بَائِتْ عَصَافِيرُ الْغَرَدُ^(٢)
مَنْ لَيْسَ يَعْفُلُ عَنْ أَحَدٍ

فِيهِ تَنَامُ دَائِمًا
نَمْ آمِنًا نَمْ آمِنًا
مَعَهُ الْعَنَاءُ^(١) وَالْتَّعَبْ
نَمْ آمِنًا نَمْ آمِنًا
فِي حِفْظِ مَوْلَانَا الصَّمَدُ^(٣)
نَمْ فِي حِمَاهُ^(٤) آمِنًا

(١) العناء: التَّغْبِ.

(٢) الغَرَدُ: الصَّدْحَ.

(٣) الصَّمَدُ: اسم من أسماء الله الحسنى.

(٤) الْحِمَاهُ: الصِّيَانَةُ ، وَالْحَفَاظُ.

نَمْ آمِنًا حَتَّى السَّحَر
نَمْ فِي حِمَى بَارِي الْبَشَر
نَمْ كُلُّ ضَيْمٍ^(۱) أَوْ كَدَرٌ^(۲)
نَمْ فِي حِمَاءُ آمِنًا
(مَدَارِجُ الْقِرَاءَةِ)

* * *

-
- (۱) الضَّيْم: الظُّلْم وَالإِذْلَال.
(۲) الْكَدَر: هَمٌّ وَغَمٌّ وَتَعَبٌ.

(٢٢)

مسابقةٌ بَيْنَ شَقِيقَيْنِ

قالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ وَاقِفًا يَوْمَ بَدْرٍ وَغُلَامًا مِنَ الْأَنْصَارِ مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاوِذَ بْنَ عَفْرَاءَ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِيِّ.

وَالْتَّفَتَ إِلَيَّ أَحَدُهُمَا ، وَقَالَ لِي سِرًا مِنْ صَاحِبِهِ: «أَيُّ عَمٌ؟ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟»

فَقُلْتُ: نَعَمْ! وَمَاذَا تُرِيدُ مِنْهُ يَا بْنَ أَخِي؟

قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسْبُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، أَرْنِيهِ يَا عَمْ! فَإِنِّي أَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتَلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ.

وَقَالَ لِي الْآخَرُ سِرًا مِنْ صَاحِبِهِ: أَرْنِيهِ يَا عَمْ! فَإِنِّي عَاهَدْتُ^(١) اللَّهَ إِنْ عَاهِنَتِهُ^(٢) أَنْ أَضْرِبَهُ بِسَيْفِي حَتَّى أَقْتُلَهُ.

(١) عَاهَدَ يُعَاهِدُ الرَّجُلُ فَلَانَا: أي أعطاه عهداً.

(٢) عَاهَنَ يُعَاهِنُ الرَّجُلُ فَلَانَا: أي رأه بعينه.

فَبَيْنَا أَنَا كَذِلِكَ إِذْ بَرَزَ أَبُو جَهْلٍ ، فَقُلْتُ : أَلَا تَرَى نَاهِيَةً ؟ هَذَا أَبُو جَهْلٍ ، هَذَا صَاحِبُكُمْ ، فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ .

ثُمَّ انْصَرَفَ^(۱) إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ .

فَقَالَ : «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ؟» .

قَالَ كُلُّ مِنْهُمَا : أَنَا قَاتَلْتُهُ .

قَالَ : «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ؟»

قَالَا : لَا !

فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السَّيْفَيْنِ .

فَقَالَ : «كِلَّا هُمَا قَاتَلَهُ» .

* * *

(۱) اَنْصَرَفَ يَنْصَرِفُ : ذَهَبَ .

(٢٣)

جزاء الوالدين

وُلِدْتُ صَغِيرًا ضَعِيفًا لَا أَقْدِرُ عَلَى عَمَلٍ ، لَا آكُلُ بِنَفْسِي
وَلَا أَشْرَبُ بِنَفْسِي ، وَلَا أَتَكَلَّمُ وَلَا أَفْهَمُ ، فَحَنَتْ^(١) عَلَيَّ أُمِّي
وَأَرْضَعَتِنِي وَنَسِيَتْ نَفْسَهَا لِنَفْسِي ، وَهَجَرَتْ رَاحَتَهَا لِرَاحَتِي ،
فَكُمْ سَهِرَتِ الْلَّيَالِي ، وَكُمْ تَعَبَتْ فِي النَّهَارِ ، وَكُنْتُ لَهَا شُغْلًا
وَحَدِيشًا ، وَإِذَا مَرِضْتُ طَارَ عَنْهَا النَّوْمُ ، وَمَا ذَاقَتْ طَعَامًا
وَلَا شَرَابًا ، وَإِذَا سَكَتْ اهْتَمَتْ وَقَالَتْ : مَا بِالْكَ يَا بُنْيَ ! مَاذَا
أَسْكَتَكَ ؟ لِمَاذَا لَا تَتَكَلَّمُ ، أَتَشْكُوْ وَجَعًا^(٢) أَوْ أَغْضَبَكَ أَحَدُ ؟
وَإِذَا بَكَيْتُ جَاءَتْ تَجْرِي ، وَفِي اللَّيْلِ تَتَكَلَّمُ مَعِيْ وَتُضَاحِكُنِي .

وَلَمَّا دَخَلْتُ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ كَانَتْ تَتَحَدَّثُ مَعِيْ فِي
اللَّيْلِ ، وَقَدْ عَرَفْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي حَدِيثِهَا ، وَسَمِعْتُ قِصَصًا

(١) حَنَّا يَخْنُونَ : الأم على ابنها : عَطَفت عليه .

(٢) وَجَع جمع أَوجَاع : أَلم (اسم جامع لكل مَرَض وَأَلَم) .

كَثِيرَةً ، سَمِعْتُ مِنْهَا وَأَنَا عَلَى فَرَاشِينِ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ ، وَكَيْفَ أُقِيَّ فِي النَّارِ ، فَصَارَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَكَيْفَ نَشَأَ مُوسَى فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، وَسَمِعْتُ قِصَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقِصَّةَ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ وَقِصَّصًا جَمِيلَةً ، وَحَفِظْتُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَالآيَاتِ الْأُخِيرَةِ مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ وَأَدْعِيَّةً كَثِيرَةً ، فَكُنْتُ عَالِمَ الْأَطْفَالِ وَكَانَ أَبِي يُحِبِّينِي كَثِيرًا ، وَكُنْتُ أَصْغَرَ إِخْرَوْتِي أَبَيْتُ مَعَهُ وَآكُلُ مَعَهُ ، وَإِذَا جَاءَ مِنْ سَفَرٍ اشْتَرَى لِي هِدِيَّةً جَمِيلَةً ، وَكَانَ النَّاسُ يُحِبُّونِي وَيُقْرِبُونِي إِلَيْهِمْ لِمَكَانِي مِنْ أَبِي ، وَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى أَبِي أَيْضًا ، فَهُوَ لِي أَبٌ وَمُعَلِّمٌ .

وَكَانَ يُوصِي أُمّي أَنْ تَكْسُوَنِي^(۱) يَوْمَ الْعِيدِ لِبَاسًا جَدِيدًا ، وَإِذَا مَرَضْتُ أَوْ سَقَطْتُ مِنْ مَكَانٍ أَوْ أَصَابَنِي ضَرَرٌ أَوْ أَلَمٌ وَجَاءَهُ الْخَبَرُ طَارَ نَوْمُهُ ، وَسَهَرَ اللَّيْلَ هَمَّا وَحْزُنًا ، كَيْفَ أُجَازِي^(۲) هَذِهِ النُّعَمَ ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أُجَازِيَهُمَا بِمَا! كَلَّا! فَأَنَا وَمَالِي لِوَالِدِيَّ ، نَعَمْ! أَنَا أَخْدِمُهُمَا بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ ، بَلْ أَصِلُّ أَصْدِقَاءَهُمَا وَأَقْارَبَهُمَا بِالْبِرِّ وَالْمَعْرُوفِ ، وَلَكِنِي سَادَعُو لَهُمَا ، وَأَقُولُ دَائِمًا فِي دُعَائِي: «رَبَّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» .

(۱) كَسَا يَكْسُو: أَلْبَسَهُ ثَوْبًا.

(۲) أَجَازَ يُجَازِي: أَعْطَى جَائِزَةً.

وَسَأَجْتَهِدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَغْتَبِطَا^(١) بِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ النَّاسِ
وَأَمَامَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَيَغْبِطُهُمَا أَصْحَابُ الْأُولَادِ وَيَقُولُونَ:
يَا لَيْتَ لَنَا مِنَ الْأُولَادِ مِثْلَ مَا أُفْرِتَنِي فَلَانْ ، إِنَّهُ لَسَعِيدٌ.

وَسَأَجْتَهِدُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً يُنَادِي بِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ
الْأَشْهَادِ فَيَقُولُ النَّاسُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ: ابْنُ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ ،
فَيَغْتَبِطُ وَالِدَائِي وَيَنْعَمُ بَالِيْ.

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الْوَلَدَ إِذَا حَفِظَ الْقُرْآنَ يُتَوَّجُ^(٢) وَالِدَاهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، فَسَأَجْتَهِدُ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ لِيُتَوَّجَ وَالِدَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الشَّهِيدَ يَشْفَعُ لِسَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَعَلَّ
اللَّهَ يَرْزُقُنِي الشَّهَادَةَ ، فَأَشْفَعُ لِوَالِدِيَ قَبْلَ النَّاسِ ، وَبِذَلِكَ أُجَازِي
بَعْضَ نِعَمِهِمَا .

* * *

(١) اغْتَبَطَ يَغْتَبِطُ : فَرِحَ بِالنِّعْمَةِ .

(٢) تَوَّجَ يُتَوَّجُ : أَلْبَسَهُ التَّاجَ .

(٢٤)

أَدْبُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ

كَانَ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ غُلَامًا صَغِيرًا وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ وَفَاتَهُ أَبِيهِ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَانَ عُمَرُ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَكَانَ عُمَرُ يَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا يَأْكُلُ الْوَلَدُ الصَّغِيرُ مَعَ أَبِيهِ ، وَكَمَا تَأْكُلُ أَنْتَ مَعَ أَبِيكَ وَأُمِّكَ .

وَكَانَ عُمَرُ غُلَامًا يَتِيمًا مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ وَيَعْلَمُهُ الْأَدَبَ .

فَكَانَ يَأْكُلُ مَرَأَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَتْ يَدُهُ تَدُورُ فِي الصَّحْفَةِ وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ هُنَا وَهُنَا كَمَا يَأْكُلُ كَثِيرٌ مِنَ الْأُولَادِ .

فَعَلَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَأْكُلُ وَقَالَ لَهُ: «سَمْ اللَّهُ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» .

وَهُكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْكُلَ الْمُسْلِمُ ، فَيُسَمِّي اللَّهَ وَيَأْكُلُ بِيَمِينِهِ وَيَأْكُلُ مِمَّا يَلِيهِ .

وَهُكَذَا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَدَبَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَأَدَبَ كُلَّ شَيْءٍ ، كَمَا عَلِمَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ الصَّغِيرَ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّمَا بَعِثْتُ مُعَلِّمًا» .

وَقَدْ أَدَبَ اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَمَهُ أَدَبَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَالَ : «أَدَبِنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي» .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ ، إِنِّي اشْتَهَاهُ أَكْلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ وَأَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَقَالَ : لَا أَكُلُ مُشْكِنًا» .

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثَةِ أَصَابِعٍ وَإِذَا فَرَغَ لِعَقَهَا .

وَعَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ⁽¹⁾ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ ، وَقَالَ : «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلِيَأْخُذْهَا وَلْيُمْطِعْهَا إِلَيْهِ الْأَذْى وَلِيَأْكُلْهَا ، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ ،

(1) لَعِقَ يَلْعَقُ : لَحِسَ الشَّيْءَ بِلِسَانِهِ أَوْ إِصْبِعِهِ .

وَأَمْرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ^(١) ، وَقَالَ: إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامٍ كُمْ بَرَكَةً.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الْخَرِيرِ وَالدَّبِيجِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَقَالَ: هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ .



(١) نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ : نَشَتَّيْعَ مَا بَقِيَ فِيهَا مِنَ الطَّعَامِ ، وَنَمْسَحُهَا بِالْأَصْبَعِ وَنَحْوُهُ .

(٢٥)

شَرٌّ وَخَيْرٌ

خَيْرُ الْخِصَالِ^(١) الْأَدْبُ
وَالْجُودُ سِتْرُ صَالِحٍ
وَالْعُجُوبُ دَاءُ قَاتِلٍ
وَالْمَالُ ظِلْلُ زَائِلٍ
إِنَّ الْبَخِيلَ لَا يُحَبُّ
مِنْ كَرَمِ الْأَغْرَاقِ^(٣)
وَالْغَدْرُ شَرُّ شِيمَةٍ^(٤)

شَرُّ الْمَقَالِ الْكَذِبُ
الْبُخْلُ عَيْبٌ فَاضِحٌ^(٢)
الْعَقْلُ قَاضٍ عَادِلٌ
الْعُمْرُ ضَيْفٌ رَاحِلٌ
الْبِرُّ لِلْحُبُّ سَبَبٌ
طَهَّارَةُ الْأَخْلَاقِ
الْكَذِبُ وَالثِيمَةُ

(١) خَضْلَةً جمع خِصال: خُلق في الإنسان يكون حسناً أو سيئاً.

(٢) فَاضِحٌ: مخل بالحياة.

(٣) عِرق جمع أَعْرَاق: أصل كل شيء. ويقال: تداركته أعراق صدق أو سوء، ومجرى الدم في الجسم.

(٤) شِيمَةً جمع شِيم: غريزة وطبيعة وسجية.

تَأَنَّ^(١) فِي الْأُمُورِ
وَاعْجَلْ إِلَى الْخَيْرَاتِ
مَا لَكَ غَيْرُ نَفْسِكَ
لَا سِيمَ سَالُ الشُّرُورِ
مِنْ حَذَرِ الْفَوَاتِ
لَا تَكُ عَنْهَا مُمْسِكًا
(أَبُو الْعَتَاهِيَةِ)

* * *

(١) تَأَنَّ يَتَأَنَّ : أَمْهَلْ فُلَانًا وَتَرَقَّ بِهِ .

(٢٦)

يَوْمٌ مَطِيرٌ

نَزَلَ الْمَطَرُ فِي اللَّيْلِ وَسَالَتِ الْطُرُقُ وَالشَّوَارِعُ وَنَشَأَ وَحْلٌ
كَثِيرٌ زَلَقَ بِهِ النَّاسُ وَتَوَسَّخَتِ^(١) الشَّيَابُ ، وَإِذَا سَارَتْ سَيَارَةً
تَطَايِرَ^(٢) الْمَاءُ.

انْقَطَعَ الْمَطَرُ فِي الصَّبَاحِ وَأَمِنَ النَّاسُ ، خَرَجُوا يَمْشُونَ عَلَى
الشَّوَارِعِ وَقَدْ تَوَسَّخَتِ ثِيَابُهُمْ بِالْوَحْلِ ، وَزَلَقَ^(٣) بَعْضُ النَّاسِ
عَلَى الشَّارِعِ وَسَقَطَ فِي الْوَحْلِ^(٤) وَضَحِكَ النَّاسُ وَضَحِكَ الرَّجُلُ
وَتَوَسَّخَتِ ثِيَابُهُ جِدًا.

(١) تَوَسَّخَ يَتَوَسَّخُ: عَلَاهُ الْوَسَخُ ، وَهُوَ مَا يَعْلُو الثُّوبُ وَغَيْرُهُ مِن
الْقَذَارَةِ.

(٢) تَطَايِرَ يَتَطَايِرُ الشَّيْءُ: تَنَاثِرَ.

(٣) زَلَقَ يَزْلَقُ: زَلَّ.

(٤) وَحْل جَمْعُ أَوْحَالٍ وَوُحُولٍ: خَلِيلٌ مِنَ الطِينِ وَالْمَاءِ.

وَكَانَ النَّاسُ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ إِذْ جَاءَ الْمَطَرُ عَلَى غَفْلَةٍ فَابْتَلَتِ
الثَّيَابُ ، وَكَانَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ قَدْ أَخَذُوا مَعَهُمُ الْمَطَرِيَاتِ^(۱)
فَنَسَرُوهَا ، وَكُنْتُ تَرْكُتُ مَطَرِيَّتِي فِي الْبَيْتِ وَظَنَنتُ أَنَّ الْمَطَرَ
قَدْ انْقَطَعَ فَتَأَسَّفْتُ جِدًا وَجَرِيتُ وَرَجَعْتُ إِلَى الْبَيْتِ وَقَدْ ابْتَلَتِ
ثِيَابِيْ .

وَلَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ طُولَ النَّهَارِ وَلَمْ تَرِزَلْ فِي السَّمَاءِ غَيْمٌ وَلَمْ
يَخْرُجْ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا ذُو حَاجَةٍ ، وَسَيَمْتُ الْجُلوْسَ فِي الْبَيْتِ
فَخَرَجْتُ فِي الْعَصْرِ وَأَخَذْتُ الْمَطَرِيَّةَ مَعِيْ وَذَهَبْتُ إِلَى صَدِيقِيْ
مَسْعُودٍ ، فَوَجَدْتُهُ يُطَالِعُ كِتَابًا .

قُلْتُ لَهُ: أَلَا تَخْرُجُ يَا أَخِي نَسَرَّهُ وَنَمْشِي قَلِيلًا ، أَمَّا
سَيَمْتَ^(۲) الْجُلوْسَ؟

قَالَ مَسْعُودٌ: أَلَا تَرَى إِلَى السَّمَاءِ وَإِلَى الْأَرْضِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى
الْوَحَلِ؟ هَذَا لَيْسَ يَوْمَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ ، فَتَفَضَّلْ وَتَعَشَّ
مَعِيْ .

قُلْتُ: أَمَّا الْجُلوْسُ فَنَعَمْ! وَأَمَّا الْعَشَاءُ فَلَا ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ
أَرْجِعَ إِلَى الْبَيْتِ سَرِيعًا فَلَسْنَا نَذْرِي مَتَى تُمْطِرُ السَّمَاءُ .

(۱) مَطَرِيَّة جمع مطريات: أداة كالمِظَلة تحمي الشخص من المطر.

(۲) سَيَمْ يَسَّأَمْ: مَلَّ.

وَجَلَسْتُ مَعَ صَدِيقِي مَسْعُودٍ قَلِيلًا ، ثُمَّ سَيَّمْتُ الْجُلوسَ
وَالْغَيْمَ ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ وَخَرَجْتُ إِلَى الشَّارِعِ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَمَرَّتْ
بِي وَتَطَايرَ المَاءُ وَالْوَحْلُ وَتَوَسَّخَتْ ثِيَابِي ، وَمَشَيْتُ قَلِيلًا
وَرَجَعْتُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَمَا دَخَلْتُ الْبَيْتَ وَمَا وَضَعْتُ الْمَطْرِيَةَ
حَتَّى جَاءَ الْمَطَرُ ، فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى الْبَيْتِ .
وَتَعَشَّيْتُ وَصَلَيْتُ الْعِشَاءَ وَنَمْتُ وَمَا عَلِمْتُ مَتَى انْقَطَعَ
الْمَطَرُ .

وَكَانَتِ الْأَمْطَارُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَثِيرَةً وَقَدْ فَاضَتْ آنَهَارُ وَجَاءَ
السَّيْلُ وَتَهَدَّمَتْ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ .



(٢٧)

البريدُ

(١)

خالد: مَاذَا تَكْتُبُ يَا طارق؟

طارق: أَنَا أَكْتُبُ كِتَابًا إِلَى أَخِي عَامِرٍ.

خالد: سَمِعْتُ أَنَّهُ فِي دِهْلِي فَهَلْ أَحَدُ مُسَافِرٍ؟

طارق: لَا بَلْ يُسَافِرُ كِتَابِي.

خالد: كَيْفَ يُسَافِرُ كِتَابِكَ يَا طارق؟

طارق: أَنَا أَكْتُبُ الْكِتَابَ ثُمَّ أَضَعُهُ فِي الْغِلَافِ وَأَكْتُبُ عَلَى
الْغِلَافِ عُنْوَانَ أَخِي ثُمَّ أُرْسِلُهُ، اُنْظِرْ هَذَا غِلَافُ الْبَرِيدِ.

خالد: وَمَا هَذَا الشَّكْلُ فِي جَانِبِ الْغِلَافِ يَا طارق؟

طارق: هَذَا طَابِعُ الْبَرِيدِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ أَكْتُبَ بِطَاقَةً أَكْتُبُ
الْعُنْوَانَ عَلَى وَجْهِ الْبِطَاقَةِ. اُنْظِرْ هَذِهِ بِطَاقَةً وَفِي جِانِبِهَا طَابِعُ
الْبَرِيدِ.

خالد: وما هذه الصورة يا طارق! هذه صورة إنسان وقد سمعت أن صورة ذي روح لا تجوز في الإسلام.

طارق: نعم! إذا كانت حكومة إسلامية صحيحة لم تكن صورة على غلاف البريد والبطاقة.

خالد: ثم ماذما تفعل يا أخي إذا كتبت العنوان؟

طارق: أضع الكتاب في صندوق البريد.

خالد: وما صندوق البريد؟

طارق: هل رأيت صندوقاً أحمر له فم في مكتب البريد وعلى الشوارع؟

خالد: نعم! رأيته كثيراً. ومن يأخذ هذا الكتاب من صندوق البريد وكيف يصنع؟

طارق: يحمل الساعي الكتب إلى مكتب البريد فيفرزها^(١) رجل من رجال البريد، هذا إلى دهلي وذلك إلى كلكتا، وهذا إلى الشرق وذلك إلى الغرب ويختتمها^(٢).

(١) أفرز يُفرز الشيء: عزله ونحاه ، والأرض: بين حدود كلّ حصة فيها.

(٢) ختم يختتم الشيء: أثر فيه بنقش .

خالد: ثُمَّ مَاذَا؟

طارق: ثُمَّ تُحملُ هَذِهِ الْكُتُبُ إِلَى الْمَحَطَّةِ ثُمَّ تُوْضَعُ عَلَى القَطَارِ ، وَيَحْمِلُهَا الْقَطَارُ إِلَى مَكَانِهَا ، فَكِتَابٌ دِهْلِيٌّ يُسَافِرُ بِهِ قَطَارٌ دِهْلِيٌّ إِلَى دِهْلِيٍّ ، وَكِتَابٌ كَلْكُتَّا يُسَافِرُ بِهِ قَطَارٌ كَلْكُتَّا إِلَى كَلْكُتَّا .

خَالِدٌ: وَهَلْ يَخْضُرُ أَخْوَكَ إِلَى مَحَطَّةِ دِهْلِيٍّ وَيَأْخُذُ كِتَابَهُ؟
وَهَلْ يَعْرِفُهُ نَاظِرُ الْمَحَطَّةِ؟

طارق: لَا يَحْتَاجُ أَخِيٌّ إِلَى هَذَا التَّعَبِ ، بَلْ إِذَا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى مَحَطَّةِ دِهْلِيٍّ يُنْقَلُ مِنَ الْمَحَطَّةِ إِلَى مَكْتَبِ البرِيدِ .

خَالِدٌ: فَيَخْضُرُ أَخْوَكَ إِلَى مَكْتَبِ البرِيدِ وَيَأْخُذُ رِسَالَتَهُ مِنْ مُدِيرِ البرِيدِ؟

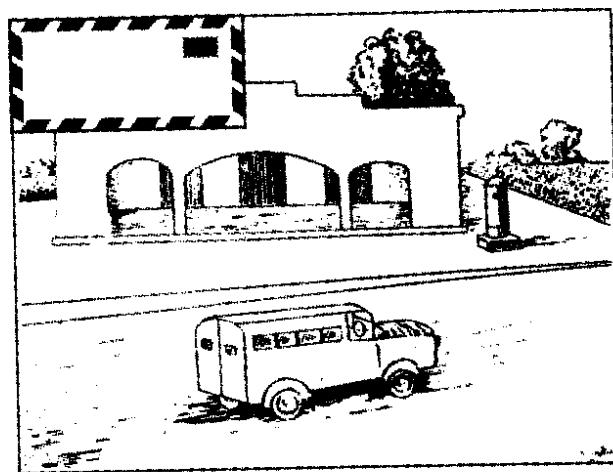
طارق: لَا تَعْجَلْ يَا أَخِيٌّ ! أَنَا أُخْبِرُكَ بِخَبَرِ الْكِتَابِ ، إِذَا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى مَكْتَبِ البرِيدِ يُفْرَزُ وَيُخْتَمُ هُنَالِكَ أَيْضًا حَتَّى يُعْرَفَ مَتَى وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى دِهْلِيٍّ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُهُ السَّاعِيُّ وَيَحْمِلُهُ إِلَى أَخِيٍّ .

* * *

(٢٨)

البريد

(٢)



خالد: وكيف يكون الساعي يا طارق؟ أنا ما رأيته قط؟
طارق: أما رأيت رجلاً يرتدي حلّة^(١) لونها رمادي^(٢) فيها أزرار^(٣) نحاسية^(٤) وعلى رأسه عمامة يحمل حقيبة من جلد؟
خالد: نعم! قد رأيته ورأيت حقيبة وهي ملائنة بالأوراق،

(١) حلّة جمع حلّل: ثوبان من جنس واحد.

(٢) رمادي: ما يُشبه لون الرماد الذي يختلف من احتراق المواد.

(٣) زر جمع أزرار: قرص يدخل في عrose الثوب ونحوه.

(٤) نحاسية: من معدن النحاس.

وَأَزْرَارُهُ التَّحَاسِيَّةُ تَلْمَعُ وَعِمَامَتُهُ تَظَهَرُ مِنْ بَعِيدٍ.

طَارِقٌ: ذَلِكَ هُوَ سَاعِي الْبَرِيدِ يَا خَالِدُ! وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَهُ جَدًّا وَيَسْتَاقُونَ إِلَيْهِ خُصُوصًا فِي الْقُرَى ، وَأَنْتَ تَنْتَظِرُهُ أَيْضًا إِذَا كَتَبْتَ كِتَابًا وَانْتَظَرْتَ جَوَابَهُ وَإِذَا طَلَبْتَ كِتَابًا مِنْ تَاجِرِ كُتُبِ.

خَالِدٌ: وَرَأَيْتُ يَا طَارِقُ رَجُلًا آخَرَ يَرْتَدِي مِثْلَ حُلَّةِ السَّاعِيِّ وَلَهُ أَزْرَارٌ نُحَاسِيَّةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ أَيْضًا وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدَهُ حَقِيقَيَّةٌ مِنْ جِلْدٍ ، وَهُوَ عَلَى دَرَاجَةِ حَمْرَاءِ أَرَاهُ يَذْهَبُ بِسُرْعَةِ كَاهِنٍ مُسْتَعْجِلٍ .

طَارِقٌ: هَوَ أَيْضًا سَاعِي الْبَرِيدِ وَلَكِنَّهُ لَا يُوزَعُ الْكُتُبَ بَلْ يُوزَعُ الْبَرْقِيَّاتِ^(۱) وَيَذْهَبُ عَلَى دَرَاجَةِ حَمْرَاءِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ لِيَصِلَ سَرِيعًا ، فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُرْسِلُونَ الْبَرْقِيَّةَ إِلَّا لِتَصِلَ سَرِيعَةً ، وَالنَّاسُ يَعْرِفُونَهُ بِدَرَاجَتِهِ الْحَمْرَاءِ.

خَالِدٌ: وَلَكِنْ كَيْفَ يَقْدِرُ^(۲) رَجُلٌ وَاحِدٌ أَنْ يُوزَعَ الْكُتُبَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ؟

(۱) بَرْقِيَّة جمع بَرْقِيَّات: تِلْغَرَاف وهي رسالة ترسل من مكان إلى آخر بوساطة جهاز البرق.

(۲) قَدَرَ عَلَى عَدُوِّهِ: قوي عليه ، وتمكن منه.
قدَرَ الشَّيْءَ: حدد مقداره.

طَارِقٌ : لَا ! فِي مَكْتَبِ الْبَرِيدِ رِجَالٌ كَثِيرٌ وَلِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ وَلِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَهْيَاءِ الْبَلْدِ سَاعَ.

خَالِدٌ : وَكَيْفَ يُنْفِقُ مَكْتَبُ الْبَرِيدِ الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ وَكَيْفَ يَخْدِمُ مَجَانًا ؟ وَرِجَالُ الْبَرِيدِ يَرْتَدُونَ حُلَّاً وَيَحْمِلُونَ حَقَائِبَ وَيَرْكَبُونَ دَرَاجَاتٍ ، فَمِنْ أَيْنَ تَأْتِيُ هَذِهِ الْأَمْوَالُ ؟

طَارِقٌ : إِنَّ مَكْتَبَ الْبَرِيدِ يَأْخُذُ أُجْرَةً مِنْ كُلِّ مَنْ يُرْسِلُ كِتَابًا بِالْبَرِيدِ .

خَالِدٌ : وَمَا هَذِهِ الْأُجْرَةُ وَمَتَى تَدْفَعُهَا يَا أَخِي ؟

طَارِقٌ : قَدِ اشْتَرَيْتُ هَذَا الطَّابِعَ^(۱) مِنْ مَكْتَبِ الْبَرِيدِ وَهَذِهِ هِيَ أُجْرَةُ الْبَرِيدِ .

خَالِدٌ : أَشْكُرُوكَ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ الْمُفَيْدِ ، وَسَأَكْتُبُ إِلَى أَخِي وَصَدِيقِي جَمِيلٍ ، وَسَأُرْسِلُ الْكِتَابَ بِالْبَرِيدِ ، وَإِذَا كَتَبْتُ الْكِتَابَ جِئْتُكَ بِهِ فَتَرَاهُ وَتُصْلِحُهُ .

طَارِقٌ : حُبَّاً وَكَرَامَةً ، يَسُرُّنِي أَنْ أُسَاعِدَكَ .

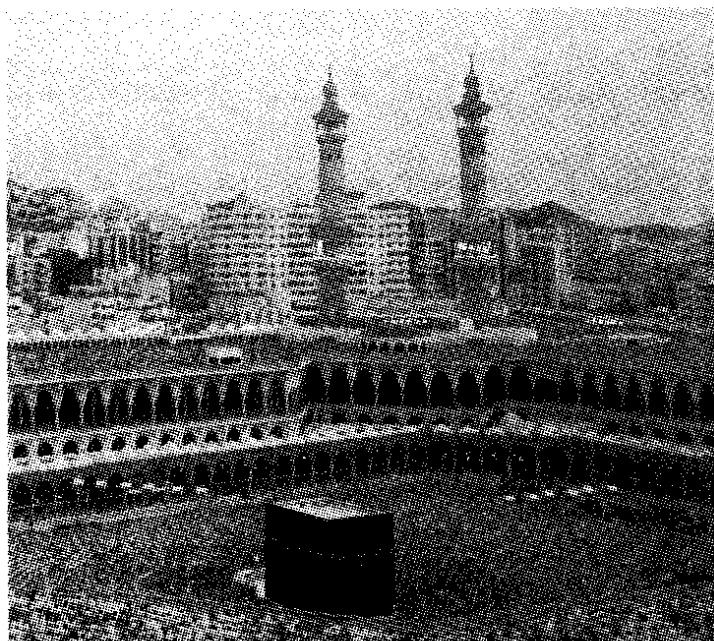
* * *

(۱) طابع البريد: بطاقة صغيرة ذات رسم تحدد الدولة سعرها تلخص بظرف الرسائل رمزاً لأداء أجر الإرسال ، ونحوه الطابع المالي ، والطابع العقاري .

(٢٩)

مَنْ يَضْعُ الْحَجَرَ؟

(١)



إِنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ هَذَا الْبَنَاءَ ، وَمَنْ فِي الدُّنْيَا لَا يَعْرِفُ هَذَا الْبَنَاءَ؟ إِنَّكُمْ تَتَوَجَّهُونَ^(١) إِلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ ، وَيُسَافِرُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَيَطُوفُونَ فِي الْحَجَّ .

(١) تَوَجَّهَ يَتَوَجَّهُ إِلَى المَكَانِ: قَصَدَهُ وَذَهَبَ إِلَيْهِ.

الْكَعْبَةُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ ، بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ فِي مَكَّةَ وَفِيهَا حَجَرٌ أَسْوَدُ يُقَبِّلُهُ النَّاسُ فِي الْحَجَّ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُهُ .

وَبَعْدَ زَمْنٍ طَوِيلٍ أَرَادَ أَوْلَادُ إِبْرَاهِيمَ وَهُمْ قُرَيْشٌ أَنْ يَبْنُوا بَنَاءً الْكَعْبَةَ مِنْ جَدِيدٍ فَإِنَّهُ كَانَ بَنَاءً قَدِيمًا قَدْ سَقَطَ سَقْفُهُ^(١) ، وَضَعُفتْ جُذْرَانُهُ ، فَجَمَعَتْ قُرَيْشُ الْحِجَارَةَ وَالْخَشَبَ لِبَنَائِهَا وَبَنَتْ قُرَيْشٌ بَنَاءً الْكَعْبَةَ مِنْ جَدِيدٍ .

وَلَمَّا تَمَّ بَنَاءُ الْكَعْبَةِ أَرَادَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَحَلِّهِ فَاخْتَصَمَتْ قُرَيْشٌ فِي وَضْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي مَحَلِّهِ ، كُلُّ قَبِيلَةٍ ثُرِيدٌ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ لَأَنَّهُ شَرْفٌ عَظِيمٌ ، كُلُّ قَبِيلَةٍ حَرِيصَةٌ عَلَى أَنْ تَنَالَ هَذَا الشَّرْفَ .

كُلُّ قَبِيلَةٍ حَرِيصَةٌ عَلَى أَنْ تَنَالَ هَذَا الشَّرْفَ وَلِكِنَّ ذَلِكَ لَا يُمْكِنُ لِأَنَّ الْحَجَرَ وَاحِدٌ وَالْقَبَائِلَ كَثِيرَةٌ .

وَانْخَلَفَتْ قُرَيْشٌ كَثِيرًا وَتَنَازَعَتْ وَكَانَ الْعَرَبُ يُقَاتِلُونَ لِأَدْنَى^(٢) شَيْءٍ وَلِغَيْرِ شَيْءٍ ، يَتَقدَّمُ فَرَسٌ فَيُقَاتِلُونَ ، وَيَسْبِقُ أَحَدُ

(١) سقف جمع سُقوف: غطاء المنزل ونحوه ، وهو أعلى المقابل لأرضه.

(٢) أدنى: أقل.

فَيَسْقِيْنِي فَرَسَهُ أَوْ بَعِيرَهُ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، فَلِمَادَا لَا يُقَاتِلُونَ عَلَى هَذَا السَّرَّافِ؟
وَإِنَّهُ لَشَرَفٌ عَظِيمٌ.

وَقَرَبَتْ قَبِيلَةُ مِنْ قُرَيْشٍ جَفْنَةً^(١) مَمْلُوءَةً دَمًا ثُمَّ تَحَالَّفَتْ^(٢)
مَعَ قَبِيلَةِ أُخْرَى عَلَى الْمَوْتِ وَأَدْخَلُوا أَيْدِيهِمْ فِي ذِلِكَ الدَّمِ
وَقَالُوا: لَا نَتَرُكُ هَذَا السَّرَّافَ أَوْ نَمُوتَ.

وَكَانَ هَذَا شَرًا كَبِيرًا وَخَطَرًا عَظِيمًا وَالْمَوْتُ شَيْءٌ هَيْئَنَ^(٣)
لِلنَّعَربِ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَالسَّرَّافِ .

إِذَا لَا بُدَّ مِنَ الْحَرْبِ ، وَالْحَرْبُ مَشْوُومَةٌ جِدًا.



(١) جَفْنَة جمع جَفَنَات وجفان: الوعاء يُصنَع من خزف ونحوه.

(٢) تَحَالَّفَ يَتَحَالَّفُ: تَعَااهَدَ.

(٣) هَيْئَنَ: سَهْلٌ.

(٣٠)

مَنْ يَضْعُ الْحَجَرَ؟

(٢)

وَمَكَثَ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا ثُمَّ إِنَّهُمْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَتَشَاءُرُوا^(١).

تَشَاءُرُوا وَقَالُوا: مَنْ يَضْعُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَحَلِّهِ؟ كُلُّ قَبْيلَةٍ حَرِيصَةٌ عَلَى أَنْ تَنَالَ هَذَا الشَّرْفَ، وَالْحَجَرُ وَاحِدٌ، وَالْقَبَائِلُ كَثِيرَةٌ.

إِذَا لَا بُدَّ مِنَ الْحَرْبِ وَالْحَرْبُ مَشْؤُومَةٌ^(٢) جِدًا.

قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَا بَأْسَ^(٣) بِالْحَرْبِ فَالْمَوْتُ شَيْءٌ هَيْئٌ لِلْعَرَبِ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَالشَّرْفِ.

(١) تَشَاءُرَ يَتَشَاءُرُ الْقَوْمُ: شَاءَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

(٢) مَشْؤُومٌ ، مَشْؤُومَةٌ جَمِيعَ مَشَائِيمٍ: مِنْ أَصَابَهُ الشَّؤُمُ.

(٣) لَا بَأْسَ: لَا مَانِعٌ أَوْ عِيبٌ فِيهِ.

قال العُقلاءُ: نَعَمْ! لَا بَأْسَ بِالْحَرْبِ وَلَكِنْ لَا حَاجَةَ إِلَى
الْحَرْبِ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

وَلَكِنْ مَا هُوَ الطَّرِيقُ؟ وَكَيْفَ يُوضَعُ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ فِي مَحَلِّهِ
بِغَيْرِ قِتَالٍ؟

تَشَاؤرُوا وَتَشَاؤرُوا وَتَشَاؤرُوا كَثِيرًا وَوَجَدُوا الطَّرِيقَ.

قَالَ شَيْخٌ وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ سِنًا: أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا
الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ ، فَقَبِلُوا وَرَضُوا بِذَلِكَ.

تَعْرَفُونَ مَنْ كَانَ أَوَّلَ دَاهِلٍ؟ كَانَ أَوَّلُ دَاهِلٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،
فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ رَضِيَّنَا^(۱) ، هَذَا مُحَمَّدٌ!

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ طَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُوبًا
فَأَتَيَّ بِهِ ، فَأَخَذَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَوَضَعَهُ فِيْ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ:
لِتَأْخُذُ كُلُّ قَبْلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثُّوْبِ ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا ، فَفَعَلُوا
حَتَّى إِذَا بَلَغُوا مَوْضِعَهُ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي
مَحَلِّهِ بِيَدِهِ، وَهَكَذَا دَفَعَ^(۲) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الشَّرَّ وَمَنَعَ
الْحَرْبَ .

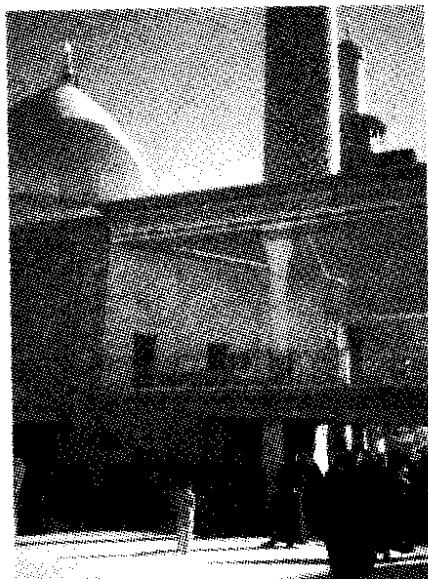
* * *

(۱) رَضِيَّنَا: ضَدَّ سُخْطَ .

(۲) دَفَعَ يَدْفَعُ الشَّرَّ: رَدَّهَ .

(٣١)

يَوْمُ الْعِيدِ



كَانَ أَمْسِ يَوْمُ الْعِيدِ ، اجْتَمَعَ النَّاسُ وَالْأَطْفَالُ عِنْدَ الْغُرُوبِ
يَتَرَاءَوْنَ^(١) الْهِلَالَ ، وَصَعِدُوا عَلَى سُقُوفِ الْبُيُوتِ وَالسُّطُوحِ
وَعَلَى الْمَنَارَاتِ .

ظَهَرَ الْهِلَالُ فَهَتَّ^(٢) الْأَوْلَادُ: «الْهِلَالُ ، الْهِلَالُ» وَجَرَوْا
إِلَيْهِمْ وَسَلَّمُوا عَلَى آبَائِهِمْ وَأَمَّهَاتِهِمْ وَعَلَى الْأَقَارِبِ ،

(١) تَرَاءَى يَتَرَاءَى الْقَوْمُ: رَأَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا . الشَّيْءُ: ظَهَرَ وَبَدَا .

(٢) هَتَّ يَهْتِفُ: صَاحَ .

فَدَعَوْا لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ وَطُولِ الْعُمُرِ.

وَنَامَ الْأَطْفَالُ لَيْلَةَ الْعِيدِ قَلِيلًا ، وَاسْتَيْقَظُوا مُبَكِّرِينَ وَقَدْ نَظَرُوا إِلَى مَلَابِسِهِمْ وَأَحْذِيَتِهِمْ وَقَلَانِسِهِمْ^(١) مِرَا رَأَى عَدِيدَةً .

وَلَمَّا كَانَ صَبَاحُ الْعِيدِ قَامُوا مِنْ فُرْشِهِمْ وَصَلَوُا الصُّبْحَ وَاغْتَسَلُوا وَغَيَّرُوا مَلَابِسَهُمْ ، وَلَبِسَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَلَابِسَ جَدِيدَةَ وَأَحْذِيَةَ جَدِيدَةَ وَقَلَانِسَ جَمِيلَةَ ، وَرَأَتِهِمْ أُمَّهَاتُهُمْ فَفَرِحْنَ بِهِمْ ، وَقَدَمَ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَأَقَارِبُهُمْ جَائِزَةَ الْعِيدِ .

وَكَانَ وَلَدُّ يَتِيمٍ تَخْدِمُ أُمُّهُ فِي بَيْتِ سَعِيدٍ وَلَيْسَ عِنْدَهُ لِبَاسٌ جَدِيدٌ وَلَا حِذَاءٌ جَدِيدٌ وَلَا قَلْنُسُوَةٌ نَظِيفَةٌ ، فَاغْتَسَلَ وَلَبِسَ لِبَاسَهُ الْقَدِيمَ وَقَدْ تَشَقَّقَ^(٢) ، وَلَبِسَ قَلْنُسُوَتَهُ الْقَدِيمَةَ وَقَدْ تَوَسَّخَتْ ، وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَثْرَابِهِ^(٣) وَإِلَى أُولَادِ الْأَغْنِيَاءِ بِغِبْطَةٍ^(٤) وَخَجَلٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مَحْزُونَةً تَذَكُّرُ أَبَاهُ .

حَزَنَ سَعِيدٌ بِهَذَا الْمَنْظَرِ وَاسْتَحْيَ فِي نَفْسِهِ فَأَسْرَعَ إِلَى صُنْدُوقِهِ وَأَهْدَى إِلَيْهِ مَلْبُوْسًا نَظِيفًا وَقَلْنُسُوَةً نَظِيفَةً ، فَذَهَبَ الْيَتِيمُ

(١) قَلْنُسُوَةٌ جمع قَلَانِسٍ: لباس للرأس.

(٢) تَشَقَّقَ يَتَشَقَّقُ: تَصْدَعَ وَبَدَتْ شَقوقَهُ.

(٣) تِرْبَهُ جمع أَثْرَابٍ: الممااثل في السن (للذكر والمؤنث).

(٤) غِبْطَةٌ: مَسَرَّةٌ ، حُسْنَ الحال.

وَغَيْرَ اللِّبَاسَ وَفَرَحَ كَثِيرًا وَفَرِحَتْ أُمُّهُ ، وَدَعَتْ لِسَعِيدٍ بِالْبَرَكَةِ
وَطُولِ الْعُمُرِ .

وَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْمُصَلَّى وَكَانَ مَنْظَرًا
جَمِيلًا يَقُولُونَ : «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ
أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ» .

وَصَلَّى الْإِمَامُ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ خَطَبَ ، وَرَاجَعَ النَّاسُ مِنَ
الْمُصَلَّى بِطَرِيقٍ آخَرَ ، وَزَارَ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَضَيَّفَ^(۱)
بَعْضُهُمْ أَصْدِقَاءَهُمْ ، وَهَنَّا كُلُّ مُسْلِمٍ صَدِيقَهُ وَقَالَ : «عِيدُ سَعِيدٌ»
كُلُّ عَامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ .

وَكَانَ صَبَاحُ الْعِيدِ جَمِيلًا ، وَفِي الْعَصْرِ ذَكَرَ النَّاسُ رَمَضَانَ
وَفُطُورَهُ ، وَفِي اللَّيْلَ ذَكَرُوا التَّرَاوِيحَ ، وَشَعَرُوا كَائِهِمْ فَقَدُوا
شَيئًا أَوْ ضَاعَ مِنْهُمْ شَيْءًا ، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ :
«الْعِيدُ سَاعَاتٌ وَرَمَضَانُ كُلُّهُ عِيدٌ» .

* * *

(۱) ضَيَّفَ يُضَيِّفُ : أَضَافَهُ وَأَنْزَلَهُ عِنْدَهُ .

القراءة الراسدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية
للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي

الجزء الثاني
راجعه وشرح ألفاظه
السيّد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

(٣٢)

شَهَامَةُ الْيَتِيمِ



تَرَوْنَ أَمَامَكُمْ صُورَةً مَسْجِدٍ ، هَذَا مَسْجِدُ النَّبِيِّ ﷺ فِي
الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، هَلْ تَعْرُفُونَ مِنْ خَبَرِ هَذَا الْمَسْجِدِ شَيْئًا؟ إِنَّ لَهُ
تَارِيْخًا يَغْتَبِطُ^(١) بِهِ كُلُّ طِفْلٍ مُسْلِمٍ .

لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ فِي مَكَّةَ ، وَنَادَى فِي
النَّاسِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ» غَضِيبَتْ قُرَيْشٌ وَكَانَتْ

(١) اغْتَبَطَ يَغْتَبِطُ : فَرَحَ بِالنِّعْمَةِ .

تَبْعُدُ الْأَصْنَامَ ، وَكَانَتْ فِي الْكَعْبَةِ الَّتِي بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ «عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ : كَانَ فِي تِلْكَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمَائَةٍ وَسِئْوَنَ صَنَمًا ، فَاشْتَعَلَتْ قُرَيْشٌ غَضَبًا وَآذَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَذَّبُوا الْمُسْلِمِينَ ، فَصَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَبَرَ الْمُسْلِمُونَ وَثَبَّتُوا لَهُمْ كَالْجِبَالِ .

وَلِكِنَّ قُرَيْشًا كَانُوا يَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيَحُولُونَ^(۱) بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَعِبَادَةِ اللَّهِ ، فَأَذَنَ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْهِجْرَةِ ، فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ ، وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ أَرْضًا طَيِّبَةً لِلْإِسْلَامِ ، فِي أَهْلِهَا لِيْنٌ وَرِقَّةٌ ، قَدْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

وَلَمَّا انتَقَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَسَكَنَ هُنَالِكَ أَحَبَّ أَنْ يَبْيَنِي مَسْجِدًا ، لِأَنَّ الْمَسْجِدَ لَازِمٌ^(۲) لِلْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ قُطْبٌ يَدْوِرُ حَوْلَهُ رَحْيٌ^(۳) الْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَازِلًا فِي بَيْتِ أَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ (رَضِيَ

(۱) حَالَ يَحُولُ : مَنَعَ.

(۲) لَازِمٌ : ضُرُورِيٌّ .

(۳) رَحْيٌ جمع أرحاء : أداة يطحن بها ، وهي حجران مستديران يوضع أحدهما على الآخر ، ويدار الأعلى على قطب .

اللهُ عَنْهُ) وَكَانَ ضَيْفًا عَلَيْهِ ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْ بَيْتِهِ مِرْبَدٌ^(۱) ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ الْمَسْجِدَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لِمَنْ هَذَا الْمِرْبَدُ؟

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ اسْمُهُ مُعاذُ بْنُ عَفْرَاءَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ! لِيَتَّبِعَ مِنْيَنِ ، اسْمُ أَحَدِهِمَا سَهْلٌ وَاسْمُ الثَّانِي سُهَيْلٌ . طَلَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْلًا وَسُهَيْلًا ، وَهُمَا وَلَدَانِ يَتِيمَانِ ، فَلَمَّا حَضَرَا ، كَلَمَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَمْرِ الْمِرْبَدِ وَثَمَنِهِ.

قَالَ سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ! لَهُ ، لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا ، فَابْنُ الْمَسْجِدَ ، وَقَدْ طَابَتْ بِهِ أَنفُسُنَا ، وَلِكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبِي وَاشْتَرَى مِنْهُمَا الْمَكَانَ ، وَدَفَعَ الثَّمَنَ.

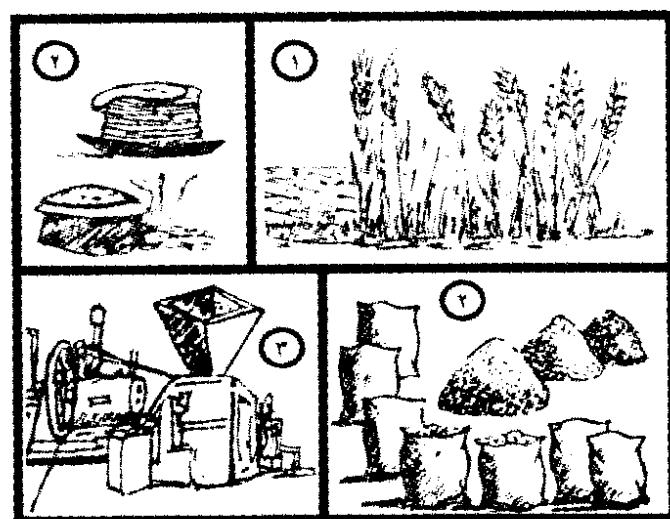
وَبَنَى الْمُسْلِمُونَ الْمَسْجِدَ ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ بِيَدِهِ وَيَنْقُلُ اللَّبِنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ لَذَاكَ مِنَ الْعَمَلِ الْمُضَلِّلِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَبْتُونَهُ وَيَقُولُونَ:

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَارْحِمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ وَقَدْ زَادَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) وَالْمُلُوكُ بَعْدَهُ ، حَتَّى تَرَوْنَهُ فِي هَذَا السَّكْلِ .

(۱) مِرْبَدٌ جمع مَرَابِدٍ: مَوْقِفُ الْإِبْلِ وَمَحْبِسُهَا.

(٣٣)

كِسْرَةٌ مِنَ الْخُبْزِ



مَرَّةً أَخَذْتُ كِسْرَةً^(١) مِنَ الْخُبْزِ لَا كُلَّهَا فَقَالَتْ: مَهْلًا يا سَيِّدِي^(٢)! إِنَّكَ غَيْرُ جَائِعٍ ، وَقَدْ أَكَلْتَ أَخْوَاتِيْ ، أَفَلَا تُحِبُّ أَنْ أَقْصَّ عَلَيْكَ قِصَّتِيْ ، فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ وَإِنَّهَا لَذِيذَةٌ .

قُلْتُ: بَلَى! أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ قِصَّتِكِ ، فَلَا آكُلُكِ حَتَّى أَسْمَعَ مِنْكِ.

(١) كِسْرَة جمع كِسَر: القطعة المكسورة من الشيء.

(٢) مَهْلًا يا سَيِّدِي: رِفْقًا لَا تَعْجَل يا سَيِّدِي.

قَالَتْ : هَلْ تَظُنُّ يَا سَيِّدِي ! أَنِّي خُلِقْتُ هَكَذَا ؟ هَلْ سَمِعْتَ أَنَّ
الْخُبْزَ يَنْبَتُ فِي الْحَقْلِ^(١) أَوْ يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ ؟ إِنَّكَ تَأْكُلُ
مُسْتَرِيحاً يَأْتِيكَ رِزْقُكَ رَغْدًا ، وَلَكِنِّي لَمْ أَزَلْ أَتَحْمَلُ الْمَشَاقَ^(٢)
لِأَجْلِكَ ، وَأَخْرُجُ مِنْ مُصِيَّةٍ إِلَى مُصِيَّةٍ وَمِنْ مَحْبِسٍ إِلَى مَحْبِسٍ
حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى يَدِكَ .

كَانَ مِنْ خَبْرِي أَنِّي كُنْتُ حَبَّةً حِنْطَةً^(٣) مَعَ شَقِيقَاتِي فِي
غِرَارَةٍ^(٤) ، فَجَاءَ إِلَيْنَا رَجُلٌ ، فَأَخَذَنِي مَعَ رَفِيقَاتِي ، فَبَذَرَنَا^(٥)
فِي التُّرَابِ .

هُنَالِكَ فِي الْحَقْلِ أَبْصَرْتُ الدُّنْيَا وَأَصَابَتِنِي الشَّمْسُ وَكُنْتُ
مَسْرُوفَةً جَدًّا ، وَلَكِنْ نَزَلَ الْمَطَرُ ، وَدَخَلْتُ إِلَى بِاطِنِ التُّرْبَةِ ،
وَبَقِيَتْ مَدْفُونَةً أَيَّامًا ، وَأَخَذَ جَسْمِي يَكْبُرُ وَجَلْدِي يَضِيقُ عَلَيَّ ،
حَتَّى انشَقَّ جَلْدِي ، وَخَرَجَ مِنْهُ جُذِيرَاتٌ كَالشَّعْرِ ، ثُمَّ خَرَجَتْ
وَرِيقَاتٌ شَقَّتِ التُّرْبَةَ ، وَظَهَرَتْ فَوْقَ الْأَرْضِ ، فَكُنْتُ يَا سَيِّدِي !
سُبْنَلَةً قَائِمَةً عَلَى سَاقٍ .

(١) حَقْل جمع حُقول: كل قطعة من الأرض قابلة للحرث والزراعة.

(٢) مَشَقَّة جمع مَشَاقٍ وَمَشَقَّاتٍ: عناء وتعب.

(٣) حِنْطَة جمع حِنَطٌ: قمح.

(٤) غِرَارَة جمع غَرَائر: وعاء من الخيش ونحوه توضع فيه الحبوب.

(٥) بَذَرَ يَبْذُرُ الْحَبَ: أَلْقَاه في الأرض متفرقاً للزراعة.

ثُمَّ أَصْبَحْتُ سُبْلَةً صَفْرَاءَ فِي حَرَارَةِ السَّمْسِ ، وَكُنْتُ أَرَى
صَدِيقَاتِي وَكُنَّا نَسْخَدُ وَنَهْتَرُ طَرَابًا ، وَكَانَتْ أَيَّامًا جَمِيلَةً .

وَمَا طَالَتْ تِلْكَ الْمُدَّةُ فَقَدْ جَاءَ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ الْمَنَاجِلَ^(۱) ،
فَحَصَدُوا وَحَمَلُوا ، وَأَنْتَقَلْتُ إِلَى بَيْدَرٍ^(۲) وَمَكَثْتُ أَيَّامًا .

وَكَانَ مِنْ أَشَدَّ الْأَيَّامِ فَقَدْ جَاءَ ثِيرَانٌ فَدَاسَتْنَا^(۳) بِأَقْدَامِهَا ،
وَفَارَقْتُ السُّبْلَةَ ، وَكُنْتُ طَرِيقًا^(۴) ذَلِيلًا .

ثُمَّ أَخَذَنَا رِجَالٌ وَذَرَوْنَا^(۵) فِي الرِّيحِ ، فَطَارَ الْقِسْرُ وَبَقِيَ
الْقَمْحُ .

وَكَانَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ: أَنَّ رَجُلًا حَمَلَنِي إِلَى شَيْءٍ مُدَوَّرٍ
مِنَ الْحَجَرِ ، فِيهِ ثَقْبٌ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ لَهُ صَوْتًا شَدِيدًا كَرِينَاهَا
وَجَعْجَعَةً^(۶) ، فَأَلْقَانِي فِيهِ فَطَحَنَنِي طَحْنًا ، هَلْ تَعْرِفُ اسْمَهُ
يَا سَيِّدِي؟ ذَلِكَ هُوَ الطَّاحُونُ أَوِ الرَّحَى .

(۱) مِنْجَل جمع مَنَاجِل: آلة لحصد الزرع أو لخشش العشب.

(۲) بَيْدَر جمع بَيَادِر: الموضع يُجمع فيه ما يُحصد من الحبوب.

(۳) دَاسَ يَدُوسُ الشَّيْءَ: وَطَئَهُ وَطَئًا شَدِيدًا بِقَدْمِهِ.

(۴) طَرِيق: مَتْرُوك.

(۵) ذَرَا يَذْرُو: أطار وفرق.

(۶) جَعْجَعَة: تصويب الرحي.

فَلَمَّا صِرْتُ دَقِيقًا أَخَذَنِي الْخَبَازُ وَوَضَعَنِي فِي مِجْنَةٍ ،
وَغَمَرَنِي بِالْمَاءِ النَّقِيِّ ، وَغَمَرَنِي ، حَتَّىٰ صِرْتُ عَجِيْنَا ، فَصَنَعَ
إِنِّي كُرَّةً .

هُنَالِكَ جَاءَتِ الْمُصِبَّةُ ، فَقَدْ دَحَانِي^(١) عَلَىٰ حَدِيدٍ مُحَمَّى
سَمُونَهُ الطَّابَقَ ، لَا تَسْأَلْ يَاسِيَّدِي ! عَنِ الَّمِيْنِ وَاحْتِراَقِيْنِ فَقَدْ
الْتَّوَيْتُ^(٢) وَانْكَمَشَتُ^(٣) ، وَلِكِنَّ الْخَبَازَ لَمْ يَرْحَمْنِي وَلَمْ يَرِقْ
لِي ، حَتَّىٰ كُنْتُ رَقَاقًا^(٤) .

كُلُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِكَ يَا سَيِّدِي ، كُنْتُ أَشْقَى لِنَعِيمِكَ وَأَتَعَبُ
لِلَّذَّاتِكَ ، وَأَنْتَقلُ مِنْ طَورٍ^(٥) إِلَى طَورٍ ، لِتَأْكُلَ هَنِيئًا وَتَشْبَعَ ،
أَفَلَا يَخْسُنُ بِكَ أَنْ تَقُولَ :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي وَسَقَانِي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» .

* * *

(١) دَحَانِيْ: بَسَطَ وَمَدَ وَوَسَعَ.

(٢) التَّوَيْتُ يُلْتَوِي الشَّيْءَ: اعْوَجَ.

(٣) انْكَمَشَ يَنْكِمِشُ: افْرَدَ وَانْطَوَى.

(٤) رَقَاق: خَبْزٌ مُنْبَسْطٌ رَقِيقٌ.

(٥) طَورٌ جَمْعُ أَطْوَارٍ: حَالٌ ، هِيَةٌ.

(٣٤)

عيادة المريض

ذهب حامد إلى المدرسة يوم السبت فوجد أن صديقه حسيناً ما حضر في المدرسة، فسأل أخيه علياً عن السبب، فقال: إنه مموم^(١) من يوم الخميس، فعزم حامد على أن يعوده في الرجوع من المدرسة.

ذهب حامد إلى بيته حسين فسلم واستاذن، فخرج أبو حسين، قال حامد: إني أريد أن أعود صديقي حسيناً فقد أخبرني علي أنه مريض، قال أبوه: نعم! إنه أصابته الحمى^(٢) يوم الخميس، ويمكنك أن تعوده.

صعد حامد إلى السطح، ودخل غرفة حسين، فرأى حسيناً

(١) مموم: مصاب بالحمى.

(٢) حمى: علة يستحر بها الجسم.

مُضطجعاً، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِلُطْفٍ، وَدَنَا مِنْهُ، وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ حَالُكَ يَا أخِي! عَافَاكَ اللَّهُ.

قَالَ حُسَيْنٌ: قَدْ أَصَابَتِنِي الْحُمَى يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَكَانَتْ شَدِيدَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَخَفَتْ فِي الْلَّيْلِ، وَلِكِنِي أَشْكُو الصُّدَاعَ^(۱) وَالدُّوَارَ^(۲)، وَقَدْ ضَعُفتُ كَثِيرًا، كَأَنِّي مَرِيضٌ مُنْذُ أَيَّامٍ، وَلَا أَشْتَهِي الطَّعَامَ.

قَالَ حَامِدٌ: لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَهَلْ عَادَكَ طَبِيبٌ؟

قَالَ حُسَيْنٌ: نَعَمْ! قَدْ عَادَنِي طَبِيبٌ أَمْسِ، وَمَوْعِدُهُ الآنَ.

وَلَمْ يَجْلِسْ حَامِدٌ إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى حَضَرَ الطَّبِيبُ فَجَسَّ^(۳) يَدَ حُسَيْنٍ، وَقَاسَ الْحَرَارَةَ، وَأَمْتَحَنَ الصَّدْرَ بِالسَّمَاعَةِ^(۴)، وَأَبْدَى الْإِرْتِيَاحَ، وَغَيَّرَ فِي الْوَصْفَةِ قَلِيلًا، وَقَالَ: إِنَّهُ بَارِئٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَأَوْصَى^(۵) أَبَاهُ بَأنْ يَحْمِي حُسَيْنًا الْمَاءَ الْبَارِدَ وَالرَّيْتَ وَالْخُرُوجَ فِي الْهَوَاءِ وَالْتَّعَبِ، وَيَسْقِيَهُ الْلَّبَنَ وَمَاءَ الشَّعِيرِ وَمَاءَ الْفَوَاكِهِ.

(۱) صُدَاع: وجْعُ الرأس.

(۲) دُوَار: دَوْرَان يَأْخُذ بالرأس (دوخة) لمرض أو سفر.

(۳) جَسَّ يَجْسُ الْيَدَ: مَسَّها.

(۴) السَّمَاعَة: آلة يَسْمَعُ بها الطَّبِيبُ نَبْضَ الْقَلْبِ.

(۵) أَوْصَاهُ يُوصِي بِأَمْرٍ: أَمْرَهُ بِهِ.

وَجَلَسَ حَامِدٌ قَلِيلًا ، وَقَالَ : إِنَّ الْعَائِدَ إِذَا أَطَالَ الْجُلُوسَ
عِنْدَ الْمَرِيضِ ، شَقَّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَأَسْتَأْذِنُ وَأَنْصَرِفُ ،
وَأَعُوذُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا .



(٣٥)

الْكِيمِيَاءُ

كَانَ الْأَوْلَادُ يَتَحَدَّثُونَ فِي اللَّيْلِ وَيَسَامِرُونَ^(١) ، وَكَانَ أَكْثَرُ
حَدِيثِهِمْ عَنِ الْكِيمِيَاءِ ، وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَنَّ شَيْخًا
يُحَوِّلُ التُّرَابَ ذَهَبًا ، وَيَجْعَلُ نُقُودَ النِّيْكَلِ وَالرَّصَاصِ: دَنَانِيرًا
ذَهَبِيَّةً وَجُنَاحِيَّاتٍ .

وَصَدَّقَهُ مَحْمُودٌ وَقَالَ: نَعَمْ! إِنَّهُ فَنٌ كَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَهُ ،
وَلِكِنِ انْقَرَضَ^(٢) عُلَمَاءُ هَذَا الْفَنِّ ، وَطُوِيَ ذَلِكَ الْبِسَاطُ .

فَتَائِسَفَ الْأَوْلَادُ كَثِيرًا ، وَحَزِنُوا ، وَقَالُوا: لَوْ وَجَدْنَا أَحَدًا
يَعْرِفُ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ ، لَتَعْلَمَنَا هَا مِنْهُ ، وَصِرَنَا أَغْنِيَاءَ بَدْوُنِ تَعَبٍ
وَمَشْقَةٍ .

(١) سَامَرَ يَسَامِرُ: تَحَدَّثُ بعْضُهُمْ إِلَى بعْضٍ لِيَلًا .

(٢) انْقَرَضَ يَنْقَرِضُ الْقَوْمُ: مَاتُوا .

وَكَانَ أَبُوهُ بِمَسْمَعِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : لَا تَأْسَفُوا يَا أَوْلَادِي ! فَإِنِّي
أَعْرَفُ الْكِيمِيَاءَ ، وَأَنْتُمْ أَعْرَفُ النَّاسِ عِنْدِي ، فَآنَا أُعْلَمُكُمْ غَدًا ،
وَأُخْبِرُكُمْ بِصِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ .

فَرَحَ الْأَوْلَادُ كَثِيرًا ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ
أَنْ يَنْتَظِرُوا إِلَى الصَّبَاحِ ، فَاسْتَطَالُوا اللَّيْلَ ، وَلَكِنَّ وَالدِّهُمْ قَالَ
لَهُمْ : « لَا يُمْكِنُ تَعْلِيمُ الْكِيمِيَاءِ إِلَّا فِي النَّهَارِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ فَنٌّ
دَقِيقٌ .

نَامَ الْأَوْلَادُ ، وَأَنْتَبَهُوا مُبَكِّرِينَ ، وَلَمْ يَزَلْ إِسْمَاعِيلُ وَمَحْمُودُ
يَرِيَانِ الْكِيمِيَاءَ فِي الْمَنَامِ ، رَأَى هَاشِمٌ أَنَّهُ فِي قَصْرٍ شَامِخٍ^(۱)
وَلِبَاسٍ فَارِخٍ ، وَقَدْ بَنَى الْقَصْرَ ، وَصَنَعَ الْلِّبَاسَ بِالْمَالِ الَّذِي
حَصَلَ لَهُ بِالْكِيمِيَاءِ .

فَصَلَّوَا الصُّبْحَ ، وَجَلَسُوا حَوْلَ أَبِيهِمْ يَنْتَظِرُونَ فَرَاغَهُ مِنْ
تِلَاءِ الْقُرْآنِ ، وَأَتَمَّ أَبُوهُمْ حِزْبَهُ ، وَقَالَ : هَلْمُوا^(۲) يَا أَبْنَائِي !
فَخَرَجُوا مَعَهُ ، وَقَدْ أَعْجَلَهُمُ الْأَسْتِيَاقُ إِلَى الْكِيمِيَاءِ مِنْ أَنْ
يَفْطِرُوا .

لَمْ يَزَلْ أَبُوهُمْ يَسِيرُ بِهِمْ طَرِيقًا بَعْدَ طَرِيقٍ ، حَتَّى وَقَفَ بِهِمْ

(۱) شَامِخٌ : عَالٍ .

(۲) هَلْمُوا : تَعَالَوْا .

عَلَى حَقْلٍ يَحْرُثُهُ الْفَلَاحُ ، وَفِي يَدِهِ السَّكَّةُ ، فَقَالَ الْوَالِدُ :
الْكِيمِيَاءُ يَا أَوْلَادِي ! تَحْتَ سِكَّةِ الْمِحْرَاثِ .

فَتَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ ، فَاسْتَفْسَرُوا أَبَاهُمْ ، فَقَالَ الْوَالِدُ : أَلَمْ
أَسْمَعْكُمْ تَقْوِيلُونَ : الْكِيمِيَاءُ يُحَوِّلُ التُّرَابَ ذَهَبًا ؟ أَلَا يَتَحَوَّلُ هَذَا
التُّرَابُ ذَهَبًا بَعْدَ أَيَّامٍ بَلْ أَغْلَى مِنَ الذَّهَبِ ؟ وَمَا يُعْنِي الذَّهَبُ إِذَا
لَمْ يَكُنْ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ ؟ فَهَذِهِ الْبُذُورُ الَّتِي بَذَرَهَا الْفَلَاحُ ،
وَاجْتَهَدَ فِيهَا أَيَّامًا سَتَائِينَ بِحَاصِلٍ كَبِيرٍ ، وَسَيِّرُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِهَذَا
الْعَمَلِ أَضْعَافَ^(۱) مَا بَذَلَ .

ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ أَبُوهُمْ عَلَى مَصْبَنَ كَانَ النَّاسُ فِيهِ عَاكِفِينَ عَلَى
أَعْمَالِهِمْ ، وَالْعَرَقُ يَسِيلُ مِنْ جِبَاهِهِمْ ، وَصَنَعُوا أَشْيَاءً مُفِنَّدَةً
جَدًّا تُشْمِرُ لَهُمْ مَالًا كَثِيرًا ، وَتَقْضِي لِلنَّاسِ حَاجَاتٍ كَبِيرَةً ، فَقَالَ
الْوَالِدُ : الْكِيمِيَاءُ يَا أَوْلَادِي ! عَرَقُ الْجَبَينِ ، وَكَدُ الْيَمِينِ ، ثُمَّ
مَالَ بِهِمْ إِلَى حَلْقَةِ مُعَلِّمٍ ، وَإِلَى مَجْلِسِ وَاعِظٍ ، وَقَالَ :
يَا أَوْلَادِي ! الإِنْسَانُ أَغْلَى شَيْءًا فِي الْوُجُودِ ، وَتَثْقِيفُهُ وَإِصْلَاحُهُ
أَفْضَلُ مِنْ تَحْوِيلِ التُّرَابِ ذَهَبًا .

فَإِذَا تَعْلَمَ هُؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ ، وَإِذَا اهْتَدَى هُؤُلَاءِ النَّاسُ ، كَانَ
لِلْمُعَلِّمِ وَالْوَاعِظِ صَدَقَةٌ جَارِيَّةٌ ، لَهُ أَجْرٌ كُلُّ مَا يَعْمَلُ هُؤُلَاءِ مِنْ

(۱) ضِعْفُ جمع أَضْعَافِ الشَّيْءِ : مثْلُهُ أَوْ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ .

خَيْرٍ وَبِرٌّ ، وَلِذِلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَيِّدِنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :
«يَا عَلِيُّ ! لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» .
فَاقْتَنَعَ الْأَوْلَادُ ، وَشَكَرُوا أَبَاهُمْ ، وَرَجَعُوا ، وَقَدْ تَعْلَمُوا
الْكِيمِيَاءَ .



(٣٦)

يَوْمُ صَائِفٍ

مَا أَشَدَّ الْحَرَّ! يَا لَطِيفُ! النَّاسُ فِي بُيُوتِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ خَوْفَ السَّمْوُمِ ، وَقَدِ اتَّخَذُوا سُتُورًا مِنَ الْحَشِيشِ يَرْسُوْنَ عَلَيْهَا الْمَاءَ ، وَيَحْرِكُونَ الْمَرَأَوَحَ ، وَقَدْ سَدُوا النَّوَافِذَ ، لِئَلَّا تَدْخُلَ مِنْهَا السَّمْوُمُ^(١) ، وَمَعَ ذَلِكَ يَتَقَلَّبُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ ، هَذَا ، وَأَهْلُ الْأَكْوَافِ الْحَقِيرَةِ وَالْخُصَصِ^(٢) وَالْبَيْوَتِ الْمَيْنَيَةِ مِنَ الْلَّبِنِ أَنْعَمُ فِي الصَّيْفِ مِنْ أَهْلِ الْقُصُورِ الْمَيْنَيَةِ مِنَ الْجَصِّ^(٣) وَالْأَجْرِ ، فَإِذَا رَشُوا^(٤) الْمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ وَالْجُدْرَانِ ، وَهَبَّتْ نَفَحَةٌ^(٥) مِنْ سَمْوُمٍ تَحَوَّلُتْ نَفَحَةً مِنْ نَسِيمٍ ، وَحَسِبُوا أَنَّهُمْ فِي جَنَّةٍ وَنَعِيمٍ .

(١) سَمْوُم: حَرًّ شَدِيد.

(٢) خُصَص: جمع خُصَص وَأَخْصَاص: بيت من شجر أو قصب.

(٣) جَصِّ: مادة كلسية بيضاء تُطلَى بها البيوت.

(٤) رَشَ يَرْسُشُ على الأرض: نَضَحَها وبَلَّها.

(٥) نَفَحَة جمع نَفَحَات: لَسْعة النار.

اِرْتَفَعَتْ دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ إِلَى مِئَةٍ وَثَمَانِيَ عَشَرَةَ نُقطَةً ، فَعِيلَ صَبْرُ النَّاسِ ، وَسَافَرَ الْأَغْنِيَاءُ إِلَى قُلَّلٍ^(١) الْجَبَالِ حَيْثُ يَصْطَافُونَ^(٢) وَيَقْضُونَ شَهْرَيْ مَأْيُوْ وَيُؤْنِيْهِ حَتَّى إِذَا نَزَلَتِ الْأَمْطَارُ ، وَلَطْفَ الْحَرُّ هَبَطُوا إِلَى الْمُدُنِ وَالسُّهُولِ .

وَبَقِيَ أُوسَاطُ النَّاسِ ، وَأَهْلُ الْأَشْغَالِ يَتَحَمَّلُونَ الْحَرَّ ،
وَيَصْبِرُونَ لِلسَّمُومِ .

الآن رَكَدَتِ^(٣) السَّمُومُ ، وَمَالَتِ الشَّمْسُ ، وَطَابَ الْخُرُوجُ ،
وَأَنْتَشَرَ النَّاسُ فِي الْبَسَاتِينِ وَالْمَيَادِينِ وَشَوَّاطِيْهِ الْأَنَهَارِ يَتَرَوَّحُونَ
وَيَتَنَزَّهُونَ ، فَلَا تَجِدُ فِي الْبَيْتِ إِلَّا شَيْخًا هَرَمًا أَوْ امْرَأَةً أَوْ
عَاجِزًا ، وَمَنْ حَبَسَهُ شُغْلٌ أَوْ مَرْضٌ أَوْ حَاجَةً ، وَقَدْ تَسْتَمِرُ
السَّمُومُ إِلَى اللَّيْلِ ، فَلَا يَسْتَرِيحُ النَّاسُ وَيَتَقَلَّبُونَ عَلَى الْفِرَاشِ ،
وَقَدْ يَحْتَسِسُ الْهَوَاءُ ، فَيَسِيلُ الْعَرَقُ ، وَتَتَحرَّكُ الْمَرَاوِحُ ، وَيَطِيرُ
النَّوْمُ .

* * *

(١) قُلَّة جمع قُلَّل : قمة.

(٢) اصْطَافَ يَصْطَافُ بِالْمَكَانِ : أَمْضَى صَيْفَهُ فِيهِ .

(٣) رَكَدَ يَرْكُدُ السَّمُومُ : سَكَنَ وَهَدَأَ وَثَبَتَ .

(٣٧)

النَّظَافَةُ

طَاهِرٌ ابْنُ فَلَاحٍ ، يَسْكُنُ أَبُوهُ فِي الْقَرْيَةِ وَيُرْسِلُ إِلَى طَاهِرٍ
قَلِيلًا مِنَ النُّقُودِ كُلَّ شَهْرٍ .

وَلِكِنَّ طَاهِرًا وَلَدُّ مُدَبِّرٌ عَاقِلٌ ، ثِيَابُهُ مُتَوَاضِعٌ ، وَلِكِنَّهَا دَائِمًا
نَظِيفَةٌ مُرَبَّةٌ لَا تَرَى فِيهَا وَسَخًا ، يَغْسِلُهَا بِيَدِهِ كُلَّ جُمْعَةٍ ، وَعِنْدَهُ
إِبْرَةٌ وَخَيْطٌ ، فَإِذَا تَخَرَّقَ^(١) ثُوبٌ خَاطَهُ بِالإِبْرَةِ أَوْ رَقَعَهُ بِنَفْسِهِ .

وَلَا يُخْجَلُ إِذَا خَرَجَ فِي ثُوبٍ مَرْقُوعٍ ، وَلِكِنَّهُ يُخْجَلُ إِذَا
خَرَجَ فِي ثُوبٍ وَسِخٍ ، وَمَا رَأَهُ أَصْدِقَاؤُهُ فِي ثِيَابٍ وَسِخَةٍ أَبْدَا ،
فَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ غَنِيٌّ ، عِنْدَهُ ثِيَابٌ كَثِيرَةٌ ، وَلَا يَمْلِكُ إِلَّا أَرْبَعَ
بِذْلَاتٍ^(٢) .

وَإِذَا دَخَلْتَ فِي حُجْرَتِهِ رَأَيْتَهَا نَظِيفَةً مُنْتَظِمَةً ، وَرَأَيْتَ كُلَّ

(١) تَخَرَّقَ يَتَخَرَّقُ الثُّوبُ : أَشَعَّ شَقَّهُ .

(٢) بِذْلَة جمع بِذْلَاتٍ : مَا يُلْبِسُ فِي الْمَهْنَةِ وَالْعَمَلِ .

شَيْءٌ فِي مَحَلِهِ ، فَلَا يَضِيعُ وَقْتُهُ فِي تَفَقُّدِ الْأَشْيَاءِ وَالْتِمَاسِهَا ،
وَإِذَا دَخَلَ فِي الظَّلَامِ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ مَا يُرِيدُهُ لَا هُوَ فِي مَحَلِهِ .
وَكُتُبُهُ فِي نِظَامٍ دَائِمًا ، وَهِيَ نَظِيفَةٌ لَا تَرَى عَلَيْهَا غُبَاراً
وَلَا تُرَاباً ، وَلَا تَرَى فِيهَا أثْرَ دُهْنٍ وَمَسْحَةً يَدٍ ، وَلَا كِتَابَةً
وَتَمْرِينًا ، كَعَنْهُ اسْتَرَاهَا الْيَوْمَ ، وَلَا يَكْتُبُ اسْمَهُ إِلَّا فِي مَكَانٍ
وَاحِدٍ بِخَطٍ جَيِّدٍ .

وَإِذَا قَامَ طَاهِرٌ فِي الصَّبَاحِ تَوَضَّأَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ وَاسْتَاكَ^(۱) ،
وَنَظَفَ أَسْنَانَهُ .

وَيَغْتَسِلُ طَاهِرٌ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّيفِ ، وَأَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي
أَسْبُوعٍ فِي الشَّتَاءِ ، لِذَلِكَ تَرَاهُ يَمْرَضُ قَلِيلًا ، وَهُوَ قَوِيٌّ نَشِيطٌ .
وَفِي فَصْلِ طَاهِرٍ وَلَدُّ غَنِيٌّ اسْمُهُ شَاهِدٌ ، وَهُوَ ضُدُّ طَاهِرٍ فِي
النَّظَافَةِ وَالنِّظَامِ ، فَشِيَابُهُ غَالِيَةٌ جَمِيلَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي الْغَالِبِ وَسِخَةٌ
دَنِسَةٌ^(۲) ، وَهُوَ يُغَيِّرُ مَلَابِسَهُ سَرِيعًا ، وَلَكِنَّهُ يُوَسِّخُهَا سَرِيعًا .

وَكَذِلِكَ كُتُبُهُ دَائِمًا فَجَلْدُهَا مَشْقُوقٌ ، وَوَرَقُهَا مَخْرُوقٌ ، كَأَنَّ
طِفْلًا عَبَثَ بِهَا أَوْ مَشَتْ عَلَيْهَا سِكَّةُ الْفَلَاحِ أَوْ دَاسَتْهَا مَرْكَبَةً .

وَكُتُبُهُ وَدَفَاتِرُهُ مَعْرِضٌ ، أَوْ مُتَحَفٌ ، تَرَى فِيهَا رُسُومًا

(۱) اسْتَاكَ يَسْتَاكَ : نَظَفَ الْأَسْنَانَ بِالسَّوَاكِ .

(۲) دَنِسٌ : وَسِخٌ .

وَصُورَاً، وَتَوْقِيَّاتٍ وَتَمْرِيناتٍ، وَأَسْكالًا رِيَاضِيَّةً وَخَرَائطَ جُفْرَافِيَّةً.

وَإِذَا قُلْتَ لِشَاهِدٍ: لِمَادَا لَا تُحَافِظُ عَلَى النَّظَافَةِ وَالنَّظَامِ؟
قَالَ: إِنَّهُ يُضِيعُ فِي ذَلِكَ وَقْتٌ كَثِيرٌ، وَالْوَقْتُ شَيْءٌ غَالِيٌّ.
وَتَرَاهُ يُضِيعُ وَقْتًا طَوِيلًا فِي تَفَقُّدِ الْأَشْيَاءِ وَتَغْيِيرِ الْمَلَابِسِ
بِسُرْعَةٍ، وَلَا يَفْطَنُ^(١) لِذَلِكَ.

* * *

(١) فَطِنَ يَفْطَنُ لَهُ أَوْ إِلَيْهِ: تَنَبَّهَ لَهُ.

(٣٨)

الْحَنِينُ إِلَى الشَّهَادَةِ

(١)

لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخُرُوجَ إِلَى بَدْرٍ لِيُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ وَخَرَجَ غُلَامٌ اسْمُهُ عُمَيْرٌ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ عُمُرُهُ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً . وَكَانَ عُمَيْرٌ يَخَافُ أَلَا يَقْبِلُهُ النَّبِيُّ ﷺ ، لَأَنَّهُ صَغِيرٌ ، فَكَانَ يَجْتَهِدُ أَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ يَتَوَارَى^(١) .

وَلِكِنْ رَآهُ أَخُوهُ الْأَكْبَرُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فَقَالَ لَهُ: مَالِكَ يَا أَخِي؟ لَأَيِّ شَيْءٍ تَتَوَارَى؟

قَالَ عُمَيْرٌ: أَخَافُ أَنْ يَرُدَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِنِّي صَغِيرٌ ، وَأَنَا أُحِبُّ الْخُرُوجَ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُنِي الشَّهَادَةَ.

(١) تَوَارِى يَتَوَارِى: اسْتَرَّ وَاخْتَفَى.

وَكَانَ كَمَا خَافَ عُمَيْرٌ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَى أَنَّهُ صَغِيرًا ، وَالْحَرْبُ لَيْسَتْ مِنْ شُغْلِ الْأَطْفَالِ وَالْغِلْمَانِ ، وَمَا يَصْنَعُونَ فِي الْحَرْبِ ، وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ عَلَى الرِّجَالِ؟

وَلَكِنَّ عُمَيْرًا مَا أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ ، وَيَقْعُدُ فِي الْبَيْتِ ، أَوْ يَلْعَبُ مَعَ أَتْرَابِهِ ، وَأَصْدِقَائِهِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَإِنَّهُ لَيُرِيدُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ!

وَلَكِنَّ عُمَيْرًا لَا يَعْصِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا يُعَانِدُ^(۱) ، فَإِنَّهُ لَا يُرِيدُ إِلَّا رَضَاءَ اللَّهِ ، وَهَلْ يَنَالُ رَضَاءَ اللَّهِ إِذَا عَصَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ أَبَدًا!

كَانَ عُمَيْرٌ فِي حَيْرَةٍ وَحُزْنٍ شَدِيدٍ ، هُوَ لَمْ يَتْلُغْ سِنَّ الْقِتَالِ ، وَلَكِنَّهُ يَحْنُ^(۲) إِلَى الشَّهَادَةِ ، وَإِلَى الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَحْنُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَيَرَاهَا غَيْرَ بَعِيْدَةٍ ، وَلَكِنَّ كَيْفَ يَصِلُّ إِلَيْهَا ، وَهُوَ لَمْ يَتْلُغْ سِنَّ الْقِتَالِ؟

كُلُّ ذَلِكَ ثَقُلَ^(۳) عَلَى عُمَيْرٍ ، وَكَانَ قَلْبُهُ صَغِيرًا فَبَكَى ، وَلَمَّا

(۱) عَانِدَ يُعَانِدُ: خَالَفَ وَعَارَضَ.

(۲) حَنَ يَحْنُ إِلَيْهِ: اشْتَاقَ ، وَعَلَيْهِ: عَطَفَ.

(۳) ثَقُلَ يَثْقُلُ عَلَيْهِ: صَعْبَ عَلَيْهِ.

بَكَىٰ عُمَيْرٌ رَقَّ^(۱) لَهُ قَلْبٌ رَسُولِ اللَّهِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ رَقِيقًا فَأَجَازَهُ.

لَا تَسْأَلُوا عَنْ فَرَحِ عُمَيْرٍ وَسُرُورِهِ لَمَّا أَجَازَهُ النَّبِيُّ فَكَانَمَا نَالَ تَذْكِرَةَ الْجَنَّةِ.

وَخَرَجَ عُمَيْرٌ مَعَ أَخِيهِ وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُلُّهُمْ كِبَارٌ وَأَقْوَياءُ ، وَكَانَ كَمَا أَرَادَ ، فَقَدْ قُتِلَ شَهِيدًا فِي الغَزْوَةِ ، وَسَبَقَ كَثِيرًا مِنَ الشُّبَانِ وَالشُّيُوخِ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عُمَيْرٍ وَأَرْضَاهُ .

* * *

(۱) رَقَّ يَرِقُ لَهُ : رَحِمَهُ .

(٣٩)

الْحَنِينُ إِلَى الشَّهَادَةِ

(٢)

وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ لِِقْتَالِ قُرَيْشٍ خَرَجَ مَعَهُ
مِنَ الْمَدِينَةِ غِلْمَانٌ يُحِبُّونَ الْجَهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكَانُوا
صِغَارًا ، لَمْ يَتَجَاهُوا زُوْرًا الْخَامِسَةَ عَشَرَةَ مِنْ عُمُرِهِمْ ، فَرَدَّهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، لَا نَهُمْ صِغَارٌ لَمْ يَلْعُغُوا سِنَّ الْقِتَالِ ، فَيَكُونُونَ
كَالْمَتَاعِ ، وَيَشْغُلُونَ الْكِبَارَ أَيْضًا يُرَاقِبُونَهُمْ^(١) وَيَحْرِسُونَهُمْ .

وَكَانَ فِي هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانِ وَلَدُّ ، اسْمُهُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ، وَهُوَ
دُونَ الْخَامِسَةَ عَشَرَةَ مِنْ سِنِّهِ ، وَكَانَ يَتَطَاوَلُ مِنْ شَدَّةِ الشَّوْقِ ،
لِيَظْنَ النَّاسُ أَنَّهُ كَبِيرٌ ، قَدْ بَلَغَ سِنَّ الْقِتَالِ ، فَلَا يُفْطِنُ لِصِغَرِ سِنِّهِ
وَضَعْفِهِ .

(١) رَاقِبٌ يُرَاقِبُ : حَرَسٌ وَلَا حَظٌ .

وَلِكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَدَهُ ، لَا تَهُ عَرَفَ أَجْهَهُ صَغِيرٌ ، وَأَجْهَهُ
يَتَطَاوَلُ ، فَشَفَعَ^(۱) لَهُ أَبُوهُ ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ ابْنِي رَافِعًا
رَامٌ ، فَأَذِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

فَفَرَحَ رَافِعٌ كَثِيرًا لِمَا أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَخَرَجَ مَعَ
الْمُجَاهِدِينَ ، وَهُوَ أَكْثَرُ سُرُورًا مِنْ غِلْمَانٍ يَخْرُجُونَ إِلَى الْمُصَلَّى
يَوْمَ الْعِيدِ فِي لِبَاسٍ جَدِيدٍ .

وَكَانَ وَلَدُ آخَرُ اسْمُهُ سَمْرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ فِي سِنِّ رَافِعٍ ، فَعَرِضَ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ رَافِعٍ فَرَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَغَرِهِ أَيْضًا ،
فَقَالَ سَمْرَةُ : لَقَدْ أَجَزْتَ رَافِعًا وَرَدَدَنِي ، وَلَوْ صَارَ عَنْهُ^(۲) لَصَرَعَتُهُ .

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَمْرَةَ وَرَافِعًا بِالْمُصَارَعَةِ فَصَرَعَ سَمْرَةُ
رَافِعًا كَمَا قَالَ ، وَاسْتَحَقَ أَنْ يُسْمَحَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِي صَفَّ
الْمُجَاهِدِينَ .

فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ سَمْرَةَ لِلْخُرُوجِ ، فَخَرَجَ سَمْرَةَ وَقَاتَلَ يَوْمَ
أَحُدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ رَافِعٍ وَسَمْرَةَ ، وَرَزَقَنَا ابْنَاهُمَا .

* * *

(۱) شَفَعَ يَشْفَعُ لِهِ إِلَى فلان: سَأَلَ فلاناً التجاوز عن ذنبه.

(۲) صَارَعَ يُصَارِعُ: غالب في المصارعة.

(٤٠)

كُنْ أَحَدَ السَّبَعَةِ

(١)

كَانَ الْيَوْمُ الْخَامِسُ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ يُونِيُّوْنَ يَوْمًا شَدِيدًا لِلْحَرّ ،
وَكَانَ يَوْمًا عُطْلَةً ، فَكَانَ مَحْمُودٌ وَأَحْمَدٌ وَعُثْمَانُ فِي الْبَيْتِ ،
وَكَانُوا مَعَ أَبِيهِمْ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي النَّهَارِ ، وَكَانُوا يَتَأَفَّفُونَ^(١)
مِنَ الْحَرّ ، وَيَتَقَلَّبُونَ عَلَى الْفِرَاشِ كَأَنَّهُمْ عَلَى الْجَمْرِ .

قَالَ مَحْمُودٌ: يَا لَطِيفٌ! مَا أَشَدَّ الْحَرَّ!

قَالَ أَبُوهُمْ سُلَيْمَانُ: أَتَعْرِفُ يَا مَحْمُودًا! كَمْ تَبْعُدُ الشَّمْسُ مِنَ
الْأَرْضِ؟

مَحْمُودٌ: لَا يَا أَبِي! وَلَكِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهَا بَعِيدَةٌ جِدًا.

(١) تَأَفَّفَ يَتَأَفَّفُ مِنَ الْحَرّ: تَضَجَّرَ مِنْهُ.

سُلَيْمَانُ : سَتَقْرُأُ فِي الْمَدْرَسَةِ أَنَّ الشَّمْسَ تَبْعُدُ مِنَ الْأَرْضِ
أَكْثَرَ مِنْ تِسْعِينَ مَلْيُونًا مِنَ الْأَمْيَالِ ، وَالْحَرُّ كَمَا تَرَى ، فَكَيْفَ إِذَا
دَنَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَكُونَ مِقْدَارَ مِيلٍ ؟ !

مَحْمُودٌ : الْعِيَادُ بِاللَّهِ ! وَمَتَى هُذَا يَا أَبِي ؟

سُلَيْمَانُ : ذَلِكَ يَا بُنَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ .

أَحْمَدُ : وَكَيْفَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا أَبَتِ ؟ .

سُلَيْمَانُ : يَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ ، فَمِنْهُمْ
مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ^(۱) ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ^(۲) الْعَرَقُ إِلَجَاماً .

عُثْمَانُ : أَوَلَيْسَ هُنَالِكَ ظِلٌّ أَوْ مَكَانٌ يَسْتَظِلُّ بِهِ النَّاسُ ؟

سُلَيْمَانُ : بَلَى يَا وَلَدِي ! فَهُنَالِكَ ظِلٌّ لَا يَنْعَمُ بِهِ إِلَّا سَبْعَةُ مِنَ
الرِّجَالِ .

الْأَوْلَادُ : وَمَنْ أُولَئِكَ السُّعَدَاءُ يَا أَبَانَا ؟ لَعَلَّنَا نَجْتَهِدُ أَنْ نَكُونَ
مِنْهُمْ .

(۱) حَقْوَ جمع أَحْقَاءٍ : خَصْرٌ وَوَسْطٌ .

(۲) الْجَمَ يُلْجِمُ العَرَقَ : بَلَغَ فَاهَ .

سُلَيْمَانُ: يَا أَوْلَادِي ! يَنْبَغِي^(١) لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ يَكُونَ أَحَدَ السَّبَعَةِ ، وَأَنَا أَعُذُّ لَكُمْ أُولَئِكَ السَّبَعَةِ :

(١) إِمَامٌ عَادِلٌ .

وَقَطَعَ عَلَيْهِ أَحَدُ الْأَوْلَادِ ، وَقَالَ: وَمَنْ هُوَ الْإِمَامُ ، أَهْذَا الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ ؟

سُلَيْمَانُ: هُوَ أَيْضًا عَلَىٰ خَيْرٍ ، لَكِنَّ الْمُرَادُ هُنَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ .

وَابْتَدَرَ^(٢) الْأَوْلَادُ ، وَقَالُوا: قَدْ فَهَمْنَا ، هَذَا كَالخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، وَعُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَقَدْ سَمِعْنَا كَثِيرًا مِنْ حِكَائِاتِهِمْ مِنْ أُمَّنَا .



(١) يَنْبَغِي لِهِ: يَلْزَمُ أَوْ يَجِبُ عَلَيْهِ .

(٢) ابْتَدَرَ يَبْتَدِرُ: عَاجِلٌ .

(٤١)

كُنْ أَحَدَ السَّبْعَةِ

(٢)

(٢) قَالَ سُلَيْمَانُ: وَالثَّانِيْ يَا أَوْلَادِيْ! شَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى.

هُنَالِكَ وَقَفَ السَّيْخُ ، وَقَالَ: يُمْكِنُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَا أَوْلَادِيْ! أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الشَّابُ السَّعِيدُ ، وَلَكِنْ إِذَا ضَيَّعْتُمْ فُرْصَةَ الشَّيْبَابِ ، فَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا الْحَسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ.

(٣) رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعْلَقٌ فِي الْمَسَاجِدِ.

قَالَ الْأَوْلَادُ: هُوَ كَالسَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ فِي حَيَّاتِنَا ، فَإِنَّهُ لَا يَرْتَاحُ إِلَّا إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَا تَفُوتُهُ جَمَاعَةُ ، وَلَا نَظِنَّهُ يَبِيِّثُ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ.

قَالَ سُلَيْمَانُ: لَا يَا أَوْلَادِيْ! وَلَكِنَّهُ مُحَافِظٌ عَلَى الصَّلَاةِ

وَالْجَمَاعَةِ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَا فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فِي جَمَاعَةٍ مِنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ .

(٤) رَجُلَانِ تَحَايَا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، وَتَفَرَّقا عَلَيْهِ .

وَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَرَوْهُمَا ، فَانظُرُوا إِلَى الشَّيْخِ صَالِحِ وَالشَّيْخِ حَمْزَةَ ، فَهُذَا مِنَ الْهِنْدِ ، وَذُلِكَ مِنْ بُخَارِي ، وَهُمَا أَخْوَانٌ فِي اللَّهِ .

وَيُمْكِنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ هَذِهِ الْفَضْيَلَةَ ، وَذُلِكَ بِأَنَّ يُخْتَارَ مِنْ صَفَّهِ وَرُفْقَتِهِ^(١) الصَّالِحَ مِنَ الْأَوْلَادِ فِي صَادِقَهُ ، وَيَجْتَهِدُ أَنْ تَكُونَ صَدَاقَتُهُ لِلَّدِينِ .

(٥) وَرَجُلٌ اقْتَدَى بِيُوسُفَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) فِي الْعِفَّةِ^(٢) وَالْأَمَانَةِ ، وَقَدْ سَمِعْتُمْ قِصَّتَهُ .

قَالَ الْأَوْلَادُ: نَعَمْ !

(٦) وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ .

وَذُلِكَ مِثْلُ جَدِّكُمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَعْرِفْ بِرَهُ وَإِحْسَانَهُ إِلَى لَمْسَاكِينِ وَالضَّعَفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَدْ جَاءَتِ

١) رُفْقَةٌ جَمْعُ رِفَاقٍ: جَمَاعَةٌ مُتَرَافِقُونَ .

٢) عِفَّةٌ: تَرْكُ الشَّهُوَاتِ وَالتَّجَنُّبُ مِنْهَا بِكُلِّ شَيْءٍ .

الْعَجَائِزُ وَالْأَرَاملُ^(١) يَبْكِيهُ ، وَيَذْكُرُنَّ خَيْرَهُ وَبِرَّهُ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي
أَشْرَافٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْحَيٍّ أَنَّهُ كَانَ يُوَاسِيْهِمْ ، وَيَصِلُّهُمْ
بِمَعْرُوفٍ^(٢) كُلَّ شَهْرٍ ، وَلَمْ نَعْلَمْ ذَلِكَ أَهْلَ الْبَيْتِ .

(٧) وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًّا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ .

قَالَ الْأَوْلَادُ: أَمَّا نَحْنُ فَنَجْتَهَدُ جَمِيعًا أَنْ نَكُونَ شُبَّانًا نَشُؤُوا
فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَنَجْتَهَدُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَيْضًا ،
وَلَعَلَّنَا يَا أَبَانَا إِذَا جَمَعْنَا مِنْهَا خِصَالًا نَسَالُ بِهَا مَكَانًا خَاصًا فِي
ذَلِكَ الظَّلَّ أَيْضًا ، فَفَرَقْ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِفَضِيلَةٍ ، وَبَيْنَ مَنْ يَأْتِي
بِفَضَائِلَ .

سُلَيْمَانُ: هُوَ كَذِلِكَ «إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ،
وَلَا تُظْلِمْ نَفْسَ شَيْئًا» .

* * *

(١) أَرْمَلَة جـ أَرَاملـ: الَّتِي مات زوجها.

(٢) وَصَلَ يَصِلُـ: بَرَّ وَأَخْسَنَ المعاملةـ.

(٤٢)

الْعَيْنُ

(١)

الْعَيْنُ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَقَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِرْأَةً صَافِيَةً تَتَحَرَّكُ يَمِينًا وَشَمَالًا ، وَفَوْقُ وَتَحْتُ ، يَنْظُرُ بَهَا الْإِنْسَانُ إِلَى جَمِيعِ الْجِهَاتِ^(١) ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي مِحْجَرٍ صُلْبٍ مِنَ الْعَظْمِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا مِنَ الْجُفُونِ^(٢) غِطَاءً يَحْفَظُهَا مِنَ الْأَذَى ، وَحَاطَهَا بِأَهْدَابٍ^(٣) مِنَ الشَّعْرِ لِتَكُونَ سِيَاجًا^(٤) يُذْبِثُ عَنْهَا الدَّبَابَ

(١) جَهَةُ جِهَاتٍ: نَاحِيَةٌ.

(٢) جَفْنٌ: جَمْعُ جُفُونٍ وَأَجْفَانٍ: غِطَاءُ الْعَيْنِ مِنْ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا.

(٣) هُدْبٌ: جَمْعُ أَهْدَابٍ: شِعْرٌ أَشْفَارُ الْعَيْنِ.

(٤) سِيَاجٌ: جَمْعُ سِيَاجَاتٍ: سُورٌ مِنْ أَسْلَاكٍ أَوْ حِجَارَةٍ أَوْ غَيْرِهَا يُحِيطُ بِمَنْزِلٍ أَوْ غَيْرِهِ.

الْبَعْوُضَ وَالْغُبَارَ الَّتِي تَدْخُلُ الْعَيْنَ ، فَتُسَبِّبُ لَهَا الْأَلَمَ وَالْمَرَضَ سَلْطَةً عَلَيْهَا مَاءً جَارِيًّا يَغْسِلُ مَا يَدْخُلُ فِيهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ .

وَالْعَيْنُ عُرْضَةٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ ، كَالرَّمَدِ وَقَصْرِ النَّظَرِ ، قَدْ عَمَ هَذَا الْمَرَضُ الْأَخِيرُ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، فَلَجَأَ النَّاسُ حَتَّى لِأَطْفَالٍ إِلَى اسْتِعْمَالِ مِنْظَرَةٍ ، وَلِلإِجْتِنَابِ عَنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ حُسْنُ الْإِعْتَزَالُ عَنِ الْغُبَارِ وَالْأَتْرَبَةِ ، وَيَحْسُنُ التَّجَوُّلُ فِي لَأْمَاكِنِ الْفَسِيْحَةِ ، وَكَثْرَةُ غَسْلِ الْوَجْهِ بِالْمَاءِ الصَّافِيِّ ، فَإِنَّهُ جُلُونُ الْعَيْنِ ، وَيُنَقِّيَهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ وَالْقَذَى^(۱) ، وَلِذِلِكَ كَانَ وُضُوءُ خَمْسَ مَرَّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ - خُصُوصًا فِي الصَّبَاحِ عِنْدَ الْقِيَامِ - أَفِعَّاً جِدًاً .

وَمُوَاصِلَةُ الْقِرَاءَةِ لِيَلَّا فِي النُّورِ الضَّعِيفِ تُؤْثِرُ فِي النَّظَرِ ثِيرًا كَبِيرًا ، وَتَضُرُّ بِهِ ضَرَرًا عَظِيمًا ، فَعَلَى مَنْ أَلْجَاهُهُ الضرُورَةُ إِذْ ذِلِكَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مِنَ الْمَصَابِيحِ مَا كَانَ ذَا نُورٍ رَائِقٍ^(۲) مُعْتَدِلٍ يُرِي سَاطِعًا وَلَا ضَعِيفًا .

وَالْعَيْنُ جَوْهَرَةٌ غَالِيَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُشْتَرَى بِالْمَالِ ، وَبِهَا يَتَمَّتُ

) قَذَى حَ أَفْذَاءَ وَقُذَى: ما يتكون في العين من وسخ أبيض، وما يتجمع فيها من تبنة وغيرها.

) رائق: طيب.

الإِنْسَانُ بِجَمَالِ الطَّبِيعَةِ ، وَيَقْضِيُّ بِهَا حَاجَاتٍ فِي نَفْسِهِ ، وَيَكُونُ عُضْوًا عَامِلًا مُفِيدًا مِنْ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ الإِنْسَانِيَّةِ ، وَإِذَا فَقَدَ الإِنْسَانُ بَصَرَهُ حُرِمَ شَيْئاً كَثِيرًا مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا وَمَحَاسِنِهَا ، فَكَانَمَا أَظْلَمَ لَهُ الْعَالَمُ ، وَكَانَ كَلَّا عَلَى غَيْرِهِ ، وَرُبَّمَا كَانَ عِيَالًا عَلَى عَصَا حَقِيرَةٍ لَا يَمْشِي بِغَيْرِهَا .



(٤٣)

العين

(٢)

وَلِذِلِكَ كَانَتِ الْعَيْنُ ثَمِينَةً غَالِيَةً وَنَعْمَةً جَلِيلَةً ، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ فَصَبَرَ ، عَوَضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ ، يُرِيدُ عَيْنَيْهِ .

وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ إِذَا فَقَدَ بَصَرَهُ عَاطِلًا ضَائِعًا ، فَلَقَدْ فَاقَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُمَيَّانِ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْبَصَرِ فِي الْعِلْمِ ، وَأَقَرَّتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بِالْفَضْلِ ، كَالْمُفَسَّرِ قَتَادَةَ ، وَالْمُحَدِّثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، وَالْفَقِيهِ زُبَيرِ الْبَصْرِيِّ ؛ وَالنَّحْوِيِّ أَبِي جَعْفَرِ ، وَالْأَدِيبِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ ، وَالشَّاعِرِ بَشَارِ بْنِ بُرْدِ ، وَإِمامِ التَّجْوِيدِ الْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ .

وَمِنْ حَقٌّ هُذِهِ النِّعْمَةِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ وَأَنْ يَضِنَّ^(۱)
بِهَا عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ،
وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» .

وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَنْ يُرِيقَ دَمَعَهَا فِي
خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ
إِلَيْهِ اللَّهُ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثْرَيْنِ : قَطْرَةٌ دُمُوعٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَقَطْرَةٌ
دَمٌ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَمَّا الْأَثْرَانِ : فَأَثْرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
وَأَثْرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ» .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ
لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ عَيْنٍ
لَا تَدْمَعُ^(۲) ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا .

* * *

(۱) ضَنَّ يَضِنُّ ضَنًا: بِالشَّيْءِ عَلَيْهِ: بَعْلَ بُخْلًا شَدِيدًا.

(۲) دَمَعَ يَدْمَعُ دَمْعًا: دَمَعَتِ الْعَيْنُ: سَالَ مَاؤُهَا.

(٤٤)

أَدْبُ الْمُعَاشَةِ

تَرَ مِنَ الدَّهْرِ الْعَجَبْ
وَلَا تُفَاخِرْ بِسَبْ
وَالْكَيْسُ فِي الْفَطَانَةِ^(١)
لَا تُؤْحِشِ الْأَئِيْسَا
تَنْفُرِ الْأَصْحَابَا
تَذْعُو إِلَى الْمُجَانَبَةِ^(٢)
بَيْنَ سَرَّاً^(٣) رُؤَسَا

أَسْلُكْ مَعَ النَّاسِ الْأَدَبْ
وَلَا تُطَاوِلْ بِنَشَبْ^(٤)
الْعِرْرِ فِي الْأَمَانَةِ
لَا تُغْضِبِ الْجَلِيسَا
لَا تُكْثِرِ الْعِتَابَا
فَكَثْرَةُ الْمُعَاتَبَةِ^(٥)
وَإِنْ حَلَّتْ مَجِلسَا

(١) نَشَبْ: مَالٌ أَصِيلٌ مِنْ نَقْودٍ وَمَاشِيَةٍ.

(٢) فَطَانَة: قَوَّةُ اسْتِعْدَادِ الذَّهَنِ لِإِدْرَاكِ مَا يَرَادُ إِلَيْهِ.

(٣) الْمُعَاتَبَة: الْمُلَاءَمَةُ بِرَفْقٍ.

(٤) الْمُجَانَبَة: الإِبْعَادُ عَنِ الشَّيْءِ.

(٥) سَرَّيْ جَ أَسْرِيَاءُ وَسَرَّاً: شَرِيفٌ، كَرِيمٌ الْحَسْبُ.

وَكُنْ غُلَامَ الطَّاغِيَةِ
مَارَاقَ^(١) بِالْمَقَامِ
وَطَيِّبَ الْأَخْبَارِ
وَالثُّكَّتَ^(٣) الْمُبَشِّذَةِ
وَاجْتَنَبَ الْمِزَاحَاهَا
نَوْعٌ مِّنَ الْجُنُونِ

فَاقْصِدْ رِضَا الْجَمَاعَةِ
وَقُلْ مِنَ الْكَلَامِ
كَرَائِيقِ الْأَشْعَارِ
وَأَشْرُكْ كَلَامَ السَّفَلَةِ^(٢)
وَلَا تَكُنْ مِلْحَاحًا
فَكَثْرَةُ الْمُجُونِ وَنِ

* * *

(١) رَاقَ يَرُوقَ رَوْقًا بِالشَّيءِ: أَعْجَبَهُ.

(٢) سَافِلْ جَ سَفَلَة: سَيِّءُ الْخُلُقِ، وَالسَّفَلَةُ تُقالُ لِأَرَادُ النَّاسُ أَيْضًا.

(٣) ثُكَّة جَ ثُكَّاتُ وَنِكَاتُ: جَمْلَةٌ لَطِيفَةٌ تَؤْثِرُ فِي النَّفْسِ ابْسَاطًا.

(٤٥)

عِيدُ الأَضْحَى

كَانَ الْيَوْمُ الْأَخِيرُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَكَانَ الْيَوْمُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنَ الشَّهْرِ ، رَأَى وَالِدِي الْهِلَالَ ، وَكَانَ دَقِيقًا جَدًّا ، وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا بِاجْتِهادٍ وَبَحْثٍ ، وَرَأَيْتُ وَالِدِي يَقُولُ وَيَدْعُو ، قُلْتُ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ فِي دُعَائِكَ يَا أَبِي؟ قَالَ وَالِدِي: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ:

«اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلَامِ وَالإِسْلَامِ ، رَبِّي وَرَبِّكَ اللَّهُ ، هِلَالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ».

فَتَعَلَّمْتُهُ مِنْ وَالِدِي وَحَفِظْتُهُ.

وَظَنَّتُ أَنَّ الْعِيدَ غَدًّا ، فَأَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّ الْعِيدَ بَعْدَ تِسْعَةِ أَيَّامٍ ، فَإِنَّ عِيدَ الْأَضْحَى الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنَ الشَّهْرِ عُطَلَتِ الْمَدْرَسَةُ ، وَأَخْبَرَنِي

المُعَلَّمُ أَنَّ الْحُجَاجَ يَذْهَبُونَ الْيَوْمَ إِلَى مِنَى^(١) حَيْثُ يَبِيِّنُونَ ، وَهُذَا الْيَوْمُ يُسَمَّى يَوْمَ التَّرْوِيَةِ^(٢) .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ ، وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ ، يَذْهَبُ الْحُجَاجُ إِلَى عَرَفَاتٍ ، وَيَظْلَمُونَ هُنَالِكَ يَدْعُونَ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ ، وَيَذْهَبُونَ مِنْهَا إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ^(٣) وَيَبِيِّنُونَ هُنَالِكَ ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ يَرْجِعُونَ إِلَى مِنَى وَيَنْحَرُونَ^(٤) ، وَذَلِكَ يَوْمُ النَّحْرِ^(٥) وَهُوَ يَوْمُ الْعِيدِ .

وَكَانَ أَبِي اشْتَرَى بَقَرَةً سَمِينَةً لِلذَّبْحِ ، قَالَ: فِيهَا سَبْعَةُ سَهَامٍ: اثْنَانِ لِي وَلِأَمْكَ ، وَوَاحِدٌ لَكَ ، وَأَرْبَعَةُ لِأَخْوَيْكَ وَأَخْتَيْكَ .

وَكَانَ أَبِي يَعْلِفُهَا^(٦) وَيَسْقِيَهَا بِنَفْسِهِ ، وَقَالَ: فِي ذَلِكَ فَضِيلَةٌ وَأَجْرٌ .

وَالْيَوْمُ الْعَاشِرُ غَيَّرَنَا الْلِبَاسَ ، وَكَانَ أَبِي قدْ أَعَدَ لِي لِبَاساً

(١) مِنَى: بلدة قرب مكة ينزلها الحجاج أيام التشريق.

(٢) يوم التَّرْوِيَة: أي الثامن من ذي الحجة.

(٣) الْمُزْدَلِفَة: موضع بين عرفات ومنى.

(٤) نَحْرَ يَنْحَرُ نَحْرًا: ذبح.

(٥) النَّحْرُ: عاشر ذي الحجة.

(٦) عَلَفَ يَعْلِفُ عَلْفًا الْحَيْوَانَ: أطعمة.

جِدِيداً ، أَمَا الْحِذَاءُ ، فَكَانَ حِذَاءُ الْعِيدِ ، وَكَانَ نَظِيفاً لَمْ يَتَوَسَّخْ ، كَانَهُ جَدِيدٌ ، لَأَنِّي مَا كُنْتُ أَبْسُهُ إِلَّا قَلِيلًا ، وَتَطَيَّبَ أَبِي وَغَيْرَ اللِّبَاسَ ، وَخَرَجْنَا مَعَ الْجَمَاعَةِ إِلَى الْمُصَلَّى ، فَكَبَرَ^(١) وَهَلَلَ^(٢) جَهْرًا^(٣) ، وَصَلَّى الْإِمَامُ بِالنَّاسِ وَخَطَبَ ، وَذَكَرَ أَحْكَامَ الْأُضْحِيَّةِ ، وَرَجَعْنَا مِنَ الْمُصَلَّى بِطَرِيقٍ آخَرَ ، وَذَبَحَ أَبِي الْبَقَرَةَ ، وَسَمِّيَ اللَّهَ وَكَبَرَ .

وَوَرَّعْتُ أُمِّي الْلَّحْمَ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَصْدِقَاءِ ، وَطَبَخْتُ لَنَا أَيْضًا ، فَمَا تَغَدَّيْنَا إِلَّا بِلَحْمٍ أُضْحِيَّنَا^(٤) .

وَتَوَفَّرَ كَثِيرٌ مِنَ الْلَّحْمِ ، فَاحْتَفَظْتُ بِهِ أُمِّي وَأَبِيَسْتُهُ ، وَلَمْ نَزَلْ نَأْكُلُ مِنْ هَذَا الْقَدِيد^(٥) مُدَّةً طَوِيلَةً .

وَكَانَتِي أَيَّامُ الْعِيدِ الثَّلَاثَةِ مَادِبٌ^(٦) كَثِيرَةٌ ، وَكَانَتْ أَيَّامَ أَكْلِ وَشُرْبٍ ، وَقَدْ دَعَا أَبِي لَيْلَةَ يَوْمَ الْعِيدِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْدِقَائِهِ وَجِيَرَانِهِ ، وَصَنَعْتُ أُمِّي طَعَاماً مُلَوَّناً ، فَأَكْثَرَتُ وَأَطَابَتُ .

(١) كَبَرُ يُكَبِّرُ تَكْبِيرًا: قال: الله أكبر.

(٢) هَلَلُ يُهَلِّلُ تَهْلِيلًا: قال: لا إله إلا الله.

(٣) جَهْرًا: إعلاناً بصوت عالٍ.

(٤) أُضْحِيَّة جمع أَضَاحِي: شاة ونحوها يضحي بها في عيد الأضحى.

(٥) قَدِيد: لَحْمٌ مَقْطَعٌ مُمَلَّحٌ ، مُجَفَّفٌ فِي الشَّمْسِ .

(٦) مَادِبَة جمع مَادِبٌ: الطعام الذي يصنع لدعوة.

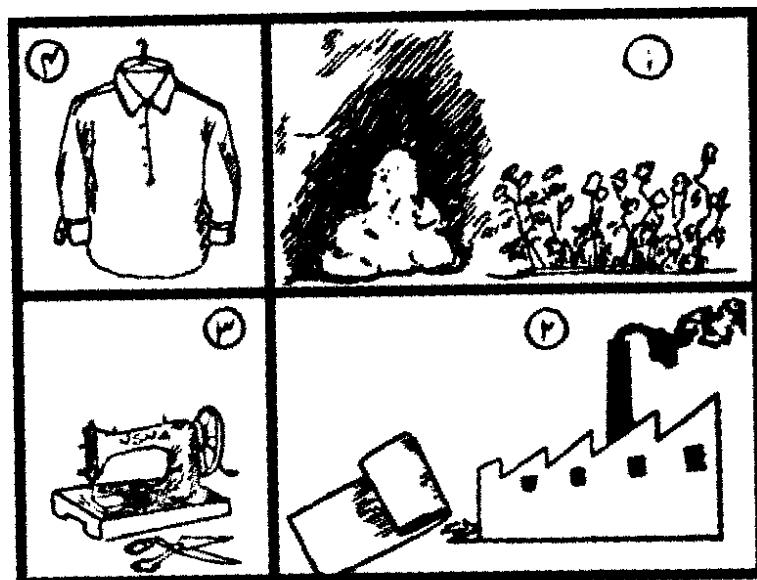
وَالْيَوْمِ الثَّانِي كُنَا ضُيُوفًا عِنْدَ جَارِنَا الْكَرِيمِ : السَّيِّدِ حُسَيْنِ
الْطَّبِيبِ ، وَكَانَتْ مَادَبَةً عَظِيمَةً ، وَلَمْ آكُلْ مِنَ اللَّحْمِ فِي طُولِ
الشَّهْرِ مَا أَكَلْتُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَلَمْ يَضُرَّ شَيْئاً .

وَكُنْتُ أَسْمَعُ الْإِمَامَ مِنْ فَجْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ الْيَوْمِ الْأَخِيرِ
مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَعْنِي الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يُكَبِّرُ وَيَهَلِلُ
دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَّكْتُوبَةٍ .



(٤٦)

تَارِيْخُ الْقَمِيْصِ



إِنَّكَ لَبِسْتَ قَمِيْصاً جَدِيداً ، فَأَبْلِ وَأَخْلِقْ ! وَلَكِنْ هَلْ تَعْرِفُ مِنْ تَارِيْخِهِ شَيْئاً ، هَلْ تَعْرِفُ كَمْ عَمِيلَ فِيهِ مِنَ الْأَيْدِيْ ، وَكَمْ اشْتَغَلَ بِهِ النَّاسُ ، وَكَمْ تَعِبَ فِيهِ الْعَامِلُوْنَ ، وَكَيْفَ وَصَلَ إِلَيْكَ ؟ كَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِ أَنَّ الزَّرَاعَ زَرَعَ الْقُطْنَ^(١) وَتَحَمَّلَ فِي زَرَاعَتِهِ

(١) القطن: جنس نباتات زراعية ليفية ثمرتها مادة بيضاء ناعمة تُغزل وتصنع منها الثياب ونحوها.

عَنَاءٌ^(١) شَدِيداً، فَإِنَّ زِرَاعَةَ الْقُطْنِ فِيهَا تَعْبٌ عَظِيمٌ، وَشُغْلٌ طَوِيلٌ، حَرَثَ الْأَرْضَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، أَوْ أَكْثَرَ، وَشَقَّ خُطُوطًا، وَمَلَأَهَا بِالْمَاءِ، وَتَرَكَهَا حَتَّى جَفَّتْ، وَحَفَرَ فِي جَنْبَهَا حُفَراً، ثُمَّ بَذَرَ^(٢) فِيهَا بُذُورًا مِنَ الْقُطْنِ قَدْ نَقَعَهَا بِالْمَاءِ لَيْلَةً، وَلَمَّا نَجَمَ^(٣) التَّبَاتُ عَرَقَ^(٤) الْفَلَاحُ الْخُطُوطَ، فَجَعَلَ بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا، وَقَلَعَ الْحَسَائِشَ^(٥) الَّتِي تَضُرُّ بِالْقُطْنِ، وَأَزْوَاهَا^(٦) مِرَارًا، وَلَمْ يَزَلِ الْفَلَاحُ يَخْدُمُ الْحَقْلَ، وَيَتَعَبُ وَلَا يَسْتَرِيحُ شُهُورًا، حَتَّى ظَهَرَ فِيهَا الْقُطْنُ، فَانْبَثَّ الْأَوْلَادُ مِنَ الْبَيْنِينَ وَالْبَنَاتِ فِي الْحَقْلِ، وَجَنَوْا الْقُطْنَ.

وَلَمَّا جُمِعَ الْقُطْنُ أُرْسِلَ إِلَى الْحَلَاج^(٧)، فَحَلَّجَهُ^(٨)، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى بَعْضِ الْمَصَانِعِ فَغُزِلَ، ثُمَّ أَخَذَهُ الْحَائِلُ، وَمَدَهُ خُيُوطًا

(١) عناء: تعباً.

(٢) بَذَرَ يَبْذُرُ بَذْرًا: الحب: ألقاه في الأرض متفرقًا للزراعة.

(٣) نَجَمَ يَنْجُمُ نَجْمًا وَنُجُومًا: طلع وظهر.

(٤) عَرَقَ: شق.

(٥) حَشِيشَ جمع حَشَائِشَ واحدته حَشِيشَة: العشب الذي يكسو الحدائق ونحوها.

(٦) أَزْوَى يُرْزُو يَأْرُوا: سقى.

(٧) الْحَلَاجُ: الَّذِي يَخْلُصُ الْقُطْنَ مِنْ بَذْرِهِ.

(٨) حَلَجَ يَحْلُجُ حَلْجًا وَحِلَاجَةً: الْقُطْنُ: خَلَصَهُ مِنْ بَذْرِهِ.

تَقَارِبَةً ، وَلَمْ يَرُلْ يَشْتَغِلُ وَيَتَعْبُ أَيَّامًا ، حَتَّى نَسَجَهُ ثُوبًا نَاعِمًا
تَتِينَا ، وَاشْتَرَى تَاجِرٌ ذُلِكَ التَّوْبَ وَوَضَعَهُ فِي دُكَانِهِ ، فَذَهَبَ
لِيَهُ أَبُوكَ بِمَا لِهِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ بِعَرَقِ الْجَبَيْنِ^(۱) وَتَعَبَ فِيهِ أَيَّامًا ،
أَنْتَ مُسْتَرِيحٌ فِي الْبَيْتِ تَأْكُلُ وَتَنَامُ ، وَذَهَبَ ذُلِكَ التَّوْبُ إِلَى
حَيَّاطِ فَفَصَّلَ مِنْهُ لَكَ قَمِيصًا ، ثُمَّ خَاطَهُ لَيْلَةَ الْعِيدِ وَهُوَ سَاهِرٌ ،
أَنْتَ فِي فِرَاشِكَ نَائِمٌ .

وَجَاءَ إِلَيْكَ الْقَمِيصُ مِنْ غَيْرِ تَعْبٍ مِنْكَ وَشُغْلٍ ، أَفَلَا يَجِبُ
عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ إِذَا لَبِسْتَهُ :

«اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِيْهِ ، وَأَلْبَسْتَنِيْهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّيْ
لَا قُوَّةَ ، أَسَأْلُكَ خَيْرَهُ ، وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ» .

* * *

(۱) بِعَرَقِ الْجَبَيْنِ : أي بالجهد والكد.

(٤٧)

الأسدُ

الأسدُ مَلِكُ الْغَابَةِ ، وَسَيِّدُ السَّبَاعِ ، وَهَيْئَتُهُ تَدْلُّ عَلَى
ذَلِكَ ، فَلَهُ مَنْظَرٌ مَهِيبٌ^(١) ، وَزَئِيرٌ^(٢) تَدْوِيْ^(٣) لَهُ الْغَابَاتُ ،
وَيَطِيرُ لَهُ قَلْبُ الشُّجَاعِ؛ قَوِيُّ الْبَأْسِ ، كَبِيرُ الْجَسْمِ ، يُحِيطُ
بِرَأْسِهِ شَعْرٌ كَبِيرٌ يَكَادُ يَحْجُبُ رُكْبَيْهِ^(٤) ، إِذَا غَضِبَ تَجَعَّدَتْ^(٥)
جَبَهَتُهُ وَخَدَاهُ ، وَكَسَرَ^(٦) عَنْ أَنْيَابِهِ وَأَبْرَقَتْ عَيْنَاهُ ، وَاخْتَلَجَ^(٧)

(١) مَهِيبٌ: مَنْ يَخَافُهُ النَّاسُ.

(٢) زَئِيرٌ: صَوْتُ الأَسْدِ.

(٣) دَوَى يَدْوَى دَوَى: المَكَانُ: ضَجَّ بِهُتَافَاتِ.

(٤) رُكْبَة جمع رُكَب: مَوْصِلُ أَسْفَلِ الْفَخْذِ بِأَعْلَى السَّاقِ.

(٥) تَجَعَّدَ يَتَجَعَّدُ تَجَعَّدًا: الْجَبَهَةُ أَوِ الشَّعْرُ ، أَوِ الْوِجْهُ ، أَوِ الْخَدُّ:
اجْتَمَعَ وَتَقَبَّضَ وَالتَّوِي.

(٦) كَسَرَ يُكَسِّرَ تَكْشِيرًا: السَّبَعُ: هَرَّ عَنْ الْوِثْوَبِ.

(٧) اخْتَلَجَ يَخْتَلِجُ: تَحْرَكَ وَاضْطَرَبَ.

حَاجِبَاهُ ، وَوَقَفَ شَعْرُ بَدَنِهِ ، وَضَرَبَ بَذَنِهِ جَنْبِيهِ ، وَأَطْبَقَ^(١)
عَيْنِيهِ ، وَمَالَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَوَثَبَ^(٢) عَلَى فَرِسْتِهِ كَالصَّاعِقَةِ ،
حَتَّى إِذَا ظَفَرَ بِهَا أَخَذَ فِي مُلَاقَتِهَا ، ثُمَّ مَرَّقَهَا بِأَنْيَابِهِ تَمْزِيقًا.

وَإِذَا كَانَ الْأَسَدُ مُقَيَّدًا دَلَّتْ هَيَّتُهُ عَلَى الْهُدُوءِ ، فَإِذَا أَفْلَتَ
وَهُبِيجَ اندَفعَ مِنْ عَرِينِهِ^(٣) ، وَهُوَ أَكْثُرُ شَجَاعَةً فِي اللَّيْلِ مِنْهُ فِي
النَّهَارِ ، وَيَمْرُّ بِالْإِنْسَانِ ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ ضَارِيًّا أَوْ
هاجِهُ إِنْسَانٌ .

وَيَهُجُومُ عَلَى الْحَيْوَانَاتِ كَالْخَيْلِ وَالْجَمَالِ وَالْبَقَرِ وَغَيْرِهَا ،
وَيَصِيدُ الظَّبَّى وَيَأْكُلُهُ بِرَغْبَةٍ ، وَتَدْفَعُهُ الْجَرَاءَةُ إِلَى اخْتِطَافِ^(٤)
الْإِنْسَانِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ .

وَأَنْشَى الْأَسَدُ تُعْرَفُ بِاللَّبْوَةِ^(٥) ، وَهِيَ أَصْغَرُ جُثَّةٍ ، وَأَخْفَثُ
حَرَكَةً ، وَأَشَدُّ غَضَبًا مِنْهُ ، وَجَرَؤُهَا يُعْرَفُ بِالشِّبْلِ^(٦) ، وَيَبْدُأُ فِي
الْإِفْرَاسِ ، وَيَهْتَمُ بِقُوَّتِهِ إِذَا بَلَغَ الثَّانِيَةَ مِنْ عُمُرِهِ .

(١) أَطْبَقَ يُطْبِقُ: عَيْنِيهِ أو شَفَتِيهِ: أَغْلَقَهُما.

(٢) وَثَبَ يَثْبُ وَثْبًا وَوُثُوبًا: قَفَزَ.

(٣) عَرِين جمع عُرُون: مأوى الأسد.

(٤) اخْتِطَاف الشيء: أي انتزاعه بسرعة.

(٥) الْلَّبْوَةَ جمع لُبُوءَ وَلَبَؤَاتَ: أنثى الأسد.

(٦) الشِّبْلُ جمع الأشبال: ولدُ الأسد.

وَمُعَدَّلُ طُولِ الأَسَدِ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ ، وَعُلُوُّهُ ذِرَاعٌ وَرُبْعٌ ،
وَمُعَدَّلُ مَا يَعِيشُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَقَدْ يَنْلُغُ فِي قَصْصِهِ مِئَةً
سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ .



(٤٨)

عُرُورُ الدُّنْيَا

إِلَّا الْقَنْوَعُ الرَّاهِيدُ
وَمَا أَذَلَّ مَنْ طَمِعَ
بِحُسْنِهَا وَالطَّيِّبَةَ
خَدَّاعَةً غَرَّارَةً^(٣)
زَوَالُهَا قَرِيبٌ
لَيْسَ لَهَا أَمَانَةٌ
تُشَتَّتُ الْأَتْرَابَا
تَمَلُّ^(٥) مَنْ لَازَمَهَا

تَقُولُ لَيْسَ الْمَاجِدُ^(١)
فَمَا أَعَزَّ مَنْ قَنِعَ
دُنْيَاءُكُمْ حَبِيبَةَ
لِكِنَّهَا غَدَارَةً^(٢)
لَيْسَ لَهَا حَبِيبٌ
مَلْوَلَةٌ خَوَانَةٌ
تُفَرِّقُ الْأَحْبَابَا
حَرْبٌ لِمَنْ سَالَمَهَا^(٤)

(١) مَاجِد جمع أَمَاجِد: شريف خَيْر.

(٢) غَدَارَة: خائنة.

(٣) غَرَّارَة: خَدَاعَة.

(٤) سَالَمَ يُسَالِمُ مُسَالَمَةً: صالح.

(٥) مَلَّ يَمَلُّ مَلَلًا وَمَلَلَةً وَمَلَلَةً: سَيِّئَ وَضَجَّرَ.

كَثِيرٌ رُهْهَا قَلِيلٌ
صُدُودُهَا بَلَاءٌ
وَيَنْعَمُ الْأَنْذَالُ^(١)
وَيَتَعَبُ الْأَدِيبُ
(أبو العتاهية)

عَزِيزُهَا ذَلِيلٌ
وَصَالُهَا عَنَاءٌ
يَحْظَى بِهَا الْجُهَالُ
يَشْقَى بِهَا الْلَّيْبُ^(٢)



-
- (١) نَذْل جمع أَنْذَال: خَسِيس ساقط في دين أو حَسَب.
(٢) الْلَّيْبُ جمع الْأَلْيَاءُ: العاقل الذكي.

(٤٩)

رِسَالَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

إِذَا جَاءَكَ قَرِيبٌ أَوْ صَدِيقٌ ، وَقَالَ : إِنِّي مُسَافِرٌ إِلَى الْوَطَنِ ، وَسَأَقَابِلُ أَبَاكَ ، فَهَلْ تُؤْصِي بَشِيءٍ ؟ وَهَلْ لَكَ رِسَالَةٌ إِلَيْهِ أَحْمِلُهَا مِنْكَ ، وَأَبْلُغُهَا إِلَيْهِ ؟ فَلَا تَشْكُ أَنَّهُ سَيَجْتَمِعُ بِأَيْنِكَ ، وَرَبَّمَا يَسْأَلُ أَبُوكَ عَنْكَ خَبَرًا سَارًا ، وَبُشِّرَى صِحَّتِكَ . فَتَقُولُ : تَقْرَأُ عَلَى وَالِدِيِّ مِنِّي السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ ابْنَكَ بِخَيْرٍ ، وَكَمَا تُحِبُّ مِنْ صِحَّةٍ وَسُرُورٍ .

كَذِلِكَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمَوْتَ جَسْرٌ^(١) إِلَى الْآخِرَةِ ، وَكُلُّ مَنْ عَبَرَ^(٢) هَذَا الْجِسْرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَ إِلَى

(١) جَسْر جمع جُسُور: القنطرة ونحوها مما يعبر عليه ، وما يربط بين طرفين ، وسيلة اتصال وتفاهم .

(٢) عَبَر يَعْبُرُ عُبُورًا وَعَبْرًا . النَّهَرُ والطَّرِيقُ أو الْجِسْرُ: قَطْعَهُ مِنْ جَانِبِ إِلَى جَانِبِ .

الآخرة ، واجتمع هنالك برسول الله ﷺ ، وشرف بزيارته ،
ولا بد أن رسول الله ﷺ سائل عن أمته .

ويمكن ألا يصل قريبك أو صديقك إلى الوطن لمانع أو
حادثة ، أو يصل إلى الوطن ، ولا يجتمع بائك ، ولكن
المسلمين ما كانوا يشكون في وصول الميت إلى عالم الآخرة ،
واجتماع الشهيد برسول الله ﷺ .

زحف^(١) المسلمين إلى الشام ، وكان النبي ﷺ أخبرهم :
«لتُفتحن كنوز كسرى^(٢) وقيصر^(٣)» وقد وعدهما الله
بالنصر ، وقال : « وإن جندنا لهم المنصورون ، وإن جندنا
لهم الغاليون » وكانت واثقين بالنصر والفتح ، وكذا
كان ، فقد فتحوا مدينة بعد مدينة ، وهزموا جندا بعد
جندا .

وجاء رجل يوم اليموك^(٤) إلى أبي عبيدة - رضي الله عنه - ،

(١) زحف يزحف زحفاً : تقدم في ثقل .

(٢) كسرى : لقب ملوك الفرس .

(٣) قيصر : لقب ملوك الروم .

(٤) اليموك : من روافد الأردن ، ينبع في هضبة حوران ويجري في
حدود سورية ، ويصب في الأردن ، عنده انتصر سيدنا خالد بن
الوليد رضي الله عنه على البيزنطيين سنة ١٥ هـ .

قَائِدُ الْمُسْلِمِينَ - فَقَالَ: إِنِّي قَدْ تَهْيَأْتُ لِأَمْرِي أَيْ لِلشَّهَادَةِ ،
فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ أَبُو عَبْيَدَةَ: نَعَمْ ! تُقْرِئُهُ عَنِّي السَّلَامَ ، وَتَقُولُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ! إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبُّنَا حَقًّا^(۱) .

* * *

(۱) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير ، ج ۷ ، ص ۱۲ .

(٥٠)

حَادِثَةٌ

زَارَنَا مَرَّةً ضَيْفُ كَرِيمٌ ، وَبَاتَ عِنْدَنَا لَيْلَةً ، وَفِي الصَّبَاحِ
قُلْتُ لَهُ: أَتَسْتَحِمُ^(١) يَا سَيِّدِي؟

وَكَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ ، قَالَ: نَعَمْ! قُلْتُ: هَذَا مُغْتَسَلٌ^(٢) ، قَالَ:
بَلْ أَسْتَحِمُ فِي النَّهَرِ.

وَكَانَ الشَّيْخُ يَعْرِفُ السَّبَاحَةَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَفَقَّ لَهُ أَنْ يَسْبَحَ مِنْ
مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ ، وَسَمِعْتُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْسَى السَّبَاحَةَ إِذَا
تَعَلَّمَهَا ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَعَبُ سَرِيعًا.

وَكَانَ النَّهَرُ فَائِضًا^(٣) وَكَانَ يَجْرِي بِقُوَّةٍ ، فَخَاضَ^(٤) الشَّيْخُ

(١) اسْتَحِمَ يَسْتَحِمُ: اغْتَسَلَ.

(٢) مُغْتَسَلٌ: مَكَانُ الغَسْلِ.

(٣) فَائِضًا: سَائِلًا.

(٤) خَاضَ يَخُوضُ خَوْضًا: الْمَاءُ دَخَلَهُ وَمَشَى فِيهِ.

النَّهَرَ ، وَبَدَا يَسْبِحُ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ كَلَّتْ^(١) عَضْدُهُ ، وَخَارَتْ^(٢)
قُوَّاهُ وَأَغْيَا ، وَدَفَعَهُ الْمَاءُ بِقُوَّةٍ ، فَجَعَلَ يَجْرِي فِي تِيَارِهِ لَا يَمْلِكُ
مِنْ أَمْرِهِ شَيْئاً ، وَأَيْقَنَ بِالسَّرِّ .

فَجَعَلَ يَصْرُخُ وَيَسْتَغْيِثُ ، وَيَقُولُ: يَا رَجُلًا! خُذْ بِيَدِيْ ،
وَجَعَلَ يَذْكُرُ ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ! كَانَهُ فِي آخِرِ عَهْدِهِ بِالدُّنْيَا ،
وَجَعَلَ يَغْطِسُ وَيَطْفُو .

فَسُقِطَ فِي أَيْدِيْنَا ، وَخِفْنَا عَلَيْهِ الْغَرَقَ ، وَكَانَ أَحَدُ أَقَارِبَنَا
مِمَّنْ يُحْسِنُونَ السَّبَاحَةَ يَغْتَسِلُ فِي النَّهَرِ فَقُلْنَا: دُونَكَ الْأُسْتَادُ ،
فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِسُرْعَةٍ ، وَلَمَّا رَأَى الشَّيْخَ مُنْجِداً تَشَجَّعَ قَلْيَلًا ،
وَأَرَادَ أَنْ يُمْسِكَهُ .

وَلِكِنْ كَانَ الرَّجُلُ عَاقِلًا مُجَرِّبًا ، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْغَرِيقَ
يَرْكَبُ مَنْ يُنْجِدُ وَيَأْخُذُ بِتَلَائِينِهِ^(٣) ، وَيَغْرَقَانِ جَمِيعاً ، فَلَمْ
يُمْكِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ ، بَلْ غَطَسَ^(٤) وَدَفَعَهُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى

(١) كَلَّ يَكْلُ كُلُّنَا وَكَلَّة: العَضْدُ: ضَعْفَتْ .

(٢) خَارَ يَخُورُ خُورَا: الْقُوَّةُ وَنحوها: انْكَسَرَتْ وَضَعَفَتْ . يُقال
خَارَتْ قواه: أي مَرْضٌ أو ضَعْفٌ جَسْمَانِيَّاً .

(٣) تَلَائِيب: طَوْقُ التَّوْبَ «أَخَذَ بِتَلَائِينِهِ» أي: أَمْسَكَهُ مِنْ أَغْلَى
ثَوْبِهِ .

(٤) غَطَسَ يَغْطِسُ غَطْسًا في الماء وَنحوه: أي انْغَمَسَ فيهِ .

الشَّاطِئِ ، وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ يَجْتَهِدُ أَنْ يُمْسِكَهُ ، وَالرَّجُلُ يَذْفَعُهُ إِلَى الْأَمَامِ حَتَّى أَوْصَلَهُ إِلَى الشَّاطِئِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ كَالْمُغْمَى عَلَيْهِ لَا يَعْقِلُ^(١) شَيْئاً ، وَكَانَ عَلَى الشَّاطِئِ رَجُلٌ يَصِيدُ السَّمَكَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَقَالَ: مُدَّ عُودَكَ^(٢) لِيُمْسِكَهُ الشَّيْخُ ، فَمَدَ الصَّيَادُ عُودَهُ ، وَجَعَلَ يَضْرُبُ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ وَلَا يُمْسِكُهُ ، وَبَعْدَ حِينٍ أَمْسَكَ بِالْعُودِ ، وَوَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ قَدْ شَرِبَ كَثِيرًا مِنَ الْمَاءِ ، فَنَكَسَوْهُ^(٣) حَتَّى قَاءَ^(٤) وَأَفَاقَ^(٥) ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ الشُّعُورُ وَالْقُوَّةُ .

وَكَانَ عَلَى شَاطِئِ آخَرَ مِنَ النَّهَرِ ، فَصَنَعُوا لَهُ مَرْكَباً مِنَ الْجَرَارِ ، وَرَكِبَهُ الشَّيْخُ ، وَأَمْسَكَ بِالْحَبْلِ ، وَحَوْلَهُ عَدَدٌ مِنْ فُرْسَانِ السَّبَاحَةِ ، وَأَبْطَالِ الْمَاءِ ، وَرَجَعَ فِي الْمَوْكِبِ إِلَى

(١) عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا: أَذْرَكَ ، مَيَّزَ.

(٢) عُود جمع عِينَانِ وَأَغْوَاد: كل خشبة، دقيقة كانت أو غليظة، رطبة كانت أو يابسة.

(٣) نَكَسَ يَنْكُسُ نَكْسًا: الرجل: قلبه وجعل أعلاه أسفله أو مقدمه مؤخره.

(٤) قَاءَ يَقِيءُ قَيَّاءً: أَلْقَى الْقَيَّاءَ مِنْ فِيهِ.

(٥) أَفَاقَ يُفِيقُ إِفَاقَةً: الرجل: عَادَ إِلَى طَبِيعَتِهِ ، اسْتَيقَظَ.

الشَّاطِئِ ، وَقَدْ دُعِرَ^(١) الْأَسْتَاذُ بِهِذِهِ الْحَادِثَةِ ، فَكَانَ يُوصِي كُلَّ
مَنْ يَزُورُ قَرْيَتَنَا أَلَا يَدْخُلَ النَّهَرَ ، وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ
تَتَمَّعَ بِالدُّنْيَا ، فَإِيَّاكَ وَالنَّهَرَ .

وَكَانَ الشَّيْخُ لَا يَزَالُ يَعْتِبُ^(٢) عَلَى الرَّجُلِ أَنَّهُ لَمْ يُنْجِدْهُ ،
وَلَمْ يَمْدَدِ إِلَيْهِ يَدَهُ ، وَلَا يَرَاهُ مَعْذُورًا فِي هَذَا الْأَمْرِ .

* * *

(١) دُعِرَ يَدْعَرُ مَذْعُورٌ: فَزَعَ.

(٢) عَتَبَ يَعْتِبُ عَتَبًا عِتَابًا: الرَّجُلُ عَلَى فَلَانٍ: لَأَمَهُ بِرْفَقٍ عَلَى قِيامِهِ
بِعَمَلِ مَا ، أَوْ عَدَمِ قِيامِهِ بِهِ .

(٥١)

فتى^(١) الإسلام

هل تعرف فتياناً هم في السابعة عشرة ، أو الثامنة عشرة من عمرهم؟ بلغك الله فوق هذه السن وعمرك طويلاً.

إنك لتعرف منهم كثيراً! فهل تعرف عنهم غير أنهم يأكلون ويشربون ، ويترعون^(٢) ويلعبون ويتجملون^(٣) في الملابس ، ويتألقون^(٤) في الهندام^(٥) والزينة .

وإذا امتاز فيهم فتى ، وعلت همته ، عكف^(٦) على دراسته

(١) فتى جمع فتيان وفتية: شاب بين المراهقة والرجولة.

(٢) يترعون (من رتع يرتع رثعا) في المكان: أي يقيمون ويتنعمون وأكلون فيه ويسربون ما يشاؤون في خصب وسعة.

(٣) تحمل يتحمل تحملأ: ظهر بما يحمل .

(٤) تائق يتائق تائقاً: اعتنى بمظاهره وبادا أنيقاً .

(٥) الهندام: حسن القد وتنظيم الملابس .

(٦) عكف يعكف عكوفاً: الرجل على الشيء أو الأمر: أقبل عليه ولزمه .

وَمُطَالَعَتِهِ ، وَجَدَ فِيهَا وَاجْتَهَدَ ، حَتَّى بَرَزَ^(١) فِي الْإِخْتِبَارَاتِ ، وَأَحْرَزَ^(٢) الْجَوَائِزَ وَالْوِسَامَاتِ^(٣) .

وَإِذَا طَمَحَ^(٤) فِيهِمْ شَابٌ اجْتَهَدَ لِوَظِيفَةٍ فِي مَصْلَحَةٍ مِنْ مَصَالِحِ الْحُكُومَةِ فَصَارَ يَتَقَاضَى رَاتِبًا شَهْرِيًّا .

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، وَتِلْكَ أَقْصَى أَمَانِيِّهِمْ فِي الْحَيَاةِ .

وَلِكِنْ لَمَّا كَانَتْ دَوْلَةُ الإِسْلَامُ ، وَكَانَتِ الْهَمَمُ عَالِيَّةً ، كَانَ الشَّابُ الْمُسْلِمُ يَطْمَحُ إِلَى إِقَامَةِ الْجَهَادِ ، وَفَتْحِ الْبِلَادِ ، فَيَفْتَحُ قُطْرًا أَوْ يُؤَسِّسُ دَوْلَةً أَوْ يَمُوتُ شَهِيدًا .

هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمِ الثَّقَفِيُّ قَدْ غَرَّا^(٥) الْهَنْدَ - وَهِيَ بِلَادٌ بَعِيْدَةٌ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ وَرَاءِ الْبَحَارِ - فَهَزَمَ الْجُنُودَ ، وَقَتَلَ الْمُلُوكَ ، وَوَظَفَ^(٦) الْخِرَاجَ ، وَسَبَّى^(٧) الدُّرَرَيَّةَ ، وَفَتَحَ مُحَمَّدُ

(١) بَرَزَ يُبَرِّزُ تَبْرِيزًا: فَاقَ أَقْرَانَهُ .

(٢) أَحْرَزَ يُحْرِزُ إِحْرَازًا: الجائزه وما نحوها: حَصَلَ عليها .

(٣) وِسَامَهُ جَمْعُ وِسَامَاتٍ: مَا يُعَلَّقُ عَلَى صِدْرٍ مِنْ أَحْسَنِ عَمَلٍ مَكَافَأَهُ لَهُ عَلَيْهِ .

(٤) طَمَحَ يَطْمَحُ طُمُوحًا: تَطَلَّعَ إِلَى تَحْقِيقِ هَدْفٍ بَعِيدٍ .

(٥) غَرَّا يَغْرُرُ غَرْزاً: سَارَ إِلَى قَتْلِ الْعَدُوِّ فِي أَرْضِهِ .

(٦) وَظَفَ يُوَظِّفُ تَوْظِيْفًا: الرَّحْلُ فَلَانًا: أَسْنَدَ إِلَيْهِ وَظِيفَةً .

(٧) سَبَّى يَسْبِي سَبِيًّا: عَدُوَّهُ: أَسْرَهُ .

السِّند^(١) ، وَتَوَغَّلَ فِي الْهِنْدِ ، حَتَّى قَطَعَ نَهْرَ بَيَاسَ^(٢) إِلَى
الْمُلْتَانِ ، وَفَتَحَهَا ، وَخَضَعَ أَهْلُ الْهِنْدِ لِمُحَمَّدٍ ، وَأَحَبُّوهُ لِدِينِهِ
وَكَرَمِهِ وَعَدْلِهِ ، مَعَ أَنَّ الْعَدُوَّ الْقَاهِرَ لَا يُحَبُّ ، وَصَنَعُوا لَهُ تِمْثَالًا
عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْهِنْدِ .

وَتِلْكَ الْفُتوْحُ الْعَظِيمَةُ كُلُّهَا كَانَتْ فِي مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ جِدًّا .

هَذَا ، وَفَاتَحُ السِّندِ لَمْ يَتَجَاوِزِ السَّابِعَةَ عَشَرَةَ مِنْ عُمُرِهِ ،
وَفِي ذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :
سَاسَ الرِّجَالَ لِسَبْعَ عَشَرَةَ حِجَّةً^(٣)
وَلِدَائِهِ عَنْ ذَاكَ فِي أَشْغَالٍ

* * *

(١) السِّندُ: اسم مكان يطلق على الجزء الشمالي الغربي من الهند، يتوسطه حوض نهر السند، وأكثره الآن يقع في باكستان الغربية.

(٢) نَهْرٌ بَيَاسٌ: يُعدُّ من أكبر وأهم الأنهر التي تجري في الهند.

(٣) حِجَّةٌ جمع حِجَاج: السنة.

(٥٢)

الرِّمَائِةُ

سَأَلْتُ أَبِي أَنْ يَشْتَرِي لِي بُنْدُقِيَّةً صَغِيرَةً ، لِأَصِيدَ الطُّيُورَ :
كَالْيَمَامِ وَالْحَمَامِ وَالْغَرَابِ الَّذِي يُؤْذِي كَثِيرًا وَيَلْعُغُ^(١) فِي
الْمَاءِ ، وَاتَّمَرَنَ عَلَى الرَّمَيِّ ، فَاشْتَرَى لِي بُنْدُقِيَّةً وَحُقَّةً^(٢) مِنَ
الرَّشَاشِ .

وَكُنْتُ إِذَا رَجَعْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ ، أَوْ كَانَ يَوْمٌ عُطْلَةٌ أَخَذْتُ
الْبُنْدُقِيَّةَ ، وَعَدَدًا مِنَ الرَّشَاشِ ، وَذَهَبْتُ إِلَى الْبُسْتَانِ أَزْمِي
الطُّيُورَ .

وَفِي الْأَوَّلِ لَا أُصِيبُ طَائِرًا ، وَأُخْطِيءُ كُلَّ مَرَّةٍ ، ثُمَّ صِرْتُ

(١) وَلَغَ يَلْغُ وُلُوغًا: الحيوانُ الإناءُ وفيه: شرب ما فيه بطرف لسانه.
والطيورُ: شربت ما فيه من منقارها.

(٢) حُقَّة جمع حُقَّق وَحِقَاق: وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما.

أُصِيبَ مَرَّةً فِي ثَلَاثٍ طَلَقَاتٍ ، وَأَصِيدُ بَعْضَ الطُّيُورِ ، حَتَّى
تَمَرَّنْتُ فِي شَهْرَيْنِ ، وَاشْتَدَ سَاعِدِيٌّ^(١) .

وَرَأَيْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ شَيْئاً غَرِيباً ، كَانَتْ عِنْدَهُ
صَفِيفَةٌ ، وَكَانَ عَلَى وَجْهِ الصَّفِيفَةِ مِثْلُ فَلْسٍ ، لَهُ لَوْنٌ يَلْمَعُ ،
وَيَظْهَرُ مِنْ بَعِيدٍ .

وَكَانَ بِجَانِبِ هَذَا الْفَلْسِ مِثْلُ جَرَابٍ ، كَانَ يَشْحُنُهُ
بِالْبَارُودِ ، وَيَسُدُّهُ بِالْقِرْطَاسِ ، وَكَانَ فِي هَذِهِ الصَّفِيفَةِ رَسْمٌ مِنْ
حَدِيدٍ: جُنْدِيٌّ فِي لِبَاسِ جُنْدِيٍّ ، فِي يَدِهِ قُبَّةٌ .

وَكُنَّا نُبَارِي^(٢) فِي الرَّمْيِ ، وَنَرْمِي هَذَا الْفَلْسِ بِالرَّشَاشِ ،
فَإِذَا أَصَابَ إِنْسَانٌ الْفَلْسَ انْطَلَقَ الْمِدْفَعُ ، وَسَمِعَ النَّاسُ صَوْتَهُ مِنْ
بَعِيدٍ ، وَأَنْفَتَحَ الْبَابُ ، وَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فِي يَدِهِ عَلَامَةٌ
يُشِيرُ بِهَا إِلَى الْهَدَفِ وَيُخْبِرُ بِالإصَابَةِ .

وَظَاهَرَ الْجُنْدِيُّ رَافِعاً قُبَّعَتَهُ يُسَلِّمُ عَلَى الْمُصِيبِ ، وَكَانَهُ يُهَنِّئُ
بِنَجَاحِهِ .

وَإِذَا أَخْطَأَ النَّاسُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ: لَمْ يَنْطَلِقِ الْمِدْفَعُ ، وَلَمْ
يَتَحرَّكِ الْجُنْدِيُّ مِنْ مَكَانِهِ ، وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنِّي كُنْتُ أُصِيبُ الْفَلْسَ

(١) اشتَدَ سَاعِدِي: قَوِيَ.

(٢) بَارِيُّ بَارِيٌّ مُبَارَاة: فلانٌ في الأمر: عَارَضَهُ فيه أو فعل مثل فعله.

فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ دَائِمًا ، وَإِذَا انطَلَقَ الْمِدْفُعُ سُرِّزْتُ سُرُورًا عَظِيمًا .

وَبَعْدَ أَشْهُرٍ قَدَرْتُ أَنْ أَسْتَعْمِلَ الْبُنْدُقِيَّةَ الْكَبِيرَةَ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فِي الصَّيْدِ ، وَأَصِيدُ الْحَمَامَ الْأَخْضَرَ وَالْبَطَّ وَأَنْواعًا مِنَ الطُّيُورِ .

وَسَمِعْتُ الْمُعَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى عَلَى الرَّمْمِيِّ كَثِيرًا ، وَشَارَكَ فِي الْمُنَاضِلَةِ^(۱) ، وَقَالَ : « ارْمُوا يَا يَنِي إِسْمَاعِيلَ ! فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَاجِيًّا » وَقَالَ : « أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْمِيُّ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْمِيُّ ». .

فَسُرِّزْتُ كَثِيرًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَمْ يَكُنْ عَبْثًا ، وَأَنِّي لَمْ أُضِيعْ وَقْتِي .

* * *

(۱) المُنَاضِلَةُ : المقاومة والمنافسة .

(٥٣)

الْجَمَلُ

(١)

انظروا إلى الإبل: كيف خلقت، تروها لا مثيل لها^(١) في الخلقة، فإن الجمل أكبر الحيوان الداجن^(٢) جسماً وأطوله ساقاً، ولذلك كانت رقبته طويلة، حتى يمكنه أن يرعى الكلأ من الأرض بدون أن يبرأ، ورأسه صغير ليكون خفيف الحمل على رقبته، وأرجله فيها أخفاف^(٣) تمنع سوخها^(٤) في رمال

(١) لا مثيل لها: لا نظير لها.

(٢) الداجن جمع الدواجن: كل ما ألف البيوت وأقام بها من حيوان وطير.

(٣) خف جمع أخفاف: حافر.

(٤) سوخها: غوصها.

الصَّحْرَاءِ الَّتِي كَثِيرًا مَا يَسِيرُ فِيهَا ، وَعَلَى ظَهْرِهِ سَنَامٌ^(١) كُلُّهُ شَحْمٌ ، يُرَكِّبُ عَلَيْهِ الْقَتْبُ^(٢) ، وَعِينَاهُ سَوْدَاوَانٍ وَاسْعَتَانٍ ، تَشْفَانٍ^(٣) عَنْ حِلْمٍ وَدَعَةٍ ، وَلَهُ فِي وَسْطِ بَطْنِهِ قُرْصٌ غَلِيلٌ يُسَمَّى الْكَلْكَلُ ، يَسْتَنِدُ عَلَيْهِ مَتَى بَرَكَ ، وَلَهُ فِي أَرْجُلِهِ قِطْعٌ عَدِيمَةُ الْحِسْنَ فِي مَوَاقِعِهَا عَلَى الْأَرْضِ .

وَجَوْفُ الْجَمَلِ عَجِيبٌ فِي تَرْكِيَّبِهِ ، لَأَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى جُمْلَةٍ كُرُؤْشٍ^(٤) ، يَخْزُنُ فِيهَا مَقْدَارًا عَظِيمًا مِنَ الْغِذَاءِ ، حَتَّى إِذَا جَاعَ ، وَلَمْ يَجِدْ أَكْلًا ، أَخْرَجَ مِنْ كِرْشِهِ جَرَّةً ، وَاجْتَرَّهَا ، وَلَذِلِكَ يُسَمَّى حَيَوانًا مُجْتَرًا ، وَإِذَا فَرَغَ مَا خَزَنَهُ فِي جَوْفِهِ ، فَإِنَّ شَحْمَ سَنَامِهِ يَتَحَلَّلُ شَيْئًا لِيَغْذُوهُ وَيَكْفِيهِ مُدَّةً طَوِيلَةً .

وَلِلْجَمَلِ فِي جَوْفِهِ جُمْلَةُ أَرْقَاقٍ^(٥) تَمْتَلِيءُ بِالْمَاءِ عِنْدَمَا يَشْرَبُ ، حَتَّى إِذَا عَطِشَ فِي مَكَانٍ قَفْرٍ لَا مَاءَ فِيهِ ، أَغْنَاهُ مَا خَزَنَهُ عَنِ السُّرْبِ زَمَنًا طَوِيلًا .

(١) سَنَامٌ جمع أَسْنَمَة: كتلة كبيرة من الشَّحْم تكون محدبة على ظهر الجمل.

(٢) الْقَتْب جمع الأَقْتَاب: الرَّحْلُ الصَّغِير يوضع على قدر سَنَام البَعِير.

(٣) تَشْفَان أي: تَرْقَان حتى يُرى ما خلف عينيه من حلم ودعة.

(٤) كِرْشٌ جمع كُرُؤْش: مِعْدَة.

(٥) رَقٌّ جمع أَرْقَاق: وعاء من جلد.

(٥٤)

الْجَمَلُ

(٢)

فِي عِدَّةِ جَهَاتٍ مِنَ الدُّنْيَا صَحَارَىٰ قَاحِلَةٌ لَا حَيَوانَ فِيهَا ،
وَلَا نَبَاتَ ، أَرْضُهَا رِمَالٌ جَافَّةٌ .

لَا تَرَى فِيهَا قَطْرَةً مَاءً ، يَسْلُكُهَا النَّاسُ اضْطِرَارًا ، فَيَحْمِلُونَ
زَادَهُمْ : مِنْ مَاءٍ وَطَعَامٍ ، عَلَى ظُهُورِ الْجَمَالِ ، وَيَسِيرُونَ فِي
تِلْكَ الْقِفَارِ^(١) مُجْتَمِعِينَ ، وَإِبْلُهُمْ مُتَابِعَةٌ كَالْقَطَارِ ، وَهِيَ تَسِيرُ
بِهِمْ هَادِئَةً سَاكِنَةً ، تَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطْشِ مُعَظَّمَ الْطَّرِيقِ ،
لَا نَهَا قَدْ خَرَنْتُ مُؤْنَتَهَا فِي جَوْفِهَا قَبْلَ الرَّاحِيلِ ، وَتَحْمِلُ فَوْقَ
ذَلِكَ مِنَ الْمَتَاجِرِ أَحْمَالًا ثِقَالًا ، لَا تَئِنُ^(٢) مِنْهَا وَلَا تَكِلُ^(٣) ،

(١) قَفْر جمع قِفَار: أرض خالية من الماء والعشب والناس.

(٢) يَئِنُّ أَنِينًا: تأوه الماء.

(٣) كَلَّ يَكِلُّ كَلَّا: تَعَبَ.

فَتَرَى الْجَمَلَ كَانَهُ مَرْكَبٌ يَشْقُّ تِلْكَ الرِّمَالَ الْوَاسِعَةَ ، وَلِذَا سُمِّيَ «سَفِينَةُ الصَّحْرَاءِ». وَإِنَّ ضَلَّ الْمُسَافِرُونَ الطَّرِيقَ فِي الصَّحْرَاءِ يَأْخُذُهُمُ الْقَلْقُ عَلَى حَيَاتِهِمْ ، مَخَافَةً أَنْ يَنْفَدَ زَادُهُمْ فَيَمُوتُونَ جُوعًا وَعَطْشاً ، وَلِكِنَّ الْجَمَلَ يُنْقِذُهُمْ أَحْيَانًا مِنْ تِلْكَ الْأَخْطَارِ ، لَا نَهُ يَشْمُّ الْمَاءَ مِنْ بُعْدِ ، فَيَسِيرُ نَحْوَهُ بِسُرْعَةٍ غَرِيبَةٍ ، لِيَسْتَقِي صَاحِبُهُ.

وَالْجَمَلُ سَهْلُ الْقِيَادِ ، لَيْئُ الطَّبَاعِ ، يَتَحَمَّلُ كَثِيرًا مِنَ الْأَذَى بِالصَّبَرِ ، وَلِكِنَّهُ يَثُورُ مَتَى بَلَغَ الْأَذَى شَدَّةً عَظِيمَةً ، فَيَنْتَقِمُ مِمَّنْ أَذَاهُ ، وَلَا يَتَرُكُهُ إِلَّا إِذَا ثَارَ لِنَفْسِهِ وَفَتَكَ^(۱) بِهِ.

وَإِذَا قَوِيَ الْجَمَلُ اشْتَدَّ بَأْسُهُ^(۲) وَعَافَ^(۳) الْأَكْلَ مَا لَمْ يُؤْضَعُ فِي فِيهِ ، وَيَقُولُ النَّاسُ عَنْهُ: إِنَّهُ صَائِمٌ ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ يُخْرِجُ شِقْشِيقَتَهُ^(۴) مِنْ حَلْقِهِ وَيُشَقِّشُ^(۵) مِنَ الغَضَبِ .

* * *

(۱) فَتَكَ يَفْتِكُ فَتَكًا: بِهِ ، قَتَلَهُ.

(۲) اشْتَدَّ بَأْسُهُ: كَثُرَتْ شَدَّتُهُ وَقُوَّتُهُ.

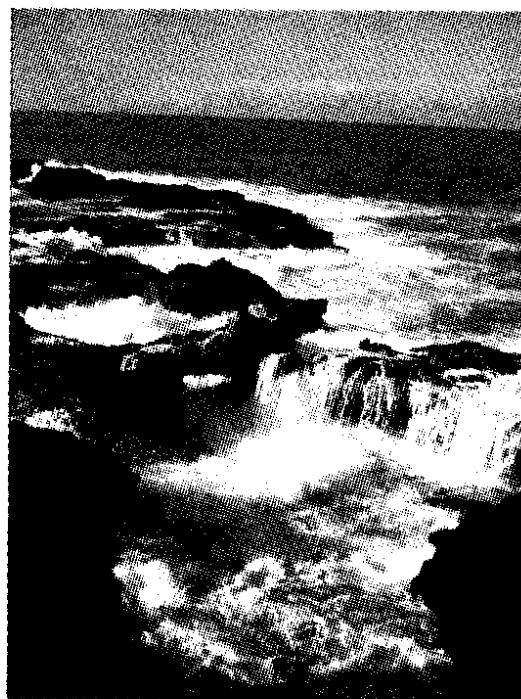
(۳) عَافَ يَعَافُ عَيْفًا: الْجَمَلُ الْأَكْلُ: كَرِهَهُ فَتَرَكَهُ.

(۴) شِقْشِيقَة جمع شَقَاقِيق: شيء كالرئة يُخرجه الجملُ من فيه إذا هاجَ وَهَدَرَ.

(۵) شَقْشَقَ يُشَقْشِقُ: الْجَمَلُ: هَدَرَ.

(٥٥)

أَنَا هُنَا فَأَغْرِفُونِي !



مَوْلِدِيْ وَوَطِنِيْ مَا تُسْمِّونَهُ الْبَحْرُ ! أَنَا ابْنُ أُمَّةٍ عَظِيمَةٍ ، قَدِ امْتَدَّتْ عَلَى مَسَافَةِ آلَافِ مِنَ الْأَمْيَالِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ أُمَّتِيْ أَعَظَمُ مِنْ أُمَّةِ الْبَرِّ ؛ فَقَدْ شَغَلُنَا نَحْنُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْكُرْبَةِ ، وَالْيَابِسُ مِنْهَا نَخُوْرُ بِعْ .

وَقَدْ فَارَقْتُ وَطَنِيْ قَبْلَ شَهْرَيْنِ ، لَمَّا اسْتَدَّ الْحَرُّ فِي هَذَا

الصَّيفِ ، تَكَوَّنَ بُخَارٌ ، وَفَارَقَ الْبَحْرَ ، وَسَارَتْ بِهِ الرِّيَاحُ إِلَى
الْجِبَالِ ، وَهُوَ السَّحَابُ الْمُسَحَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَلَمَّا
جَاءَهُ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ ، تَحَلَّ هَذَا الْبُخَارُ بِالْحَرَارَةِ ، وَنَزَلَ قَطَرَاتٍ
قَطَرَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَ النَّاسُ : الْمَطَرُ ! الْمَطَرُ ! وَأَنَا هُنَا ،
فَاعْرِفُونِي .

لَعَلَّكُمْ رَأَيْتُمْ قَدْرًا^(۱) عَلَى النَّارِ فِيهَا مَاءٌ ، فَإِذَا غَلَّتِ الْقُدْرُ ،
تَصَاعَدَ^(۲) مِنْهَا مِثْلُ دُخَانٍ ، وَهُوَ الْبُخَارُ ، وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُونِي .
وَإِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ ، وَجَمَدَتْ قَطَرَاتِي مِنَ الْبَرْدِ ، وَوَقَعَتْ
عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ الرُّبَّاجِ ، قَالَ النَّاسُ : الْبَرَدُ ! الْبَرَدُ ! وَأَنَا
هُنَا ، فَاعْرِفُونِي .

وَقَدْ أَسْقُطُ فِي الْجِبَالِ مِثْلَ الصُّوفِ^(۳) الْأَبْيَضِ الْلَامِعِ ،
وَالْمَعْ فِي السَّمَاءِ مِثْلَ الْلَّجَنِ ، فَيَكُونُ مَنْظَرًا جَمِيلًا ، وَيَقُولُ
النَّاسُ : الثَّلْجُ ! الثَّلْجُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُونِي .

وَقَدْ يَشْتَدُ الْبَرَدُ فِي الشَّتَاءِ ، فَيَحْمُدُ مَا كَانَ مِنَ الْمَاءِ ،

(۱) قَدْرٌ جمع قُدُورٌ: إناء يُطبخ فيه الطعام.

(۲) تَصَاعَدَ يَتَصَاعَدُ: الشيء: ارتفع.

(۳) صُوف جمع أَصْوَاف: ما يُنبت على جسم الشاة ونحوها مما ليس
وبراً ولا شرعاً.

وَيَقُولُ النَّاسُ : الْجَلِيدُ^(١) الْجَلِيدُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُونِي ! .

وَإِذَا هَبَطْتُ مِنَ الْجَبَالِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَزَاحَمْنِي^(٢) صُحُورٌ أَوْ أَحْجَارٌ ، كَانَ شَلَالٌ^(٣) يَكُونُ لَهُ صَوْتٌ هَائِلٌ وَمَنْظَرٌ جَمِيلٌ ، وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُونِي !

وَإِذَا اجْتَمَعْتُ شَلَالَاتٍ ، خَرَجْتُ مِنَ الْجَبَالِ ، فَكُنْتُ نَهْرًا ، يَكُونُ فِي مَبْدَئِهِ صَغِيرًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَرِيضًا عَمِيقًا ، وَقَالَ النَّاسُ : نَهْرُ السَّنْدِ وَنَهْرُ دِجلَةَ ، وَالْفُرَاتِ ، وَالنَّيلِ ، وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُونِي .

لَعَلَّكَ رَأَيْتَ فِي الصَّبَاحِ أَيَّامَ الشَّتَاءِ مِثْلَ الدُّخَانِ ، وَيُسَمِّيهِ النَّاسُ الضَّبَابَ ، وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُونِي .

وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ قَطَرَاتٍ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ ، وَعَلَى الْعُشْبِ وَالْأَزْهَارِ ، فِي أَيَّامَ الشَّتَاءِ ، وَيُسَمِّيهَا النَّاسُ الطَّلَّ^(٤) وَالنَّدَى^(٥) ، وَأَنَا هُنَا . فَاعْرِفُونِي .

(١) الجَلِيدُ: المياه المتجمدة بتأثير البرودة.

(٢) زَاحَمَ يُرَاحِمُ مُرَاحِمَةً: الشيء: دفعه في مكان ضيق.

(٣) شَلَال جمع شَلَالَات: انحدار فجائي في مجرى النهر.

(٤) الطَّلَّ: المطر الخفيف يكون له أثر قليل.

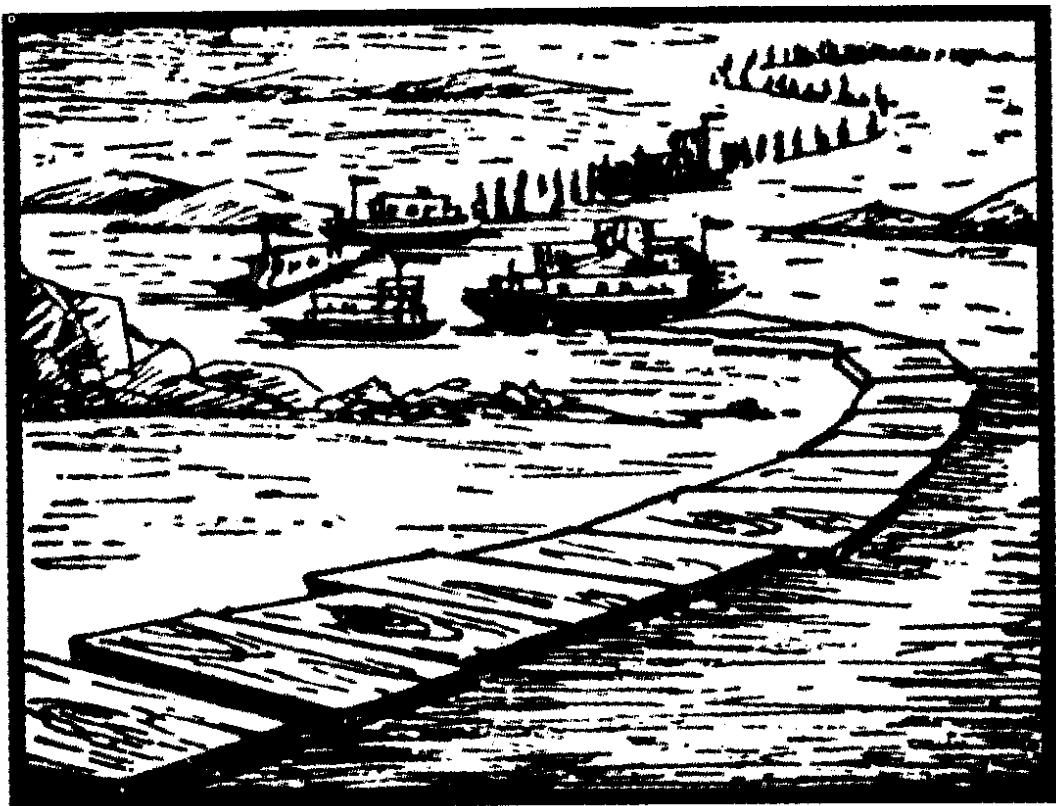
(٥) النَّدَى: قطرات ماء كالمطر تُرى عند الصباح على النبات وغيره.

وَقَدْ أَجْمُدُ بِالصِّنَاعَةِ فِي الْمَصَانِعِ ، وَيَخْرِصُ عَلَيَّ النَّاسُ
أَيَّامَ الصَّيفِ ، فَلَا يَشْرَبُونَ الْمَاءَ بِغَيْرِ هَذَا الْجَمَدِ ، وَلَا يَرَوْنَ
إِلَّا بِهِ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَغْرِفُونِي .



(٥٦)

سَفِينَةٌ عَلَى الْبَرِّ



هَلْ سَمِعْتَ بِسَفِينَةٍ تَسِيرُ عَلَى الْبَرِّ؟ وَهَلْ تُصَدِّقُ إِذَا أَخْبَرَكَ
بِهِ أَحَدٌ؟

أَظْنَكَ تَقُولُ - وَلَكَ الْحَقُّ - : مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبائِنَا

الْأَوَّلِينَ . وَلِكُنَّ مُحَمَّدًا الثَّانِي الْعُثْمَانِيَّ فَاتَّحَ الْقُسْطُنْطِينِيَّةَ ، سَيَرَ سَبْعِينَ سَفِينَةً عَلَى الْبَرِّ .

هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟

غَرَّا الْعَرَبُ الْقُسْطُنْطِينِيَّةَ الْعُظْمَى سَتَّ مَرَّاتٍ ، وَلَمْ يَفْتَحُوهَا ، وَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْفَتْحُ الْعَظِيمُ بِيَدِ شَابٍ مُسْلِمٍ مِنْ آلِ عُثْمَانَ ، وَهُوَ فِي الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

زَحَفَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْقُسْطُنْطِينِيَّةِ ، وَأَعَدَّ لِذَلِكَ عُدَّةً عَظِيمَةً ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ .

فَكَانَ تَحْتَ قِيَادَتِهِ ثَلَاثُمَائَةٍ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ ، وَمَعَهُ مِدْفَعَيَّةٌ هَائِلَةٌ ، فِيهَا مِدْفَعٌ لَا يُوجَدُ فِي أَوْرُبَا أَضْخَمُ^(١) مِنْهُ ، أَعَدَّهُ لِذَلِكَ ، مَرْمَاهُ^(٢) أَكْثَرُ مِنْ مِيلٍ .

وَكَانَ أُسْطُولُهُ^(٣) مُرَكَّبًا مِنْ مِئَةٍ سَفِينَةٍ حَرْبِيَّةً .

(١) أَضْخَمُ مِنْهُ: أَعْظَمُ مِنْهُ .

(٢) مَرْمَى جمع مَرَام: مَا تُرْزَمَى إِلَيْهِ السَّهَامُ وَنَحْوُهَا .

(٣) أُسْطُول جمع أَسَاطِيل: مَجْمُوعَةٌ مِنَ السُّفُنِ تُعَدُّ لِلْحَرْبِ أَوِ النَّقْلِ التَّجَارِيِّ .

وَكَانَ مُحَمَّدٌ رَأَى أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ سَلَسَلَ^(١) خَلِيجَ قَرْنَ الْذَّهَبِ - وَهُوَ مَدْخُلُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ - بِالسَّلَاسِلِ ، فَكَيْفَ يَعْبُرُهُ بِأَسْطُولِهِ؟

فَكَرَّ مُحَمَّدٌ ، وَلَمْ يَعْجِزْ وَلَمْ يَيَأسْ ، وَوَجَدَ حِيلَةً!

رَأَى أَنَّهُ يُمْكِنُ الْعُبُورُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ جِهَةِ قَاسِمِ بَاشَا.

وَلَكِنَّ هَذِهِ الْجِهَةَ بَعِيْدَةٌ مِنْ سُفْنِهِ ، فَمَنْ يَحْمِلُهَا وَمَنْ يَنْقُلُهَا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ ، وَالْمَسَافَةُ بَعِيْدَةٌ؟

فَكَرَّ مُحَمَّدٌ ، وَلَمْ يَعْجِزْ وَلَمْ يَيَأسْ وَوَجَدَ حِيلَةً!

طَلَى^(٢) الْأَخْشَابَ بِالشَّحْمِ ، فَلَمَّا أَمْلَسْتُ^(٣) أَرْلَقَ^(٤) عَلَيْهَا السُّفُنَ ، وَهِيَ سَبْعُونَ سَفِينَةً .

وَمَا رَأَعَ^(٥) أَهْلُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، إِلَّا وَسُفْنُ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَرْسَتَ^(٦) عَلَى سَاحِلِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَسُقطَ فِي أَيْدِيهِمْ^(٧).

(١) سَلَسَلَ يُسَلِّسُ: الأَشْيَاءُ: وَصَلَ بَعْضُهَا بِعْضٍ كَانَهَا سِلْسَلَةً.

(٢) طَلَى يَطْلِي طَلِيَا: دَهَنَ.

(٣) أَمْلَسَ يُمْلِسُ إِمْلَاسًا: لَآنَ وَنَعَمَ.

(٤) أَرْلَقَ يُزْلِقُ إِزْلَاقًا عَلَيْهِ السُّفُنَ: دَفَعَهَا وَدَحْرَجَهَا.

(٥) مَا رَأَعَ: مَا أَفْزَعَ . وَالرَّوْعُ: الْفَزَعُ وَالخُوفُ.

(٦) أَرْسَى يُرْسِي إِرْسَاءً: تَوَقَّفَ (توقفت السفن عند الشاطئ).

(٧) سُقطَ فِي أَيْدِيهِمْ: تَحَيَّرُوا.

وَهَكَذَا أَخَذَ مُحَمَّدُ الْقُسْطُنْطِينِيَّةَ - عَاصِمَةَ الدَّوْلَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ -
وَسَقَطَتْ عَاصِمَةُ النَّصَرَانِيَّةِ الْمَنِيعَةُ أَمَامَ قَائِدِ مُسْلِمٍ شَابًّا .
وَلَا تَرَالُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَتُرْكَيَا ، فِي يَدِ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ سَنَةِ ٨٥٣ هـ - يَوْمَ فَتَحَهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُرَادٍ - إِلَى يَوْمِ النَّاسِ
هَذَا .

وَ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ﴾ .

* * *

(٥٧)

الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ

(١)

وُلِدَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَةً ٦١ هـ. وَأَمْمُهُ أُمُّ عَاصِمٍ بْنُتُّ عَاصِمٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَابِ، جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ صَغِيرٌ، وَبَعْثَهُ أَبُوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ يَتَأَدَّبُ بِهَا، وَكَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَثِيرًا، لِمَكَانِ أُمَّهِ مِنْهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أُمَّهِ، فَيَقُولُ: يَا أُمَّهُ! أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ خَالِيِّ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي شَبَابِهِ مُتَنَعِّمًا، يُكْثِرُ مِنَ الطَّيْبِ، حَتَّى تُؤْجَدَ رَائِحَتُهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَمْرُّ بِهِ، وَيَمْشِي مِشِيَّةً تُسَمَّى «الْعُمَرِيَّة» كَانَ الْجَوَارِيُّ يَتَعَلَّمُنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا، وَلَمْ يَرَلْ عَلَى هَذَا التَّنَعُّمِ، حَتَّى وَلِيَ الْخِلَافَةَ، فَزَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَرَفَضَهَا.

وَكَانَ فِي شَبَابِهِ ، وَوِلَايَتِهِ لِلْمَدِينَةِ ، كَثِيرُ التَّعْظِيمِ لِلْعُلَمَاءِ ،
شَدِيدُ الْإِعْظَامِ لِمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ ، خَاسِعًا مُتَدَبِّنًا .

وَعَهَدَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَعُمُرٌ لَا يَعْلَمُ ،
فَلَمَّا عَلِمَ فَزَعَ .

وَقَالَ : وَاللهِ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا سَأَلْتُ اللَّهَ قَطُّ .

وَقَدَّمَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمَرَاكِبِ مَرْكَبَ الْخَلِيفَةِ فَأَبَى وَقَالَ :
إِيْتُونِي بِبَعْلَتِي ، وَرَدَّ الْمَرَاكِبَ ، وَالسُّرَادِقَاتِ^(۱) وَالْفُرُشَ ،
وَالْأَدْهَانَ ، وَالثِّيَابَ الْخَاصَّةَ بِالْخَلِيفَةِ ، إِلَى بَيْتِ مَالِ
الْمُسْلِمِينَ .

وَجَلَسَ لِلنَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، وَحَمَلُوهُمْ عَلَى الشَّرِيعَةِ ، وَرَدَّ
الْمَظَالِمَ ، وَأَحْيَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَسَارَ بِالْعَدْلِ ، وَرَفَضَ
الْدُّنْيَا ، وَزَهَدَ فِيهَا ، وَنَهَى عَنِ الْقِيَامِ ، وَابْتَدَأَ بِالسَّلَامِ ، وَتَرَكَ
أَلْوَانَ الطَّعَامِ ، وَتَرَكَ أَنْ يُخْدَمَ .

كَانَ عِنْدَهُ قَوْمٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَقَامَ إِلَى السَّرَاجِ ، فَأَصْلَحَهُ ،
فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَكْفِيْكَ ، قَالَ : وَمَا ضَرَّنِيْ ؟ قُمْتُ وَأَنَا
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَرَجَعْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

(۱) سُرَادِق جمع سُرَادِقات: خيمة يجتمع فيها الناس لعرسٍ ومائماً أو
غيرهما.

وَأُتِيَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْفَيْءِ^(١) بِعَنْبَرَةٍ^(٢) ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَمَسَحَهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُفِعَتْ حَتَّى تُبَاعَ ، ثُمَّ أَمَرَ يَدَهُ عَلَى أَنَفِهِ ، فَوَجَدَ رِيحَهَا ، فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ .

وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ يَأْتِيهِ بِقُمْقُمٍ^(٣) مِنْ مَاءِ مُسَخَّنٍ يَتَوَضَّأُ مِنْهُ ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ يَوْمًا : أَعْسَخْنُ الْمَاءَ فِي مَطْبَخِ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : أَفْسَدْتَهُ عَلَيْنَا ، ثُمَّ حَاسَبَ تِلْكَ الْأَيَّامَ ، وَأَدْخَلَ الْحَطَبَ فِي الْمَطْبَخِ ، وَأَبْطَأَ يَوْمًا عَنِ الْجُمُعَةِ قَلِيلًا فَعُوْتَبَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّمَا انتَظَرْتُ قَمِيصِي غَسْلَتُهُ أَنْ يَجْفَ .

قَالَ أَزْهَرُ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ مَرْقُوعٌ .

* * *

(١) فَيْءٌ جمع أَفْيَاءٍ : خَرَاجٌ ، غَنِيمَةٌ .

(٢) عَنْبَرَةٌ : مادة صلبة لا طعم لها ولا رائحة ، تُصبح نوعاً من الطيب إذا سُحقت أو أُحرقت .

(٣) قُمْقُمٌ جـ قَمَاقِمٌ : إناء صغير من تُحاصي أو فِضَّةٌ .

(٥٨)

الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

(٢)

وَلَمْ يُحْدِثْ عُمَرُ مُنْذُ وَلِيَ دَائِبَةً^(١) وَلَا امْرَأَةً وَلَا جَارِيَةً حَتَّى
لَحِقَ بِاللهِ ، وَلَمْ يُرِ ضَاحِكًا مُنْذُ وَلِيَ الْخِلَافَةَ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ.

وَأَتَتْهُ سَلَّتَا رُطْبٍ مِنَ الْأَرْدُنَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : رُطْبٌ
مِنَ الْأَرْدُنَ ، قَالَ : عَلَامَ جَيْءَ بِهِ ؟ قَالُوا : عَلَى دَوَابِ الْبَرِيدِ .
قَالَ : فَمَا جَعَلَنِي اللَّهُ أَحَقَ بِدَوَابِ الْبَرِيدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
أَخْرُجُوهُمَا فَبِئْعُوهُمَا ، وَاجْعَلُوهُمَا ثَمَنَهُمَا فِي عَلْفِ دَوَابِ الْبَرِيدِ ،
وَاشْتَرَاهُمَا فِي السُّوقِ ابْنُ أَخِيهِ وَأَهْدَى إِحْدَاهُمَا إِلَيْهِ ، فَأَكَلَ
وَقَالَ : الآنَ طَابَ أَكْلُهُ .

وَدَخَلَ عَلَى بَنَاتِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَوَضَعْنَ أَيْدِيهِنَ عَلَى

(١) دَائِبَةٌ جَمْعُ دَوَابٍ : مَا يُرْكَبُ مِنَ الْحَيْوَانِ كَالْفَرْسِ وَالْبَغْلِ .

أَفَوَاهِهِنَّ ، فَقَالَ لِلْحَاضِنَةِ^(١) : مَا شَانُهُنَّ؟ قَالَتْ : لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُنَّ شَيْءٌ يَتَعَشَّيْنَهُ إِلَّا عَدَسٌ وَبَصَلٌ ، فَكَرِهْنَ أَنْ تَشْمَمْ ذَلِكَ مِنْ أَفَوَاهِهِنَّ ، فَبَكَى عُمَرُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُنَّ : يَا بَنَاتِي مَا يَنْفَعُكُنَّ أَنْ تَعَشَّنَ الْأَلْوَانَ وَيَمْرُ بِأَيْنِكُنَّ إِلَى النَّارِ ، فَبَكَيْنَ حَتَّى عَلَتْ أَصْوَاتُهُنَّ ، وَوَضَعَ عُمَرُ حَلْيَ زَوْجَتِهِ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، وَأَرْجَعَ مَزَارِعَهُ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ .

وَإِذَا كَانَ فِي حَوَائِجِ الْعَامَّةِ كَتَبَ عَلَى السَّمْعِ ، وَإِذَا صَارَ إِلَى حَاجَةِ نَفْسِهِ دَعَا بِسِرَاجِهِ .

وَقَدْ أَغْنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّاسَ ، حَتَّى لَمْ يُوْجَدْ فَقِيرٌ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يُوْجَدْ أَحَدٌ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ .

وَكَانَ لَا يُؤَخِّرُ عَمَلَ الْيَوْمِ لِلْغَدِّ ، وَلَا يَعْجِزُ ، قَالَ بَعْضُ إِخْرَوَتِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَوْ رَكِبْتَ فَتَرَوْخَتْ ، قَالَ : فَمَنْ يَقْضِي شُغْلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ قَالَ : تَقْضِيهِ مِنَ الْغَدِّ ، قَالَ : لَقَدْ ثَقُلَ عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ عَمَلُ يَوْمَيْنِ؟ مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَةً ١٠١ هـ .

* * *

(١) حَاضِنَة جمع حَوَاضِن : المرأة التي تقوم على تربية الصغير.

(٥٩)

فِي بَيْتِ أَبِي أَئُوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ سَيِّدُنَا أَبُو أَئُوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

«لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي نَزَلَ فِي السُّفْلِ^(١) ، وَأَنَا وَأَمْ أَئُوبَ فِي الْعُلُوِّ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! بِأَبِي أَنْتَ وَأَمِّي ! إِنِّي لَا كُرِهُ وَأَعْظَمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ وَتَكُونَ تَحْتِي ، فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلُوِّ ، وَنَنْزِلُ نَحْنُ فَنَكُونَ فِي السُّفْلِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا أَئُوبَ ! إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ .

قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سُفْلِهِ وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ ، فَلَقَدِ انْكَسَرَ حُبْتُ لَنَا فِيهِ مَاءً ، فَقُفِّمْتُ أَنَا وَأَمْ أَئُوبَ بِقَطِيفَةٍ^(٢)

(١) السُّفْلُ : تَحْتٌ.

(٢) قَطِيفَةٌ : نَسِيجٌ مِّنَ الْحَرِيرِ أَوِ الْقُطْنِ.

لَنَا ، مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا ، نُنَسِّفُ^(۱) بِهَا الْمَاءَ تَخْوِفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيهِ .

قَالَ : وَكُنَا نَصْنَعُ لَهُ الْعَشَاءَ ، ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا رَدَ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ^(۲) أَنَا وَأَمْ أَئْيُوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ ، حَتَّى بَعَثَنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بِعَشَائِهِ ، وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِيهِ بَصَلًا أَوْ ثُومًا ، فَرَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ أَرَ لِيَدِهِ فِيهِ أَثْرًا ، قَالَ : فَجَئْتُهُ فَزَعًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! بَأَبِي أَنْتَ وَأَمِّي ! رَدَدْتَ عَشَاءَكَ ، وَلَمْ أَرَ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ ، وَكُنْتَ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأَمْ أَئْيُوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ ، نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ .

قَالَ : إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَأَنَا رَجُلٌ أَنْاجِي ، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ .

قَالَ : فَأَكَلْنَاهُ ، وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدُ .

(سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ)

* * *

(۱) نَسَفَ يُنَسِّفُ تَنْشِيفًا : جَفَّ .

(۲) تَيَمَّمَ يَتَيَمَّمُ : الشَّيْءُ : تَوَخَّاهُ وَتَعَمَّدُهُ .

(٦٠)

الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

وُلِدَ الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَسَمِعَ الرُّزْهُرِيَّ (١) وَنَافِعًا مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ (٢) ، وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ رَبِيعَةِ الرَّأْيِ (٣) ، وَقَالَ: قَلَ رَجُلٌ كُنْتُ أَتَعْلَمُ مِنْهُ مَا مَاتَ حَتَّى يَجِيئَنِي وَيَسْتَفْتِينِي (٤) .

وَكَانَ لَهُ شَأنٌ عَظِيمٌ فِي الْعِلْمِ يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ،

(١) هو ابن شهاب محمد الزهرى. تابعى من أهل المدينة. أول من دون الحديث. نزل الشام واستقر بها ، توفي سنة ١٢٤ هـ.

(٢) هو نافع بن عمر القرشى الجمحي المكي. حافظ للحديث ، كان محدث مكة المكرمة في زمانه ، وتوفي فيها سنة ١٦٩ هـ.

(٣) كان إماماً ، حافظاً ، فقيهاً ، مجتهداً ، بصيراً بالرأي ، وكان صاحب الفتوى بالمدينة المنورة وعليه تفقه الإمام مالك ، توفي سنة ١٣٦ هـ.

(٤) استفتى يستفتاء: الرجل العالم في مسألة: سأله رأيه فيها.

وَيَزْدَحِمُونَ^(١) عَلَى بَابِهِ لِأَخْذِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ كَأَرْدَحَامِهِمْ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَفْتَخِرُونَ بِالرِّوَايَةِ عَنْهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ شَرْفًا كَبِيرًا فِي عَصْرِهِ ، فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ: حَدَّثَنِي مَالِكُ ، رَفَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ .

وَكَانَ إِلَيْهِ الْمُتَشَهِّدُ فِي الْفِقْهِ وَالْفَتْوَىِ . قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: سَمِعْتُ مُنَادِيًّا يُنَادِي بِالْمَدِينَةِ: أَلَا لَا يُفْتَنِ النَّاسَ إِلَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، وَابْنُ أَبِي ذِئْبٍ ، وَمِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ: لَا يُفْتَنِ وَمَالِكُ فِي الْمَدِينَةِ .

وَكَانَ كَثِيرُ الْأَدَبِ ، شَدِيدُ التَّعْظِيمِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ^(٢) وَلَبِسَ ثِيَابًا جُدَادًا ، وَتَعَمَّمَ^(٣) وَقَعَدَ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَوَقَارٍ ، وَتَبَحَّرَ^(٤) بِالْعُودِ مِنْ أَوَّلِهِ فَلَا يَزَالُ يَتَبَحَّرُ إِلَى فَرَاغِهِ ، وَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ: أَحَبُّ أَنْ أَعْظَمَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا أَحَدُثَ بِهِ إِلَّا مُتَمَكَّنًا عَلَى طَهَارَةِ ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُحَدِّثَ عَلَى الطَّرِيقِ ، أَوْ

(١) ازدحام يزدحُم ازدحاماً: الناس: تضائقوا وتدافعوا بالمناقب.

(٢) تطيب يتتطيب تطبيباً: الرجل: وضع على نفسه الطيب.

(٣) تعمم يتعمم تعتمماً: ليس العمامة.

(٤) تبحّر يتبحّر تبحّراً: الرجل بالعود أو البخور: تطيب.

مُسْتَعْجِلًا ، وَيَقُولُ : أَحِبُّ أَنْ أَتَفَهَّمَ مَا أُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ ، وَهُوَ يُحَدِّثُنَا ، فَلَدَغَتُهُ عَقْرَبٌ سَتَّ عَشَرَةَ مَرَّةً ، وَمَالِكُ يَتَغَيِّرُ لَوْنُهُ ، وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيثَ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ قَالَ : إِنَّمَا صَبَرْتُ إِجْلَالًا لِلْحَدِيثِ .

وَكَانَ لَا يَرْكَبُ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى ضُعْفَيْهِ وَكَبَرِ سِنِّهِ ، وَيَقُولُ : لَا أَرْكَبُ فِي مَدِينَةٍ فِيهَا جُثَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَدْفُونَةٌ .

وَكَانَ مَجْلِسُهُ مَجْلِسَ وَقَارِ وَحِلْمٍ ، وَكَانَ رَجُلًا مَهِينًا نَيْنِلًا ، لَيْسَ فِي مَجْلِسِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمِرَاءِ^(۱) وَاللَّغْطِ^(۲) ، وَلَا رَفْعٌ صَوْتٍ ، وَكَانَ الْغُرَبَاءُ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَدِيثِ فَلَا يُجِيبُ إِلَّا فِي الْحَدِيثِ بَعْدَ الْحَدِيثِ .

سَأَلَ هَارُونُ الرَّشِيدُ مَالِكًا أَنْ يَأْتِي فَأَبِي ، فَأَتَى هَارُونُ مَالِكًا ، وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَمَعَهُ بَنُوهُ ، وَسَأَلَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا قَرَأْتُ عَلَى أَحَدٍ مُنْذُ زَمَانٍ ، وَإِنَّمَا يُقْرَأُ عَلَيَّ ، فَقَالَ هَارُونَ : أَخْرِجْ النَّاسَ حَتَّى أَقْرَأَ أَنَا عَلَيْكَ ، فَقَالَ : إِذَا مُنْعَ الْعَامُ لِبَعْضِ الْخَاصِّ لَمْ يَنْتَفِعْ الْخَاصُّ .

(۱) الْمِرَاءُ : التَّكْلُفُ .

(۲) اللَّغْطُ جمع الْأَلْغَاطُ : الصوت والجلبة .

وَدَخَلَ مَالِكُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْصُورٍ ، وَهُوَ عَلَى فَرَاسِهِ ،
إِذْ جَاءَ صَبِيًّا يَخْرُجُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، فَقَالَ لِي : أَتَدْرِي مَنْ هَذَا ؟
فَقُلْتُ : لَا ! قَالَ : ابْنِي ، وَإِنَّمَا يَفْزَعُ مِنْ هَيْبَتِكَ .

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَةٍ ضُرِبَ مَالِكُ سَبْعِينَ سُوطًا
لِأَجْلِ فَتْوَى لَمْ تُوَافِقُ غَرَضَ السُّلْطَانِ ، فَغَضِبَ وَدَعَا بِهِ ،
وَجَرَّدَهُ^(۱) وَضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ ، وَمُدَّتْ يَدُهُ حَتَّى انْخَلَعَتْ كَتْفُهُ ،
فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الضَّرْبِ فِي عُلُوٍّ وَرِفْعَةٍ ، وَكَانَمَا كَانَتْ تِلْكَ
السِّيَاطُ^(۲) حَلْيًا حُلَيْ بِهِ .

وَكِتَابُهُ الْمُوَطَّأُ مِنْ أَشْهَرِ كُتُبِ الْحَدِيثِ ، وَمِنْ الْكُتُبِ
الْمَقْبُولَةِ فِي الإِسْلَامِ ، رَزَقَ اللَّهُ قِرَاءَتَهُ ، وَالإِنْتِفَاعَ بِهِ ،
وَسَيَكُونُ ذَلِكَ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) فِي بِضْعِ سِنِينَ إِذَا تَقَدَّمَتِ
الْعِلْمِ .

تُوْفَّيَ مَالِكُ سَنَةَ تِسْعَ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ .



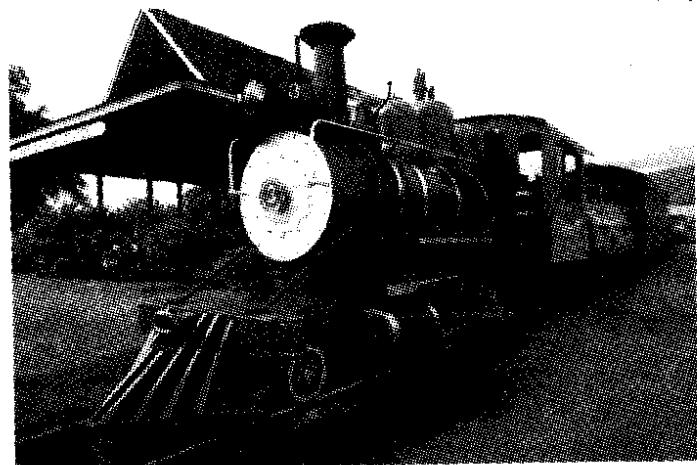
(۱) جَرَّادُ يُجَرَّدُ تَجْرِيدًا : الرَّجُلُ الْفَلَانَ : عَرَاهُ .

(۲) سُوطٌ جمع سِيَاطٍ : أَدَاءٌ مِنَ الْجَلْدِ يُضْرِبُ بِهَا الْإِنْسَانُ أَوِ الْحَيْوَانُ .

(٦١)

الْقَاطِرَةُ

(١)



ذَهَبَ رَشِيدُ مَعَ أَبِيهِ سَعِيدٍ إِلَى الْمَحَطَّةِ يَسْتَقْبِلُ أَخَاهُ
مَحْمُودًا ، وَكَانَ قَادِمًا مِنْ دِيُوبَند^(١) فِي مُسَامَحَةٍ عِيدِ الْأَضْحَى .
وَكَانَ الْقِطَارُ مُتأَخِّرًا ، فَأَخَذَ سَعِيدٌ يَتَجَوَّلُ عَلَى الْمَحَطَّةِ

(١) دِيُوبَند: قرية من القرى التابعة لمدينة سهارنفور الواقعة في ولاية أترابرديش في الهند.

يُحَدِّثُ رَشِيدًا عَنِ الْقِطَارِ وَنَظَامِ الْمَحَطَّةِ ، وَأَنْتَقَلَ مَعَهُ إِلَى
رَصِيفٍ آخَرَ .

وَكَانَ قَطَارٌ وَاقِفًا هُنَا تَصْفِرُ^(١) قَاطِرَتَهُ^(٢) ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا بُخَارٌ
كَثِيفٌ^(٣) مُتَصَاعِدٌ .

قَالَ رَشِيدٌ: حَدَّثَنِي الْيَوْمَ يَا أَبِي ! عَنِ الْقَاطِرَةِ كَيْفَ تَجْرُّ
الْقِطَارَ ، وَكَيْفَ تُسْرِعُ فِي السَّيْرِ ؟

قَالَ سَعِيدٌ: لَقَدْ سَأَلْتَ بِهِ خَبِيرًا فَقَدْ كُنْتُ مُوَظَّفًا فِي الْقِطَارِ ،
وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهَا فِي تَفْصِيلٍ ، فَقُمْ بِجَانِبِي أَمَامَ هَذِهِ الْقَاطِرَةِ
وَلَا حِظْهَا .

اُنْظُرْ يَا رَشِيدًا ! إِلَى الْقَاطِرَةِ تَرَاهَا صُنِعَتْ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَلَهَا
سُتُّ عَجَلَاتٍ تَسِيرُ عَلَيْهَا وَهِيَ قَوِيَّةٌ جَدًّا كَائِنَهَا عِفْرِيتٌ مِنَ
الْجَنِّ ، تَجْرُّ قِطَارَ الْبِضَاعَةِ ، وَهُوَ طَوِيلٌ وَثَقِيلٌ جَدًّا ، وَتَجْرُّ
قِطَارَ الرُّكَابِ وَفِيهِ النَّاسُ وَأَثْقَالُهُمْ ، وَتَجْرُّ الْقِطَارَ السَّبَاقَ ، وَهُوَ
أَسْرَعُ الْقُطُرِ يَقْطَعُ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ مِيلًا فِي السَّاعَةِ .

(١) صَفَرَ يَصْفِرُ صَفِيرًا: صَوْتُ بصوت عالٍ.

(٢) قَاطِرَة جمع قَاطِرَات: آلة بخارية أو كهربائية تجر عربات على سكك الحديد.

(٣) كَثِيفٌ: غَلِيظٌ .

وَالْقِطَارُ السَّرِيعُ يَقْطَعُ نَحْوَ أَرْبَعِينَ مِيلًا فِي السَّاعَةِ ، وَالْقِطَارُ الْوَقَافُ يَقْطَعُ نَحْوَ ثَلَاثِينَ مِيلًا فِي السَّاعَةِ ، تَجْرُّ الْقِطَارُ مِنْ أَقْصَى الْهِنْدِ إِلَى أَقْصَاهَا ، مَثَلًا مِنْ بَمْبَيَءَ^(١) إِلَى بِشَاؤَرَ^(٢) ، وَمِنْ دِهْلِي^(٣) إِلَى مَدْرَاسَ^(٤) .

وَقُوَّةُ هَذِهِ الْقَاطِرَةِ إِنَّمَا هِيَ الْبُخَارُ الْحَقِيرُ الَّذِي لَا تَعْبَأُ^(٥) بِهِ ، وَلَا تُحَاسِبُ لَهُ حِسَابًا ، وَقَدْ اهْتَدَى «اسْتِيفِنْس» مُخْتَرُ الْقِطَارِ إِلَى قُوَّةِ هَذَا الْبُخَارِ ، وَاهْتَدَى إِلَى تَسْخِيرِهِ وَالاِنْتِفَاعِ بِهِ فِي الْأَغْرَاضِ ، وَعَلِمَ بِعَقْلِهِ وِدِرَاسَتِهِ أَنَّهُ بِقُوَّتِهِ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ ، وَيَنْقُلُ الْجِبَالَ ، وَيَأْتِيُ بِالْعَجَائِبِ .

وَذَلِكَ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْجَاهِلِ وَالْعَالِمِ ، وَبَيْنَ الْعَامِيِّ وَالْمُكْتَشِفِ ، يَرَى الْأَوَّلُ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يَرْفَعُ بِهِ رَأْسًا ، وَلَا يُلْقِي عَلَيْهِ بَالًا ، وَيَرَاهُ الْثَانِي فَيَعْرِفُ قِيمَتَهُ وَيَجْتَهُدُ فِيهِ ، حَتَّى يُسَخِّرَهُ لِغَرَضِهِ .

* * *

(١) بَمْبَيَء: من أكبر مدن الهند تقع في غربها.

(٢) بِشَاؤَر: مدينة قديمة تقع في شمال باكستان.

(٣) دِهْلِي: عاصمة الهند.

(٤) مَدْرَاس: مَرْفَأً في جنوب شرقي الهند ، ومن أكبر مدنها.

(٥) لَا تَعْبَأُ بِهِ: لا تهتم به ولا تبالى.

(٦٢)

الْقَاطِرَةُ

(٢)

انظُرْ يَا رَشِيدُ ! إِلَى هَذَا الْمَوْقِدِ فِي الْقَاطِرَةِ ، يُلْقِي فِيهِ الرَّجُلُ
الْفَحْمَ الْحَجَرِيَّ ، وَفَوْقَ هَذَا الْمَوْقِدِ حَوْضٌ مِنْ مَاءٍ مَتِينٌ جَدًّا
وَفِيهِ أَنَابِيبٌ عَدِيدَةٌ يَسْخُنُ هَذَا الْمَاءُ بِالنَّارِ وَيَتَحَوَّلُ بُخَارًا ،
وَيَنْتَقِلُ هَذَا الْبُخَارُ إِلَى الْأَنَابِيبِ .

وَتَعَالَ مَعِي نَدْخُلُ فِي الْقَاطِرَةِ ، فَإِنَّ سَائِقَهَا مِنْ أَصْدِقَائِيِّ ،
وَهُنَا تَفْهَمُ تَرْكِيبَ الْقَاطِرَةِ جَيِّدًا .

انظُرْ إِلَى الْأَنَابِيبِ ، إِنَّهَا مُتَصَلَّةٌ بِهَذِهِ الْآلاتِ الدَّقِيقَةِ التَّيْ
تُدِيرُ عَجَلَاتِ الْقَاطِرَةِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ هَذَا الْبُخَارُ فِي الْأَنَابِيبِ دَفَعَ
بِقُوَّتِهِ الْآلاتِ ، فَأَدَارَهَا وَبِدَوْرِهَا تَدُورُ الْعَجَلَاتُ ، وَتَسِيرُ
الْقَاطِرَةُ .

وَهُذَا هُوَ الْوَقَادُ الَّذِي يُرَاقِبُ النَّارَ وَالْمَاءَ ، وَيُشَرِّفُ

عَلَيْهِمَا ، وَهُذَا صَدِيقُنَا السَّائِقُ ، وَإِذَا كَانَتِ الْقَاطِرَةُ تَجْرُّ
الْقِطَارَ ، وَتُوْصِلُ الرُّكَابَ مِنْ دِيَارِ إِلَى دِيَارِ ، فَصَاحِبُنَا يَسُوقُ
الْقَاطِرَةَ ، فَهُوَ مِفْتَاحُ الْقِطَارَ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْفَضْلُ فِي سَيْرِ الْقِطَارِ
وَهُوَ يَسْهُرُ عَلَى عَمَلِهِ ، وَيَقُومُ بِوَاجِبِهِ بِأَمَانَةٍ وَجَدَّ ، وَكَذَلِكَ أَمِينُ
الْقِطَارِ يَسْتَحِقُ الشُّكْرَ مِنَ الرُّكَابِ ، فَإِنَّهُ يُلَأِ حَظًّا الطَّرِيقَ وَيَلْحِظُ
وَقُوْفَ الْقِطَارِ وَسَيْرَهُ ، وَالسَّائِقُ وَالْقَاطِرَةُ طَوْعٌ إِشَارَتِهِ ، فَإِذَا هَزَّ
الْبَيْرَقَ^(۱) الْأَحْمَرَ وَقَفَ الْقِطَارُ ، وَإِذَا هَزَّ الْبَيْرَقَ الْأَخْضَرَ تَحرَّكَ
الْقِطَارُ .

وَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْآلَةِ التِّي فِي يَدِ السَّائِقِ هَذِهِ . . . فَإِذَا رَفَعَهَا
السَّائِقُ إِلَى فَوْقِ ، اندفعَ الْبُخَارُ وَسَارَتِ الْقَاطِرَةُ ، وَإِذَا ضَغَطَ^(۲)
عَلَيْهَا سَكَنَ الْبُخَارُ وَهَدَأَتِ الْقَاطِرَةُ ، حِينَئِذٍ يَضْغَطُ السَّائِقُ عَلَى
آلَةٍ أُخْرَى ، وَهِيَ هَذِهِ وَتُسَمَّى الْمِصَدَّ ، وَتَقِفُ الْقَاطِرَةُ مِنْ
سَاعَتِهَا ، وَالْعَرَبَاتُ كُلُّهَا مُرَكَّبَةٌ بِالْقَاطِرَةِ تَسِيرُ بِسَيْرِهَا ، وَتَقِفُ
بِوُقُوفِهَا .

وَهُذَا هُوَ الْخَطُّ الْحَدِيدِيُّ الَّذِي يَسِيرُ عَلَيْهِ الْقِطَارُ ، وَلَوْلَا هُوَ
لَغَاصَ الْقِطَارُ فِي الْأَرْضِ ، لَأَنَّ التُّرْبَةَ لَا تَحْمِلُ ثِقْلَ الْقِطَارِ .

(۱) الْبَيْرَقُ: جمع الْبَيَارِقُ: الْعَلَمُ الْكَبِيرُ.

(۲) ضَغَطَ يَضْغَطُ ضَغْطًا: عَلَيْهِ (عَلَيْهَا) شَدَّةً وَضَيْقَةً.

هَذِهِ هِيَ الْقَاطِرَةُ الَّتِي تَجْرِي الْقِطَارَ ، وَهَذَا هُوَ الْقِطَارُ الَّذِي يُوصِلُ الرُّكَابَ مِنْ دِيَارِ إِلَى دِيَارِ ، وَيَحْمِلُ أَثْقَالَ النَّاسِ إِلَى بَلَدٍ لَمْ يَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ^(۱) .

انْظُرْ يَا رَشِيدُ ! كَيْفَ أَلْهَمَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ الْحِكْمَةَ وَالصِّنَاعَةَ ، وَرَزَقَهُ الْعَقْلَ الَّذِي يُسَخِّرُ بِهِ الْحَدِيدَ وَالْبُخَارَ ، أَفَلَا يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَقُولَ إِذَا رَكِبْتَ الْقِطَارَ :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ ۱۳ ۝ وَإِنَّا إِلَى رِبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ .

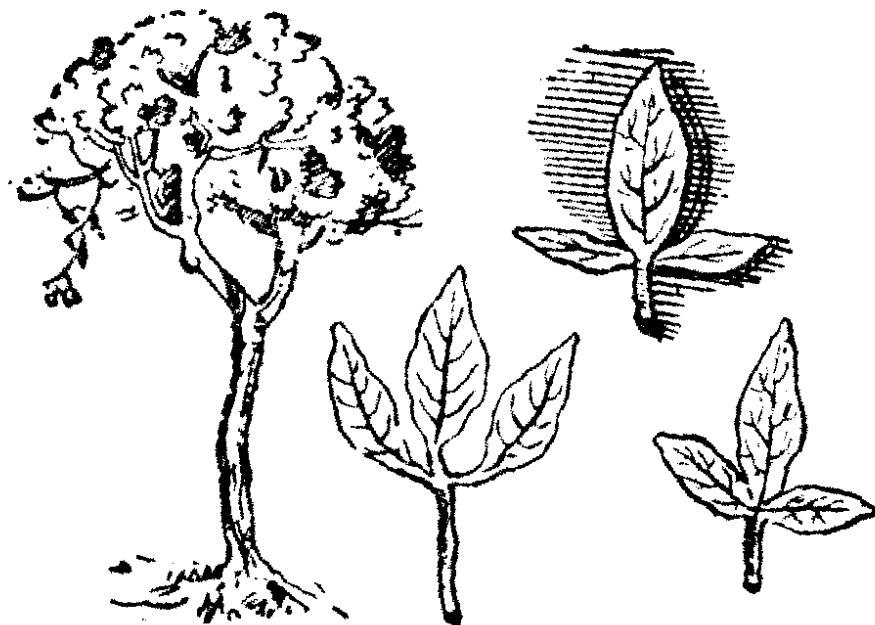
* * *

(۱) بِشَقِّ الْأَنْفُسِ : بِالْجُهْدِ وَالْمَشَقةِ .

(٦٣)

جَسْمُ النَّبَاتِ

(١)



كَانَ أَمَامَ بَيْتِ عَبَّاسٍ حَدِيقَةً فِيهَا أَنْوَاعُ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ ، قَالَ لَهُ أَبُوهُ عُمَرُ مَرَّةً فِي يَوْمٍ عُطْلَةً: هَلْ رَأَيْتَ يَا عَبَّاسُ ! حَدِيقَةَ الدَّارِ ؟

قَالَ عَبَّاسٌ: كَيْفَ لَا يَا أَبِي ! وِهِيَ حَدِيقَةُ دَارِنَا ؟ أَلْعَبُ فِيهَا

كُلَّ يَوْمٍ وَأَتَرَدَ^(١) إِلَيْهَا صَبَاحَ مَسَاءً.

قَالَ عُمَرُ: مَا أَظْنَكَ رَأَيْتَهَا! فَتَعَالَ مَعِي نَتَمَشَ فِي الْحَدِيقَةِ وَنَدْرُسُ النَّبَاتَ، فَإِنَّهُ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ، وَكِتَابٌ يَجِبُ أَنْ تُطَالِعَهُ.

خَرَجَ عُمَرُ وَعَبَّاسٌ إِلَى الْحَدِيقَةِ، فَرَأَى عَبَّاسٌ الْبُسْتَانِيَّ يُصْلِحُ قِطْعَةً مِنَ الْأَرْضِ، وَيَنْحِي^(٢) الْحَجَرَ وَالْخَزْفَ، وَيَقْلِعُ الْحَشَائِشَ وَالْأَعْشَابَ، فَسَأَلَ عَبَّاسٌ أَبَاهُ عَنْ ذَلِكَ.

قَالَ عُمَرُ: الرَّجُلُ يُصْلِحُ الْأَرْضَ وَيَهِيئُهَا^(٣) لِغَرسِ الْأَشْجَارِ، فَإِذَا بَقِيَتِ الْأَحْجَارُ وَالْخَزْفُ لَمْ يَثْبُتِ الْفَسِيلُ^(٤) فِي الْأَرْضِ، وَلَمْ تَمْتَدَ جُذُورُهُ فِي بَاطِنِ^(٥) الْأَرْضِ، وَإِذَا تُرِكَتْ هَذِهِ الْحَشَائِشُ الشَّيْطَانِيَّةُ امْتَصَتْ غِذَاءَ الْفَسِيلِ وَذَوِي الْفَسِيلِ، وَالْبُسْتَانِيُّ النَّاصِحُ الْمُجْتَهِدُ يَحْرُثُ الْأَرْضَ كَمَا يَحْرُثُ الْفَلَاحُ الْحَقْلَ، وَيُلْقِي فِيهَا السَّمَادَ^(٦) وَيَسْقِيَهَا كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى تُصْبِحَ

(١) تَرَدَّدَ يَتَرَدَّدُ: إلى المكان: اختلف إليه.

(٢) نَحَّى يَنْحِي تَنْحِية: الشيء: أبعده وأزاله عن مكانه.

(٣) هَيَا يَهِيئُ تَهْيَةً: الشيء: أعده.

(٤) فَسِيلَة جمع فَسِيلَ وَفَسَائِلُ: غُصْنٌ يُفْصَلُ للغرس.

(٥) بَاطِنُ الْأَرْضِ: داخل الأرض.

(٦) السَّمَاد جمع الأَسْمِدَة: مادة توضع في الأرض لإخصابها.

الْأَرْضُ رِخْوَةً^(١) كَرِيمَةً ، تَقْبِلُ كُلَّ مَا يُلْقَى فِيهَا .
ثُمَّ يَغْرِسُ الْفَسَائِلَ فِي مَكَانٍ تَصِلُ إِلَيْهِ الشَّمْسُ كُلَّ يَوْمٍ .
هُنَا قَاطِعَهُ عَبَّاسٌ وَقَالَ : وَهَلْ يَحْتَاجُ النَّبَاتُ أَيْضًا إِلَى
الشَّمْسِ؟

قَالَ عُمَرُ : نَعَمْ ! يَا عَبَّاسُ ! فَالنَّبَاتُ جِسْمٌ حَيٌّ نَامٌ يَحْتَاجُ إِلَى
الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .

وَاسْتَمَرَ عُمَرُ فِي حَدِيثِهِ «ثُمَّ يَغْرِسُ الْفَسَائِلَ فِي صَفٍّ وَيَتَرُكُ
بَيْنَ فَسِيلَيْنَ فُسْحَةً يُمْكِنُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَمْتَدَّ فِيهَا ،
وَلَا يُضَاقِّ بَعْضُهَا بَعْضًا .

وَيَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ الْفَسَائِلُ أَثْرَابًا فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ ، وَإِذَا كَانَتْ
ذَاتَ أَزْهَارٍ فَلَا زَهَارِهَا مِيْعَادٌ وَاحِدٌ ، لِيَتَمَّ جَمَالُ كُلِّ صَفٍّ مِنْ
صُفُوفِهَا .

وَلَا يَسْتَرِيحُ الْبُسْتَانِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ ، بَلْ يَسْهُرُ عَلَى هَذِهِ
الْفَسَائِلِ ، فَلَا يَزَالُ يَسْقِيَهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّيْنِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَقْلِعُ
الْحَشَائِشَ ، وَيَعْرِزُ^(٢) الْأَرْضَ حَوْلَهَا ، فَيَجْعَلُ بَاطِنَهَا
ظَاهِرَهَا» .

(١) رِخْوَةً : سهلة لينة.

(٢) عَزَّقَ يَعْرِزُ عَزْقًا : الْأَرْضَ : شَقَّها .

هُنَا فَرَغَ الْبُسْتَانِيُّ مِنْ إِصْلَاحِ الْأَرْضِ وَذَهَبَ يَنْقُلُ فَسِيلًا ،
فَتَبَعَهُ عُمَرُ وَعَبَّاسٌ ، وَوَقَفَا بِجَانِبِهِ .



(٦٤)

جسم النبات

(٢)

حَفَرَ الْبُسْتَانِيُّ الْأَرْضَ حَوْلَ الْفَسِيلِ بِاحْتِرَاسٍ^(١) ، وَكَانَهُ يَخَافُ شَيْئاً ، فَسَأَلَ عَبَّاسٌ وَالدَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ: لِمَاذَا يَتَوَانَى^(٢) الْبُسْتَانِيُّ فِي شُغْلِهِ ، وَلَا يُعَجِّلُ؟

قَالَ عُمَرُ: هُوَ يَخَافُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْضَ الْجُذُورِ فَيَضُرُّ بِالْفَسِيلِ ، وَرُبَّمَا يَمُوتُ ، لَأَنَّ الْجُذُورَ لَازِمَةُ لِلسَّجَرَةِ وَبِهَا حَيَاةُهَا.

قَالَ عَبَّاسٌ: وَمَا فَائِدَةُ الْجُذُورِ وَمَا شُغْلُهَا حَتَّى لَا تَحْيَا السَّجَرَةُ بِغَيْرِهَا.

(١) باحتراس: بحیطة وحدار.

(٢) توانى يتوانى توانياً: تأخر وأبطأ.

قالَ عُمَرُ : النَّبَاتُ إِنَّمَا يَثْبُتُ فِي الْأَرْضِ بِالْجُذُورِ ، فَهِيَ الَّتِي تَمْتَصُ^(١) الْغِذَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَتَبْحَثُ عَنْهُ ، أَلَا تَرَاهَا مُمْتَدَّةً مُتَشَعِّبَةً فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ ، كَأَنَّهَا جَوَاسِيسٌ وَعُيُونٌ قَدِ انبَثَتْ لِعَمَلِهَا .

عَبَّاسُ : وَمَا هِيَ الْأَجْزَاءُ الْلَّازِمَةُ لِلنَّبَاتِ غَيْرُ الْجُذُورِ ؟

قالَ عُمَرُ : مِنَ الْأَعْضَاءِ الْلَّازِمِ لِلنَّبَاتِ السَّاقُ ، وَهُوَ الْجُزْءُ الْبَارِزُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الْفُرُوعَ وَالْأُورَاقَ ، وَيَسِّيلُ فِيهِ غِذَاءُ الشَّجَرَةِ ، وَيَنْتَقِلُ إِلَى أَجْزَائِهَا .

وَالآخَرُ الْلَّازِمُ لِلنَّبَاتِ الْأُورَاقُ وَبِهَا يَتَنَفَّسُ النَّبَاتُ ، وَيَأْخُذُ مِنَ الْهَوَاءِ مَا يُصْلِحُ بِهِ حَيَاتَهُ .

وَهُذِهِ الْثَّلَاثَةُ : الْجُذُورُ ، وَالسَّاقُ ، وَالْأُورَاقُ ، هِيَ أَعْضَاءُ النَّبَاتِ الْلَّازِمَةُ لِحَيَاتِهِ وَنَمَائِهِ ، وَيَكْفِيَكَ يَا عَبَّاسُ ! هُذَا الدَّرْسُ الْأَوَّلُ عَنِ النَّبَاتِ .

قالَ عَبَّاسُ : عَجَباً يَا أَبَي ! مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ النَّبَاتَ جِسْمٌ حَيٌّ نَامٌ ، لَهُ تَرْكِيبٌ دَقِيقٌ .

قالَ عُمَرُ : وَكَذِلِكَ كُلُّ شَيْءٍ ، فَإِذَا دَرَسْتَهُ كِتَابٌ تَعَجَّبَتْ

(١) امْتَصَّ يَمْتَصُّ امْتِصَاصاً : الشيءَ : رَشْفَهُ وَشَرِبَهُ مَعَ جَذْبِ نَفْسٍ .

مِنْ صُنْعِ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَعَرَفَتَ أَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةً
لَهُ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :
وَلَلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيْكَةٍ شَاهِدٌ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ^(۱) تَدْلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

* * *

(۱) آيَةَ جـ آيَاتٍ وَآيَ : عَلَامَة.

(٦٥)

البَّغَاءُ

نَاطِقَةً بِالْلُّغَةِ الْفَصِيْحَةِ
يُؤْهِمُنِي^(١) بِأَنَّهَا إِنْسَانٌ
وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
تُعْيِدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةً
وَاسْتَوْطَنْتُ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَة^(٥)

أَلْفُتُهَا^(١) صَيْحَةً مَلِيْحَةً
عُذْتُ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللُّسَانُ
تُنْهِي^(٣) إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا
بَكْمَاء^(٤) إِلَّا أَنَّهَا سَمِيْعَةً
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةَ

(١) أَلْفَ يَأْلِفُ إِلْفًا: الرَّجُلُ فَلَانًا: أَنِسَ بْنُ وَاحِدَةٍ.

(٢) أَوْهَمَ يُؤْهِمُ إِيْهَامًا: أَوْهَمَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ: أَوْقَعَهُ فِي الْوَهْمِ (وَالْوَهْمُ
مَا يَقُولُ فِي الْذَّهَنِ مِنَ الْخَاطِرِ).

(٣) أَنَّهَا يُنْهِي إِنْهَاءَ الشَّيْءَ: أَوْصَلَهُ وَأَبْلَغَهُ.

(٤) بَكْمَاءَ (مَؤْنَثٌ) أَبَكَمُ (مَذْكُورٌ) جَمِيعُهَا بُكْمُ: عَاجِزٌ عَنِ الْكَلَامِ،
أَخْرَسٌ.

(٥) الْقَعِيدَةُ: الْمُجَالِسَةُ.

وَالضَّيْفُ فِي إِتَيَانِهِ يُعَرِّ
كَلُولُوٰءٍ يَلْقُطُ^(٢) بِالْعَقِيقِ^(٣)
فِي النُّورِ وَالظُّلْمَةِ بَصَاصَيْنِ^(٤)
لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلاصُ
وَإِنَّمَا ذَاكَ لِفَرْطِ الْحُبِّ
(أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ)

ضَيْفٌ قِرَاهٌ^(١) الْجَوزُ وَالْأَرْزُ
قِرَاهٌ فِي مِنْقَارِهِ السَّرَّقِيقِ
تَنْظُرٌ مِنْ طَرْفَيْنِ كَالْفَصَيْنِ^(٤)
خَرِيدَةٌ^(٦) خُدُورُهَا^(٧) الْأَقْفَاصُ
تَحْبِسُهَا وَمَالَهَا مِنْ ذَنْبِ



-
- (١) قَرَى: ما يُقَدَّم إلى الضَّيْفِ من الطَّعام.
- (٢) لَقَطَ يَلْقُطُ لَقْطاً: الشيء: أَخَذَهُ مِنَ الْأَرْضِ.
- (٣) الْعَقِيقِ: حجر كريم أحمر.
- (٤) الْفَصُّ جمع الْفُصُوصِ: مَا يُرَكَّبُ فِي الْخَاتِمِ مِنَ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَغَيْرِهَا.
- (٥) بَصَاصَ: لامعٌ وَمُتَلَائِيٌّ.
- (٦) خَرِيدَةٌ جمع خَرَائِدٍ: لُؤلُؤةٌ لَمْ تُثْقَبْ.
- (٧) خِدْرٌ جمع خُدُورٍ: سِتْرٌ يُمَدُّ لِيُحْجَبَ مَا وَرَاءَهُ، وَسْتَارَةٌ.

(٦٦)

الحجاج والفتية

أَمْرَ الْحَجَاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ لَيْلًا ، فَمَنْ رَآهُ بَعْدَ
الْعِشَاءِ سَكْرًا نَضَرَ بَعْنَقَهُ ، فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ
فِتْيَانٍ يَتَمَايِلُونَ^(١) ، وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتٌ^(٢) السُّكْرِ ، فَأَحَاطَتْ بِهِمْ
الْغُلْمَانُ وَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ الْحَرَسِ :

مَنْ أَنْتُمْ حَتَّىٰ خَالَفْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَرَجْتُمْ فِي مِثْلِ
هُذَا الْوَقْتِ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتِ^(٣) الرِّقَابُ لَهُ
مِنْ بَيْنِ مَخْرُوفِهَا وَهَا شِمْهَا
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ^(٤)

(١) تَمَائِلَ يَتَمَائِلُ تَمَائِلًا : الرَّجُلُ فِي مَشِيهِ : تَبَخْتَرَ.

(٢) أَمَارَة جمع أَمَارَاتٍ : عَلَامَةٌ .

(٣) دَانَ يَدِينُ دِيَنًا وَدِيَانَةً : الرَّجُلُ لِفَلَانٍ : خَضَعَ وَذَلَّ .

(٤) صَاغِرَةٌ : رَاضِيَةٌ بِالذَّلِّ وَالْهُوَانِ .

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

ثُمَّ قَالَ لِلآخرِ : وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ؟ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ نَزَلْتُ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودٌ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ .

ثُمَّ قَالَ لِلآخرِ : وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ؟ فَأَنْشَدَ قَائِلًا :

أَنَا ابْنُ مَنْ خَاطَرَ^(۱) الصُّفُوفَ بِعَزْمِهِ
وَقَوْمَهَا^(۲) بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتِ
رِكَابَاهُ لَا تَنْفَكُ رِجْلَاهُ مِنْهُمَا

إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرِيمَةِ وَلَتِ

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ ، وَاحْتَفَظْ بِهِمْ .

فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى الْأَمِيرِ ، فَأَخْضَرَهُمْ وَكَشَفَ
عَنْ حَالِهِمْ ، فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حَجَّامٍ ، وَالثَّانِي ابْنُ خُضْرِيٍّ ،
وَالثَّالِثُ ابْنُ حَائِكٍ^(۳) ، فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ ، وَقَالَ

(۱) خَاطَرَ يَخُوضُ خُوضًا: الرَّجُلُ الصُّفُوفَ: دَخَلَهَا وَمَشَى فِيهَا.

(۲) قَوْمَ يُقَوِّمُ تَقْوِيًماً: الرَّجُلُ الصُّفُوفَ: سَوَاهَا وَعَدَلَهَا.

(۳) حَائِكَ جَمْعُ حَائِكَيْنَ: نَاسِجٌ (مِنْ حِرْفَتِهِ الْحِيَاكَةِ).

لِجُلْسَائِهِ: عَلَمُوا أَوْلَادَكُمُ الْأَدَبَ ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ
أَعْنَاقَهُمْ .



(٦٧)

أَنَا تُرَابٌ

أَنَا تُرَابٌ حَقِيرٌ يَطْوُنِي ^(١) النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ وَنَعَالِهِمْ، وَيَضْرِبُونَ
بِي مَثَلًا فِي الْحَقَارَةِ وَالذُّلُّ.

النَّاسُ يَتَفَعَّنَ بِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ ،
ثُمَّ يَخْتَرُونِي وَيَهْجُونِي ^(٢) كَالشَّعِيرِ يُؤْكَلُ وَيُذَمُّ.

فِي مَنَاكِبِي يَمْشِي النَّاسُ ، وَعَلَى ظَهْرِي يَبْنُونَ بُيُوتًا
وَمَبَانِي عَظِيمَةً ، وَمِنْ بَطْنِي يَخْرُجُ لِلنَّاسِ حُبُوبٌ يَأْكُلُهَا
النَّاسُ ، وَجَنَاحَاتِي مِنْ أَعْنَابٍ وَالرَّيْسُونَ وَالرِّمَانُ ، وَالنَّخلُ وَالزَّرْعُ
مُخْتَلِفًا أَكُولُهُ.

وَمِنْ بَطْنِي يَخْرُجُ ذَلِكَ الْقُطْنُ الَّذِي بِهِ لِبَاسُكُمْ وَكِسْوَتُكُمْ فِي

(١) وَطِيَاءَ يَطَأُ وَطَنًا: الرَّجُلُ الشَّيْءَ بِرِجلِهِ: دَاسَهُ.

(٢) هَجَاجًا يَهْجُو هَجْوًا وَهِجَاءًا: الرَّجُلُ فَلَانًا: عَدَدَ معايِيهِ وَذَمَّهُ.

الصَّيفِ وَالشَّتَاءِ ، وَسَرَابِيلُ^(١) تَقِيكُمْ^(٢) الْحَرَّ .

وَفِي لِبَاسِ الْحَرِيرِ أَيْضًا يَرْجِعُ إِلَيَّ الْفَضْلُ^(٣) فَإِنَّ دُودَةَ
الْقَرْ^(٤) تَتَغَذَّى مِنْ وَرَقِ التُّوتِ ، وَمِنْيٌ تَتَغَذَّى شَجَرَةُ التُّوتِ ،
وَعَلَيَّ تَنْمُو وَتَعِيشُ ، وَعَلَى ظَهْرِي تَحْفِرُونَ الْبَئْرَ الَّتِي تَشْرَبُونَ
مَاءَهَا ، وَعَلَى ظَهْرِي تَجْرِي الْأَنْهَارُ الَّتِي تَسْقِيكُمْ ، وَتَسْقِي
زُرُوعَكُمْ .

وَمِنَ الطِّينِ يَسْنِي الْفَحَارِيُّ الْأَوَانِيُّ وَالظُّرُوفُ ، الَّتِي
تَأْكُلُونَ فِيهَا وَتَشْرَبُونَ ، وَاللَّعْبُ وَالدُّمَى^(٥) الَّتِي يَلْعَبُ بِهَا
الْأَطْفَالُ .

وَهَلْ تُصَدِّقُونَ إِذَا أَخْبَرْتُكُمْ بِأَنِّي مَادَّةُ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي
تَقْرَؤُونَهُ ، وَمَادَّةُ كُلِّ كِتَابٍ وَصَحِيقَةٍ ، فَإِنَّ مَادَّةَ الْوَرَقِ
الْحَشِيشُ الَّذِي يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ ، فَلِيَ مِنَّهُ عَلَى كُلِّ عَالِمٍ
وَطَالِبٍ ، وَلِيَ مِنَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ عَلَيْهِ مِنَّهُ الْعِلْمُ وَالدِّينِ .

(١) سِرْبَالٌ جمع سَرَابِيلٍ : كُلُّ مَا يُلبِسُ من قميص أو درع ونحوهما.

(٢) وَقَى يَقِي وِقَائِي : (وَقَاهُ السِّرْبَالُ الْحَرَّ: صَانَهُ وَحَمَاهُ مِنَ الْحَرَّ).

(٣) يَرْجِعُ إِلَيَّ الْفَضْلُ: يعود.

(٤) الْقَرْ: حريرٌ طبيعي يخرجُ من دود الحرير.

(٥) دُمَيَّة جمع دُمَى: تمثال صغير.

وَمِنْ بَطْنِي يَخْرُجُ الْذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَالْتُّحَاسُ وَالْحَدِيدُ ،
الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ^(١) وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَالزَّيْتُ الَّذِي يُضِيءُ
وَالْفَحْمُ الْحَجَرِيُّ الَّذِي تَسِيرُ بِهِ الْقَاطِرَةُ ، وَالْبِتْرُولُ الَّذِي تَسِيرُ بِهِ
السَّيَارَاتُ وَالطَّائِرَاتُ .

إِنَّكُمْ تُفْسِدُونَ أَطْيَبَ الْأَشْيَاءِ ، فَكُلُّ مَا تَلَبَّسَ بِكُمْ فَسَدَتْ
رَائِحَتُهُ ، وَذَهَبَتْ نَصَارَتُهُ^(٢) ، وَأَنَا أُعِيْدُهُ غَضَّاً طَرِيْأً^(٣) ، وَبِهَذَا
السَّمَادِ الَّذِي تُلْقُونَهُ فِي الْحُقُولِ وَالْفَسَائِلِ أُنْبِتُ لَكُمْ حَبَّاً
صَحِيحًا ، وَفَاكِهَةًا لَذِيْدَةً ، وَزُهْرًا جَمِيلَةً .

أَنَا أَمِينُ أَجْسَادِ الْأَنْبِيَاءِ ، أَنَا مَرْقَدُ^(٤) الشُّهَدَاءِ ، أَنَا
مُسْتَوْدَعُ الْأَوْلِيَاءِ ، أَنَا مَضْجَعُ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ ، أَنَا مَدْفَنُ
الْأُمَّهَاتِ وَالآبَاءِ ، فَلَا تَمْسُوا عَلَيَّ مَرَحَاً ، وَإِذْ كُرُوا قَوْلَ
صَاحِبِكُمْ :

نَحَّفِ الْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْ
أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ

(١) بَأْسٌ شَدِيدٌ: قَوَّةٌ شَدِيدَةٌ.

(٢) نَصَارَةٌ وَنَصَارَ: الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(٣) غَضَّاً طَرِيْأً: نَاعِمًا.

(٤) مَرْقَدٌ جَمِيعُ مَرَاقِدٍ: قَبْرٌ.

وَقَبِيْحُ بَنَا وَإِنْ قَدْمَ الْعَهْ
لُدْ هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
سِرْ إِنْ اسْتَطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُوَيْدًا^(١)
لَا اخْتِيَالًا^(٢) عَلَى رُفَاتٍ^(٣) الْعِبَادِ

* * *

(١) رُوَيْدًا: مَهْلًا أو أَمْهَلْ.

(٢) لَا اخْتِيَالًا: لَا تكْبِرًا وَتَمَايِلًا فِي الْمَشِيِّ.

(٣) رُفَاتٌ: حُطَام وَفُتَاثٌ مِنْ كُلِّ مَا تَكْسِرُ وَانْدِقُ.

(٦٨)

السُّلْطَانُ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغُجْرَاتِيُّ

السُّلْطَانُ الْعَادِلُ الْمُجَاهِدُ ، أَبُو الْفَتْحِ سَيْفُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغُجْرَاتِيُّ ، كَانَ مِنْ خِيَارٍ^(١) السَّلَاطِينِ ، وَلِدَ بِغُجْرَاتَ^(٢) فِي عَاشِرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٨٤٩ هـ وَقَامَ بِالْمُلْكِ بَعْدَ دَاؤَدَ شَاهَ سَنَةَ ٨٦٢ هـ وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

اسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ خَمْسًا وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجَهَادِ ، وَوَسَعَ حُدُودَ مُلْكِهِ إِلَى مَالُوَّه^(٣) ، وَإِلَى بِلَادِ السَّنِدِ ، وَلِكِنَّهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ لَمْ يَطْمَحْ إِلَى بِلَادِ

(١) خَيْر جمع خِيَار: حَسَن لذاته أو ما يحققه من نفع أو سعادة.

(٢) غجرات: ولاية تقع في شمال غربي الهند قرب البحر العربي، كانت مركزاً فنياً هاماً في القرون الوسطى.

(٣) مَالُوَّه: ولاية قديمة تقع الآن في ولاية مادھیا پردیش في الهند، كانت مركزاً ثقافياً فنياً كبيراً في القرن العاشر الميلادي.

الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَسْتَشِرْ^(١) لَهَا ، وَإِذَا اسْتَوْلَى الْقَوِيُّ مِنْهُمْ عَلَى الْضَّعِيفِ قَامَ بِنُصْرَةِ الْضَّعِيفِ ، وَكَانَ قَائِمًا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، يُنَفِّذُ أَمْرَ الشَّرْعِ فِي السِّيَاسَةِ ، وَيُمْضِي حُكْمَ الْقَصَاصِ ، وَلَا يَمْنَعُ كَوْنُ أَحَدٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُلْكِ الْخَاصَّةِ بِهِ إِلَّا يَعْمَلُ بِالشَّرِيعَةِ .

وَمِنْ مَكَارِيهِ^(٢) قِيَامُهُ بِتَعْمِيرِ الْبَلَادِ وَتَأْسِيسِ الْمَسَاجِدِ ، وَالْمَدَارِسِ وَالزَّوَّايا ، وَتَكْثِيرِ الزَّرَاعَةِ وَغَرْسِ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ ، وَبِنَاءِ الْحَدَائِقِ وَالْبَسَاتِينِ ، وَتَحْرِيصِ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِعَانَتِهِمْ بِحَفْرِ الْآبَارِ وَإِجْرَاءِ الْعُيُونِ ، وَلِذِلِكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ إِقْبَالًا كُلِّيًّا^(٣) ، وَوَفَدَ عَلَيْهِ الْبَنَاؤُونَ وَالْمُهَنْدِسُونَ وَأَهْلُ الْحِرَفِ وَالصَّنَاعَةِ مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ ، فَقَامُوا بِحِرَفِهِمْ وَصَنَاعَتِهِمْ ، فَصَارَتِ غُجُرَاتُ رِيَاضًا^(٤) مُخْضَرَةً بِكَثْرَةِ الْحِيَاضِ وَالْآبَارِ ، وَالْحَدَائِقِ وَالْزُّرُوعِ وَالْفَوَاكِهِ الطَّيِّبَةِ ، وَصَارَتْ بِلَادُ كُجْرَاتِ مَتَجَرَّةٍ تُجْلِبُ مِنْهَا الشَّيَابُ الرَّفِيقَةُ إِلَى بِلَادٍ أُخْرَى ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِمَيْلٍ سُلْطَانِهَا

(١) استشرفَ يَسْتَشِرُ : الرَّجُلُ الشَّيْءَ : رَفَعَ بَصَرَهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.

(٢) مَكْرَمَة جمع مَكَارِمْ : فعل الخير.

(٣) إِقْبَالًا كُلِّيًّا : إِقْبَالًا تَامًا.

(٤) رَوْضَة جمع رِيَاض وَرَوْضَات : أَرْض ذات خضرة وَمَاء.

مَحْمُودٌ شَاهُ إِلَى مَا يَصْلُحُ بِهِ الْمُلْكُ وَالدَّوْلَةُ، وَيَسْرَفُ بِهِ رَعَايَاهُ.

وَمِنْ مَكَارِمِهِ قِيَامُهُ بِتَرْبِيَةِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ لِمَا كَانَ مَجْبُولًا عَلَى حُبِّ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، فَاجْتَمَعَ فِي حَضْرَتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَفَاضِلِ الْعَرَبِ، حَتَّى صَارَتْ بِلَادُ كُجْرَاتٍ عَامِرَةً آهِلَةً بِالْعُلَمَاءِ، وَوَفَدَ عَلَيْهِ الْمُحَدِّثُونَ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، فَتَشَابَهَتْ غُجْرَاتُ بِالْيَمِينِ الْمَيْمُونِ، وَفَاقَتْ سَائِرَ بِلَادِ الْهِنْدِ فِي ذَلِكَ.

وَكَانَ غَايَةً فِي الْعَفَةِ وَالْحَيَاةِ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، عَظِيمُ الْهَمَّةِ، كَرِيمُ السَّجِيَّةِ، شَرِيفُ التَّفْسِيرِ، كَثِيرُ الْبِرِّ وَالإِحْسَانِ، أَطَالَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي مَنَاقِبِهِ وَفَضَائِلِهِ.

فِي سَنَةِ ٩١٦ هـ تَوَجَّهَ إِلَى نَهْرِ وَالَّهِ بَتَنْ^(١)، وَزَارَ أَئِمَّةَ الدِّينِ بِهَا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، وَعَقَدَ مَجْلِسًا خَاصًا لِمُذَاكِرَةِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْجَوَائزِ، وَأَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْوَظَائِفِ، وَالتَّمَسَ الدُّعَاءَ، وَكَانَ أَنْشَأَ مَضْجَعَهُ فِي جَوارِ قَبْرِ مَوْلَانَا الشَّيْخِ أَحْمَدَ فِي سَرْكَهِيْجَ^(٢)، يَتَعَهَّدُ أَحْيَانًا، وَقَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ فَتَحَ

(١) إِحدى مدن ولاية غُجرات.

(٢) إِحدى مدن ولاية غُجرات.

الْقَبِيرَ وَجَلَسَ عِنْدَهُ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَسَهِّلْهُ
وَاجْعَلْهُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ مَلَأْهُ فِضَّةً وَتَصَدَّقَ بِهَا .
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَصْرَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ثَانِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ
٩١٧ هـ وَلَهُ تِسْعُ وَسِتُّونَ سَنَةً وَمُدَّةُ سُلْطَانِهِ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ
سَنَةً .

(الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)

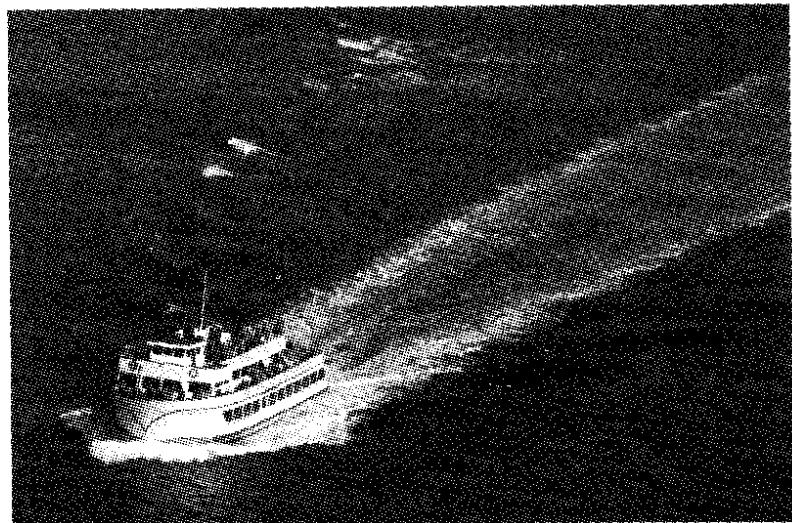
للعلامة عبد الحي الحسني



(٦٩)

الْبَاخِرَةُ

(١)



كَانَ النَّاسُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ يُسَافِرُونَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
عَلَى الْإِبَلِ وَالْبَغَالِ ، وَعَجَلَاتِ الْخَيْلِ وَعَجَلَاتِ الشَّيْرَانِ ، فَتَرَاهَا
غَادِيَةً رَائِحَةً^(١) عَلَى الطُّرُقَاتِ وَالشَّوَارِعِ تَحْمِلُ الرُّكَابَ
وَالْبَضَائِعَ .

(١) غَادِيَةً وَرَائِحَةً : ذَاهِبَةً وَآيِّبَةً .

وَكَانَ النَّاسُ يَخَافُونَ السَّفَرَ فِي الْبَحَارِ وَيَتَحَمَّلُونَهُ^(١) ، وَلِكِنْ أَلْجَائِهِمُ الضرُورَةُ إِلَى السَّفَرِ فِيهَا لَأَنَّهُ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ الْعَظِيمَةَ وَلَا يَكُلُّفُ نَفَقَةً ، فَوَصَلُوا الْأَنْهَارَ وَالْبُحَرِّاتِ بِالْتَّرَاعِ ، وَصَارُوا يُسَافِرُونَ فِيهَا عَلَى السُّفُنِ الشَّرَاعِيَّةِ ، وَيَنْقُلُونَ بَضَائِعَهُمُ التِّشَارِيَّةَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ.

وَكَانَتْ هَذِهِ السُّفُنُ الشَّرَاعِيَّةُ تَسِيرُ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ السُّفُنُ تَحْتَ حُكْمِ الرِّيَاحِ ، فَإِنْ وَافَقَتْ وَصَلَتِ السَّفِينَةُ فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ ، وَإِنْ عَارَضَتْ وَقَفَتْ أَسَابِيعَ وَشُهُورًا ، وَإِنْ عَانَدَتْ^(٢) صَدَمَتْهَا بِصَخْرَةٍ فَكَسَرَتْهَا ، أَوْ قَلَبَتْهَا ، وَهَلَكَ الرُّكَابُ وَغَرِقَتِ الْبَضَائِعُ ، وَكَانَ هَذَا يَقْعُ كَثِيرًا حَتَّى ذَهَبَ مَثَلاً ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَا كُلُّ مَا يَتَمَّنِي الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ

تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ
وَكَانَ السَّفَرُ خَطِيرًا لَا يَدْرِي الإِنْسَانُ أَيْصِلُ إِلَى الْمَنْزِلِ أَمْ يَمُوتُ فِي الطَّرِيقِ ، فَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ فِي سَفِينَةٍ شِرَاعِيَّةٍ أَوْصَى أَقْارِبَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ بِدُعْيَّونَهِ وَبِمَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ الإِنْسَانُ

(١) تَحَامَى يَتَحَامَى تَحَامِيًّا: الرِّجْلُ شَيئًا: تَجَنَّبه.

(٢) عَانَدَ يُعَانِدُ مُعَانِدَةً: عَارَضَ.

لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ يَصِلُ فِي شَهْرٍ أَوْ عَامٍ ، فَإِنَّهُ يُسَافِرُ فِي ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ ، وَكَانَ دُودًا عَلَى عُودٍ ، لَا يَدْرِي أَيْمُوتُ فِي الطَّرِيقِ أَمْ يَصِلُ سَالِمًا وَيَعُودُ.

وَكَانَ النَّاسُ رَغْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ يُخَاطِرُونَ^(۱) بِأَنفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُسَافِرُونَ لِلْحَجَّ مِنْ كُلِّ بَلَادٍ ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ خَطْرُ أَوْ خَوْفٌ مِنَ السَّفَرِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ ، وَأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجَّ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْهَنْدِ ، وَالصَّينِ ، وَجَزَائِرِ بَحْرِ الْهَنْدِ ، وَكَذَلِكَ مِنْ مَرَاكِشْ وَبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ يُسَافِرُونَ كُلَّ عَامٍ لِلْحَجَّ ، وَقَدْ يَسْتَغْرِقُ سَفَرُهُمْ عَامًا كَامِلًا أَوْ أَكْثَرَ.

وَكَانَ الْجَوَابُونَ^(۲) يَسِيئُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَيَرْكَبُونَ الْبَحْرَ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى إِلَى الْمَشْرِقِ الْأَقْصَى ، وَكَانَ الْعَالَمُ الإِسْلَامِيُّ كَبِيْتٍ وَاحِدٍ ، وَالْمُسْلِمُونَ كَأُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، يَنَالُ الْجَوَابُ فِي السَّفَرِ كُلَّ مَا يَجِدُهُ فِي الْوَطَنِ .

أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرًا بِجِيرَانٍ .

وَقَدْ سَافَرَ ابْنُ بَطْوَطَةِ الْمَغْرِبِيِّ ، وَابْنُ جُبَيْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ، وَسُلَيْمَانُ التَّاجِرُ ، إِلَى مُعْظَمِ الْمَعْمُورَةِ بِهُذِهِ السُّفُنِ .

(۱) خاطرٌ يُخَاطِرُ مُخَاطِرَةً: الرجلُ بنفسيه عَرَضَها للهلاك.

(۲) الجوَاب جمع الجوَابين: السياحة.

(٧٠)

الْبَاخِرَةُ

(٢)



مَضَى عَلَى ذَلِكَ قُرُونٌ ، ثُمَّ بَدَا النَّاسُ يُفَكِّرُونَ ، وَيَخْتَرُونَ حَتَّى تَوَصَّلُوا إِلَى سَفِينَةٍ تَسِيرُ بِالْبَخَارِ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِالتَّدْرِيجِ^(١) ، وَفِي عِدَّةِ قُرُونٍ .

(١) بالتدریج: قليلاً قليلاً.

كَانَتِ السُّفْنُ الشَّرَاعِيَّةُ تَسِيرُ بِالْمَجَادِيفِ^(١) ، وَتَقْدَمَ بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ فَرَكَبَ فِي سَفِينَةٍ عَجَلَةً رَبَطَ بِهَا الْمَجَادِيفَ ، فَإِذَا دَارَتِ الْعَجَلَةُ بَدَأَتِ الْمَجَادِيفُ تَعْمَلُ وَتَمْهِرُ^(٢) الْمَاءَ .

ثُمَّ اهْتَدَى بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ إِلَى إِدَارَةِ الْعَجَلَةِ بِالْبُخَارِ ، وَالاسْتِغْنَاءِ عَنِ الْيَدِ الْعَامِلَةِ ، وَلَمْ تَزَلِ الصَّنَاعَةُ تَرْتَقِي ، حَتَّى ظَهَرَتْ أَوَّلُ سَفِينَةٍ بُخَارِيَّةٍ ، صَنَعَهَا رَجُلٌ أَمْرِيكِيٌّ اسْمُهُ «هِلْتَنْ كِلَرْ مَا وُنْتْ» قَطَعَتْ مِئَةً مِيلًا فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً .

وَلَمْ تَزَلِ السُّفْنُ الْبُخَارِيَّةُ تَتَقدَّمُ فِي السُّرْعَةِ وَالْقُوَّةِ ، حَتَّى أَصْبَحَتْ تَعْبُرُ الْبَحْرَ الْأَطْلَاطِيَّكِيَّ بَيْنَ إِنْكِلَتِرَةَ وَأَمْرِيَّكَةَ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ السَّفَرُ فِي هَذَا الْبَحْرِ يَأْخُذُ شَهْرَيْنِ .

وَالْبَاخِرَةُ كَالْقَاطِرَةِ تَسِيرُ بِقُوَّةِ الْبُخَارِ ، فَإِنَّهُ يُدِيرُ الْعَجَلَةَ ، وَالْعَجَلَةُ مُتَّصِّلَةٌ بِالآتِ تَتَحرَّكُ الْبَاخِرَةُ بِدُورَانِهَا وَتَسِيرُ .

وَكَذِلِكَ هُنَالِكَ آلَاتٌ تُوَجِّهُ الْبَاخِرَةَ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ ، وَتُسَخِّرُهَا لِلرِّبَّانِ يَسِيرُ بِهَا كَيْفَ يَشَاءُ .

(١) مِجْدَاف جمع مجاديف: خشبة في رأسها لوح عريض تسير بها القوارب.

(٢) مَخْرَ يَمْهُرُ مَهْرًا: مَخَرَتِ السَّفِينَةُ: جرَتْ تَسْقُّ المَاءَ .

وَقَدْ تَقَدَّمَتِ التِّجَارَةُ تَقَدُّمًا عَظِيمًا ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ يُسَافِرُونَ فِي الْبَحْرِ عَلَى مَنْ^(١) الْبَاخِرَةِ كَانُوكُمْ يُسَافِرُونَ فِي الْبَرِّ عَلَى الْقَطَارِ ، أَوْ مُطْمَئِنُونَ فِي الْبَلَدِ وَجَالِسُونَ فِي الدَّارِ .

وَكَبُرَتِ الْمَرَاكِبُ وَتَوَسَّعَتْ ، حَتَّى كَانَهَا حَارَةً مِنْ حَارَاتِ الْبَلَدِ ، أَوْ قَرْيَةً صَغِيرَةً ، فِيهَا الْمَطْعَمُ وَالْمَلْعُبُ وَمُنْتَزَهَاتُ ، وَتَحْمِلُ مِنَ الرُّكَابِ مِنْ خَمْسِينَةٍ إِلَى أَلْفٍ .

وَإِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ السُّفُنَ الشَّرَاعِيَّةَ وَالْمَرَاكِبَ الْبُخَارِيَّةَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ رُخَاءً^(٢) تَعَجَّبَ ، وَرَأَى تَصْدِيقَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلَكَ لِتَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ .

* * *

(١) على متن الباخرة: على ظهر الباخرة.

(٢) رُخَاءً: لينة دون تحريك.

(٧١)

جَسْمُ الطِّيْوَرِ

إِنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ جِسْمًا لَا إِنْقَاءً ، وَأَعْضَاءً يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجهِ ، وَتَحْصِيلِ قُوَّتِهِ ، وَسِلَاحًا يُدَافِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، فَهُوَ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى .

انظُرُوا إِلَى الْفِيلِ كَيْفَ مَدَ اللَّهُ فِي أَنْفِهِ لِيَسْتَخْدِمَهُ فِي حَوَائِجهِ ، وَيَتَنَاهُلَّ بِهِ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ ، وَيُوَجِّهُهُ حَيْثُ شَاءَ ، وَفِي طَرَفِهِ زَائِدَةٌ يَلْتَقِطُ^(١) بِهَا الْأَشْيَاءَ الدَّقِيقَةَ ، وَقَدْ قَرَأْتُمْ أَنَّ الْجَمَلَ رَقْبَتُهُ طَوِيلَةٌ ، لَا يَنْهُ كَبِيرُ الْجَسْمِ ، طَوِيلُ الْأَرْجُلِ ، فَلَوْ كَانَتْ رَقْبَتُهُ قَصِيرَةً لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يَرْعَى الْكَلَأَ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَبُرُكَ ، وَفِي ذَلِكَ تَعَبٌ عَظِيمٌ ، وَشُغْلٌ كَثِيرٌ ، فَمَدَ اللَّهُ فِي عُنْقِهِ ، وَرَأْسِهِ صَغِيرٌ ، فَكَانَ خَفِيفَ الْحَمْلِ عَلَى رَقْبَتِهِ ، وَلَمَّا قَدَرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ

(١) التَّقَطُ يَلْتَقِطُ التِّقَاطًا: أَخَذَ.

الْجَمَلُ سَفِينَةُ الصَّخْرَاءِ جَعَلَ أَرْجُلَهَا مُنَاسِبَةً لَذَلِكَ ، فَلَا تَسُونُخُ^(١) فِي الرِّمَالِ ، وَخَلَقَ فِي جَوْفِهِ كُرُوفًا وَأَرْقَاقًا يُخَرِّنُ فِيهَا الْغِذَاءَ وَالْمَاءَ ، لَأَنَّ السَّفَرَ فِي الصَّخْرَاءِ يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ كَثِيرًا .

انظُرُوا إِلَى الْقَنْغَرِ وَالْأَرْنَبِ ، تَرَوَا رِجْلَيْهِمَا الْخَلْفِيَّيْنِ طَوِيلَيْتَيْنِ وَكَبِيرَيْتَيْنِ ، وَرِجْلَيْهِمَا الْأَمَامِيَّيْنِ صَغِيرَيْتَيْنِ وَقَصِيرَيْتَيْنِ ، لِيُمْكِنَهُمَا الْجَرِيُّ قَفْزًا ، وَفِي قَدَمَيِ الرِّجْلَيْنِ الْخَلْفِيَّيْنِ لِلْقَنْغَرِ ظِلْفُ^(٢) حَادٌ جِدًا ، هُوَ سِلَاحُهُ يَبْقِرُ بِهِ بَطْنَ عَدُوِّهِ بِطَعْنَةٍ وَاحِدَةٍ .

كَذَلِكَ الطُّيُورُ ، فَفِي جَسْمِهَا وَخِلْقَتِهَا آيَاتُ اللَّهِ ، فَقَدْ كَسَّا اللَّهُ جَسْمَهَا بِالرِّيشِ ، لَا نَهُ أَخْفَى لِلطَّيْرَانِ ، وَجَعَلَ عِظَامَ الطَّائِرِ رَقِيقَةً جَوْفَاءَ ، فَلَا يَعُوقُهُ^(٣) ثِقلُ رِيشِ ، أَوْ جِسمٌ عَنِ الطَّيْرَانِ .

ثُمَّ وَهَبَ أَنْوَاعَ الطُّيُورِ أَنْوَاعًا مِنَ الْمَنَاقِيرِ ، تَخْتَلِفُ بِاِختِلَافِ طَبِيعَةِ الطَّيْرِ وَغِذَائِهِ وَعَادَاتِهِ ، وَكَذَلِكَ يَخْتَلِفُ تَرْكِيبُ أَقْدَامِهِ .

انظُرْ إِلَى الْعَصَافِيرِ وَالْحَمَامِ ، وَالْيَمَامِ وَالْغِرْبَانِ ، لَيَسْتُ أَجْسَامُهَا عَالِيَّةً ، وَأَنَّهَا تَلْقُطُ حَبَّاً صَغِيرًا مِنَ الْأَرْضِ ، فَلَمْ تَكُنْ

(١) سَاخَ يَسُونُخُ سَوْخًا الرِّجْلُ فِي الْأَرْضِ أَوِ الرَّمَلِ: غَاصَتْ وَدَخَلتْ.

(٢) ظِلْفُ جُمِعُ أَظْلَافٍ: ظَفَرْ .

(٣) عَاقَ يَعُوقُ عَوْقًا: عَنِ الشَّيْءِ: مَنَعَهُ (فَلَا يَعُوقُهُ: فَلَا يَمْنَعُهُ).

فِي حَاجَةٍ إِلَى طُولِ الْأَعْنَاقِ ، وَمَنَاقِيرُهَا مُسْتَقِيمَةٌ وَقَصِيرَةٌ تُعِينُهَا فِي حَاجَاتِهَا .

انظُرْ إِلَى الطُّيُورِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمَاءِ ، وَتَبْحَثُ عَنْ قُوَّتِهَا فِي الْمَاءِ كَالْبَطْ وَاللَّقْلَقَ ، تَرَ أَعْنَاقَهَا وَمَنَاقِيرَهَا طَوِيلَةً لِأَنَّهَا تُرْسِلُ مَنَاقِيرَهَا فِي أَعْمَاقِ الْأَنْهَارِ وَالْبَرَكِ ، وَتَسْتَخْرُجُ قُوَّتِهَا مِنْ أَحْشَائِهَا ، فَخَلَقَ اللَّهُ لَهَا أَعْنَاقًا طَوِيلَةً ، وَمَنَاقِيرَ مُسْتَقِيمَةً وَطَوِيلَةً كَذَلِكَ .

وَانظُرْ إِلَى الطُّيُورِ الَّتِي يَقْتَاتُ^(۱) بِاللَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَتَأْكُلُهَا نَهْشًا^(۲) ، كَالْحِدَاءِ وَالسُّورِ وَالصُّقُورِ لَا تَجِدُ مَنَاقِيرَهَا مُسْتَقِيمَةً ، لِأَنَّهَا لَا تُغْنِي عَنْهَا ، وَلَا تَقْضِي حَاجَتَهَا ، فَخَلَقَ اللَّهُ لَهَا مَنَاقِيرَ مُتَقَوِّسَةً^(۳) حَادَةَ الْطَّرْفِ ، وَيَكُونُ طَرْفُهَا الْأَعْلَى مُتَقدِّمًا مُتَقَوِّسًا ، فَيَعِينُهَا فِي نَهْشِ الْلَّحْمِ وَقَرْضِ الْفَوَاكِهِ وَفِي الْعَضْ عَلَيْهَا .

كَذَلِكَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى أَرْجُلِ الطُّيُورِ وَمَخَالِبِهَا ، رَأَيْنَا بَيْنَهَا فَرْقًا بِحَسْبِ أَنْوَاعِ الطُّيُورِ وَطَبَائِعِهَا ، وَعَادَاتِهَا ، وَغِذَائِهَا ، فَالطُّيُورُ

(۱) يَقْتَاتُ : الشَّيْءَ جَعَلَهُ قوتاً .

(۲) تَأْكُلُهَا نَهْشًا : تَتَنَاهُلُهَا بِفَمِهَا .

(۳) مُتَقَوِّسَةً : مُنْعَطِفَةً كَالْقَوْسِ .

الَّتِي تَعِيشُ عَلَى الْبَرِّ ، وَتَلْتَقِطُ الْحَبَّ لَيْسَتْ أَرْجُلُهَا طَوِيلَةً ، وَأَنَّهَا تَرْفَعُ رِجْلَيْهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، وَتَمْشِي وَثِبًا ، وَأَمَّا الطُّيُورُ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمَاءِ وَتَصِيدُ السَّمَكَ وَهَوَامَ الْمَاءِ فَإِنَّهَا تُقَدِّمُ رِجْلًا فِي الْمَشِي وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى كَالإِنْسَانِ ، وَتَمْشِي رُوَيْدًا ، فَإِنَّهَا إِذَا وَثَبَتْ وَثَبَاتٍ أَوْ قَفَزَتْ أَفْلَتَهَا^(١) الصَّيْدُ .

كَذَلِكَ الطُّيُورُ الَّتِي تَسْبِحُ فِي الْمَاءِ ، وَتَصِيدُ فَلَهَا جَلْدٌ رَّقِيقٌ فِي مَخَالِبِهَا يَصِلُ بَيْنَ أَصَابِعِهَا ، فَتَتَشَبَّهُ مَخَالِبُهَا كَالْمِظَلَّاتِ إِذَا نَشَرَتْ ، وَتُسَاعِدُهَا فِي السَّبَاحَةِ مُسَاعِدَةً عَالِيَّةً .

وَالطُّيُورُ الَّتِي تَقْتَاتُ بِاللَّحْمِ لَهَا أَرْجُلٌ قَوِيَّةٌ وَمَخَالِبٌ كَبِيرَةٌ ، وَفِي أَصَابِعِهَا أَظْفَارٌ مُتَقَوَّسَةٌ حَادَّةُ الْأَطْرَافِ تُسَاعِدُهَا فِي نَهْشِ اللَّحْوِ ، وَتَقُومُ أَرْجُلُهَا وَمَخَالِبُهَا مَقَامَ الْأَرْجُلِ وَالْأَيْدِيِّ ، فَإِذَا مَشَتْ كَانَتْ لَهَا أَرْجُلًا تَمْشِي بِهَا ، وَإِذَا طَارَتْ أَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَأْكُلَ كَانَتْ لَهَا أَيْدِيًّا تَبْطِشُ ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ يُمْسِكُ عُودًا أَوْ قَطْعَةً لَحْمًا ، وَيَطِيرُ فِي الْجَوَّ وَيَسْتَقِلُ بِهِ ، فَلَا يَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ ، وَكَثِيرًا مَا رَأَيْنَا الْبَازِي^(٢) قَدْ قَبَضَ عَلَى طَائِرٍ كَبِيرٍ بِمَخَالِبِهِ وَطَارَ بِهِ إِلَى عُشِّهِ ، وَأَكَلَهُ هُنَالِكَ آمِنًا مُطْمَئِنًا .

(١) أَفْلَتْ يُفْلِتُ إِفْلَاتًا: نجا وتخلى.

(٢) الْبَازِي جمع الْبَوَازِي: جنس من الصُّقُورِ الصَّغِيرَةِ أو المُتوسِّطةِ الحجم يُصْطَادُ بِهِ.

(٧٢)

شِيرُّشَاه السُّورِي سُلْطَانُ الْهِنْدِ

(١)

كَانَ شِيرُشَاهَ مِنْ خِيَارِ السَّلَاطِينِ ، عَادِلًا بَادِلًا^(١) رَحِيمًا
شُجَاعًا مِقْدَامًا^(٢) ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ ، وَكَانَ شِيرُشَاهَ
يَتَعَلَّمُ فِي جَوَنِ بُورَ^(٣) ، وَيَقْرَأُ الْكُتُبَ الدَّرْسِيَّةَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ
وَيَرْتَقِي حَتَّى نَالَ الْمُلْكَ .

وَكَانَ وَرَعَ أَوْقَاتُهُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةً ، شَطْرًا^(٤) مِنْهَا لِلْعِبَادَةِ ،
وَشَطْرًا لِلْعَدْلِ وَالْقَضَاءِ ، وَبَعْضُهَا لِإِصْلَاحِ الْعَسْكَرِ ، فَكَانَ يَتَبَتَّهُ

(١) بَادِلًا: سخياً.

(٢) مِقْدَامٌ جمع مَقَادِيمٌ: كثير الإقدام على العدو، جريء في الحرب.

(٣) جُون بور: مدينة تقع في ولاية أترابرديش في الهند، كانت مركزاً ثقافياً إسلامياً في القرن الرابع والخامس عشر الميلادي.

(٤) شَطْرًا: جُزءاً.

مِنَ النَّوْمِ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، وَيَغْتَسِلُ وَيَتَهَجَّدُ وَيَشْتَغلُ
بِالْأَوْرَادِ إِلَى أَرْبَعِ سَاعَاتٍ ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي حِسَابَاتِ الإِدَارَاتِ
الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيُرْشِدُ الْأُمَرَاءَ فِيمَا يُهِمُّهُمْ مِنَ الْأُمُورِ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى بَرَنَامِجِ الْعَمَلِ لِئَلَّا يُشَوِّشُوا أَوْقَاتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ
بِالْأَسْئِلَةِ ، ثُمَّ يَقُومُ وَيَتَوَضَّأُ لِصَلَوةِ الْفَجْرِ وَيُصَلِّيهَا بِالْجَمَاعَةِ ،
ثُمَّ يَقْرَأُ الْمُسَبَّبَاتِ الْعَشَرَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَوْرَادِ ، ثُمَّ يَخْضُرُ لِدَيْهِ
الْأُمَرَاءَ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَقُومُ وَيُصَلِّي صَلَوةَ الْإِشْرَاقِ ، ثُمَّ
يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ حَوَائِجِهِمْ وَيُعْطِيهِمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، مِنْ
خَيْلٍ ، وَأَقْطَاعٍ ، وَأَمْوَالٍ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، لِئَلَّا يَسْأَلُوهُ فِي غَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمَظْلُومِينَ وَالْمُسْتَغْيَثِينَ ،
وَيَجْتَهِدُ فِي إِغَاثَتِهِمْ .

وَمِنْ عَوَائِدِهِ^(۱) بَعْدَ الْإِشْرَاقِ أَنَّهُ أَلْزَمَ نَفْسَهُ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ
الْعَسَاكِرُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَإِلَى أَسْلِحَتِهِمْ ، ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَنْ يُرِيدُ
أَنْ يُثْبِتَ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ ، فَيَتَكَلَّمُ مَعَهُ وَيَخْتَبِرُهُ ، ثُمَّ يَأْمُرُ أَنْ يُثْبِتَ
اسْمُهُ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ ، ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْجِبَائِاتُ^(۲) الَّتِي تُؤَرُّدُ عَلَيْهِ
مِنْ بِلَادِهِ كُلَّ يَوْمٍ ، ثُمَّ يَتَمَثَّلُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالْمَرَازِبَةُ ،
وَسُفَرَاءُ الدُّولِ وَالْوُكَلَاءُ ، فَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ ، ثُمَّ تُعَرَّضُ عَلَيْهِ

(۱) عَائِدَة جمع عوائد: المعروف والصلة.

(۲) جِبَائِة جمع جِبَائِات: الخراج أو الضرائب.

عَرَائِضُ الْأَمْرَاءِ وَالْعُمَالِ ، فَيَسْمَعُهَا وَيُمْلِئُ جَوَابَهَا ، ثُمَّ يَقُومُ وَيُقْبِلُ إِلَى الطَّعَامِ ، وَعَلَى مَائِدَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايخِ ، ثُمَّ يَشْتَغِلُ نَحْوَ سَاعَتَيْنِ بِأَمْوَارِ خُصُوصِيَّةٍ ، وَيَقِيلُ إِلَى وَقْتِ الظَّهَرِ ، ثُمَّ يَقُومُ وَيُصَلِّي بِجَمَاعَةٍ ، وَيَشْتَغِلُ بِتلاوَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، ثُمَّ بِمُهَمَّاتِ الْأَمْوَارِ لِلِّدَوْلَةِ ، وَكَانَ لَا يَتُرُكُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فِي ظَفْنٍ^(۱) وَلَا إِقَامَةٍ ، وَكَانَ يَقُولُ: الرَّجُلُ الْكَبِيرُ مَنْ يَصْرِفُ أَوْقَاتَهُ فِي الْأَمْوَارِ الْمُهِمَّةِ .

وَكَانَ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمُهِمَّاتِ وَيَبَاشِرُ الْأَمْوَارَ بِنَفْسِهِ ، وَيَقُولُ: لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْأَمْرِ أَنْ يَسْتَصْغِرَ مَا يُهْمِهُ مِنَ الْأَمْوَارِ نَظَراً إِلَى عُلُوِّ مَرَتَبِهِ ، فَيُلْقِيَهَا عَلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنْ رِجَالِهِ ، لَا تَهُمْ لَا يَجْتَهِدُونَ فِيهَا ، وَرُبَّمَا يَتَغَافَلُونَ عَنْهَا طَمَعاً وَارْتِشَاءً .

وَكَانَ يُعَاقِبُ الْبُغَاءَ وَقُطَّاعَ السُّبْلِ وَالظَّلَمَةَ أَشَدَّ عُقُوبَةً ، وَيُعَزِّزُهُمْ أَشَدَّ تَعْزِيزٍ ، وَكَانَ لَا تَأْخُذُهُ بِهِمْ رَأْفَةً^(۲) وَإِنْ كَانُوا مِنْ أَصْهَارِهِ وَأَقْرَبَائِهِ .

* * *

(۱) ظَفْنٌ: سَفَرٌ.

(۲) رَأْفَةٌ: رَحْمٌ وَعَطْفٌ.

(٧٣)

شِيرُشَاهُ السُّورِيُّ سُلْطَانُ الْهِنْدِ

(٢)

وَمِنْ مَآثِرِهِ أَنَّهُ أَسَسَ شَارِعاً كَبِيرًا مِنْ «سُنَّاَزْ كَاؤُنْ» أَقْصَى
بِلَادِ بَنْكَالَةَ ، إِلَى مَاءِ «نِيلَابَ» مِنْ أَرْضِ السَّنْدِ ، مَسَافَتُهَا أَلْفُ
وَخَمْسِينَةَ كُرُوفٍ ، وَالْكُرُوفُ فِي عُرْفِ أَهْلِ الْهِنْدِ مِيلَانِ ، وَأَسَسَ
فِي كُلِّ كُرُوفٍ رِبَاطًا ، وَرَتَبَ بِهِ طَعَامًا لِأَهْلِ الإِسْلَامِ عَامَةً
وَلِلْهَنَادِيكِ خَاصَّةً ، وَأَسَسَ مَسْجِدًا فِي كُلِّ كُرُوفٍ مِنْ الْأَجْرِ
وَالْجَصَّ ، وَوَظَفَ الْمُؤَذِّنَ ، وَالْمُقْرِئَ وَالْإِمَامَ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ ،
وَعَيْنَ فِي كُلِّ رِبَاطٍ فَرَسَيْنَ لِلْبَرِيدِ ، فَكَانَ تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَخْبَارُ نِيلَابَ
إِلَى أَقْصَى بِلَادِ بَنْكَالَةَ كُلَّ يَوْمٍ ، وَغَرَسَ الأَشْجَارَ الْمُثِيمَةَ
بِجَانِبِيِ الشَّارِعِ الْكَبِيرِ ، فَيَسْتَظِلُّ بِهَا الْمُسَافِرُ وَيَأْكُلُ مِنْهَا .
وَكَذِلِكَ غَرَسَ الأَشْجَارَ الْمُثِيمَةَ عَلَى الطَّرِيقِ مِنْ «آكْرَهَ»^(١)

(١) آكْرَهُ: مَدِينَةٌ تَقْعُدُ فِي وَلَيْةِ أَتَرَابِرَدِيشِ بِالْهِنْدِ ، كَانَتْ عَاصِمَةً
لِلْمُغْوَلِ ، وَعَاصِمَةً لِلنِّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْهِنْدِ ، أَهْمَّ آثارُهَا:
ضَرِيعَ «تَاجُ مَحْلٍ» .

إِلَى «مَنْدُو»^(١) ، وَبَيْنَهُمَا مَسَافَةُ ثَلَاثِمَائَةِ كُرُوفٍ ، وَأَسَّسَ الرِّبَاطَاتِ وَالْمَسَاجِدَ ، وَبَلَغَ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ فِي عَهْدِهِ مَبْلَغاً لَا يَسْتَطِعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْدُدَ يَدَهُ فِي الصَّخْرَاءِ إِلَى عَجُوزٍ تَحْمِلُ مَتَاعَهَا .

وَكَانَ شِيرُ شَاهَ يَتَأْسَفُ عَلَى أَنَّهُ نَالَ السُّلْطَةَ فِي كِبِيرِ سَنَّهِ ، وَيَقُولُ : إِنْ سَاعَدَنِي الزَّمَانُ أَبْعَثُ رِسَالَةً إِلَى عَظِيمِ الرَّوْمِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَرْكَبَ بَعْسَاكِرَهُ إِلَى بِلَادِ الْفُرْسِ ، وَنَحْنُ نَرْكَبُ مِنْ هَاهُنَا إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَنَدْفَعُ بِمُسَاعِدَةِ مَلِكِ الرَّوْمِ شَرَّ الْأَوْبَاشِ^(٢) الَّذِينَ يَقْطَعُونَ طَرِيقَ الْحُجَّاجَ ، وَنُخْدِثُ شَارِعاً آمِنَاً إِلَى مَكَةَ الْمُبَارَكَةِ ، وَلِكِنَّ الْأَجَلَ لَمْ يُمْهَلْهُ فَمَا قَبْلَ بَلُوغِهِ إِلَى تِلْكَ الْأُمِّيَّةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ثَانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ٩٥٢ هـ .

(الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)

للعلامة عبد الحي الحسني

* * *

(١) مَنْدُو: مدينة هندية قديمة ، كانت عاصمة سلالة الغوري ، اشتهرت بأطلالها الرائعة ، ومساجدها ومعابدها الجميلة .

(٢) الْأَوْبَاش: الأُخْلَاطُ وَالسَّفَلَةُ .

فهرس الموضوعات

مقدمة	٥
التعريف بمؤلف الكتاب	٨
كلمة عن الكتاب بقلم العلامة المؤلف	١٩
(١) كيف أقضى يومي	٣٠
(٢) لما بلغت السابعة من عمري	٣٢
(٣) النملة	٣٥
(٤) في السوق	٣٧
(٥) الطائر	٤١
(٦) نزهة وطبع	٤٣
(٧) من يمنعك مني؟	٤٦
(٨) سفر القطار	٤٩
(٩) ماذا تحب أن تكون	٥٣
(١٠) مسابقة	٥٧

٦٠	(١١) الساعة
٦٣	(١٢) الفطور
٦٦	(١٣) الأمانة
٦٩	(١٤) الصيد
٧٢	(١٥) مأدبة
٧٤	(١٦) بر الوالدين
٧٧	(١٧) فضيلة الشغل
٧٩	(١٨) ترنيمة الولد في الصباح
٨٠	(١٩) أصدقائي
٨٣	(٢٠) قريتي
٨٦	(٢١) ترنيمة الليل
٨٨	(٢٢) مسابقة بين شقيقين
٩٠	(٢٣) جزاء الوالدين
٩٣	(٢٤) أدب الأكل والشرب
٩٦	(٢٥) شر وخير
٩٨	(٢٦) يوم مطير
١٠١	(٢٧) البريد (١)
١٠٤	(٢٨) البريد (٢)
١٠٧	(٢٩) من يضع الحجر؟ (١)

١١٠	(٣٠) من يضع الحجر؟ (٢)
١١٢	(٣١) يوم العيد
١١٧	(٣٢) شهادة اليتيم
١٢٠	(٣٣) كسرة من الخبز
١٢٤	(٣٤) عيادة المريض
١٢٧	(٣٥) الكيمياء
١٣١	(٣٦) يوم صائف
١٣٣	(٣٧) النظافة
١٣٦	(٣٨) الحنين إلى الشهادة (١)
١٣٩	(٣٩) الحنين إلى الشهادة (٢)
١٤١	(٤٠) كن أحد السبعة (١)
١٤٤	(٤١) كن أحد السبعة (٢)
١٤٧	(٤٢) العين (١)
١٥٠	(٤٣) العين (٢)
١٥٢	(٤٤) أدب المعاشرة
١٥٤	(٤٥) عيد الأضحى
١٥٨	(٤٦) تاريخ القميص
١٦١	(٤٧) الأسد
١٦٤	(٤٨) غرور الدنيا

(٤٩) رسالة إلى رسول الله ﷺ	١٧٧
(٥٠) حادثة	١٧٩
(٥١) فتى الإسلام	١٧٣
(٥٢) الرماية	١٧٦
(٥٣) الجمل (١)	١٧٩
(٥٤) الجمل (٢)	١٨١
(٥٥) أنا هنا فاعرفوني	١٨٣
(٥٦) سفينة على البر	١٨٧
(٥٧) الخليفة عمر بن عبد العزيز (١)	١٩١
(٥٨) الخليفة عمر بن عبد العزيز (٢)	١٩٤
(٥٩) في بيت أبي أيوب الأنصاري	١٩٦
(٦٠) الإمام مالك بن أنس	١٩٨
(٦١) القاطرة (١)	٢٠٢
(٦٢) القاطرة (٢)	٢٠٥
(٦٣) جسم النبات (١)	٢٠٨
(٦٤) جسم النبات (٢)	٢١٢
(٦٥) الببغاء	٢١٥
(٦٦) الحجاج والفتية	٢١٧
(٦٧) أنا تراب	٢٢٠

٦٨) السلطان محمود بن محمد الغجراتي	٢٢٤
٦٩) الباخرة (١)	٢٢٨
٧٠) الباخرة (٢)	٢٣١
٧١) جسم الطيور	٢٣٤
٧٢) شيرشاه السوري سلطان الهند (١)	٢٣٨
٧٣) شيرشاه السوري سلطان الهند (٢)	٢٤١
فهرس الموضوعات	٢٤٣